التكيّف الاجتماعي
في
الريف المصري
الجديد

تأليف
دكتورة حكمت ابو زيد
كلية البنات - جامعة عين شمس

BOBST LIBRARY
3 1142 02841 4376

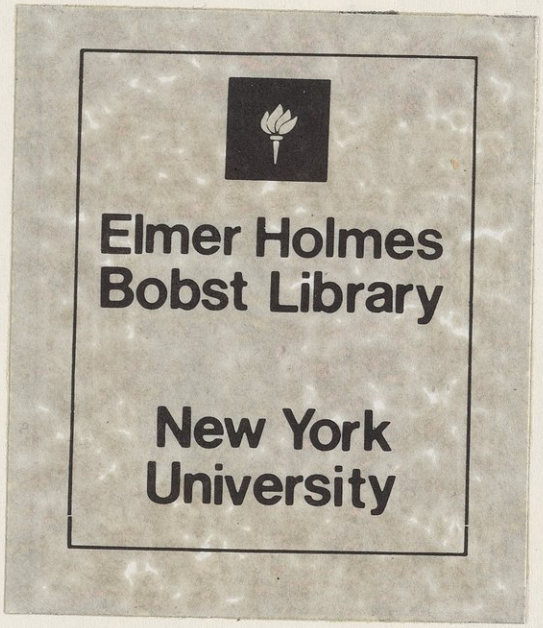

New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
212-998-2482
Web Renewal:
www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL		

RETURNED
DUE DATE
JAN 2 8 2001
MAY 0 8 2004
Bobst Library
Circulation

PHONE/WEB RENEWAL DATE		

149613

التكيّف الاجتماعي
في الريف المصري الجديد

Abū Zayd, Ḥikmat

تأليف

دكتوره حكمت ابوزيد

كلية البنات — جامعة عين شمس

/al-Takayuf al-ijtimaʿi/

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

دار الطباعة الحديثة

شارع غيط النوبي - ت ٤٩٣١٨

N.Y.U. LIBRARIES

Near East
HN
783
.5
.A3
c.1

N.Y.U. LIBRARIES

الإهداء ...

إليه ...

إلى الوافد من قلب الريف الوديع ...

إلى الذي ظل طوال حياته "ربيع القلب والضمير" -
"مدرسة العقل والتفكير" ...

إلى من كنت أرجو أن يمتد به الأجل
حتى يرى الريف الجديد في تطوره الكبير ...

إلى ... أبي

بالرفيق الأعلى ...

أرفع كتابي .. تحية وذكرى

مع صلواتي

حكمت

مقدمة

تهدف التربية الاجتماعية إلى إعداد الفرد للحياة فى المجتمع ، أى لمعاونة الفرد على أن يتلاءم ، وأن يتكيف مع الحياة فى الأوساط المختلفة التى يعيش فيها . يستوى فى ذلك الوسط العائلى ، والوسط المهنى ، أو المجتمع الكبير . ولهذا ، نرى أن أساليبها ومناهجها تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ، تبعا لأطوار الحضارة التى تمر بها المجتمعات وللامكانيات المختلفة ، وللظروف المتباينة التى تجتازها ، وطبقا للتراث الثقافى بما يشتمل عليه من معتقدات وتقاليد وعادات . فالتربية هى الوسيلة الأساسية للتقدم والاصلاح الاجتماعى وهى تنظيم لعملية محاولة الطفل المشاركة فى الشعور الاجتماعى (١) .

ومنذ أقدم العصور . . . منذ بدأ أفراد الجنس البشرى ، يكونون جماعات متماسكة تحتشد حول نبع ماء أو على ضفة نهر أو عند واد خصيب ذى زرع ، يعتبر موردا من موارد الرزق الثابتة . . . منذ تلك العصور ، كان — ولا يزال — هذا الهدف هو المسيطر على أذهان القابضين على أزمة الأمور فى الجماعة .

وكان للأسرة ، تلك التى تعتبر الوسط الأول الذى يتلقى فيه الطفل مبادىء التربية الاجتماعية أثر هام فى نقل هذا التراث الثقافى لأعضائها الكبار منهم والصغار على السواء . ففيها يتشرب الفرد عادات قومه ، ويتلقى أسرار جماعته ، ويعيش خبراتها وتجاربها ، ويندمج فى أحداثها ، ويحيا حياتها ، مقلدا صغيرهم كبيرهم فى جده أو لهوه . وهو مدفوع إلى اتخاذ هذا السلوك بعوامل ذاتية واجتماعية ،

---

(١) التربية فى العصر الحديث — تأليف جون ديوى — ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ومحمد حسنين المخزنجى . مكتبة النهضة المصرية ص ٢٥ .

فطرية أو مكتسبة ، الأولى تتلخص فى حاجته إلى حفظ حياته وحفظ نوعه ، والثانية فى حاجته إلى الإنتماء إلى جماعة ما ، والاعتراف بشخصيته ، كل هـذه وتلك تدفعه إلى محاولة الإندماج فى شخصية الجماعة اندماجا يصبح فيه جزءاً فى كل ، وواحدا داخل إطار محدد المعالم ، حتى لا يعتبر خارجا على جماعته ، بل كثيراً ما نجده يحاول أن يكون عضوا مبرزاً فيها ، حتى يكتسب اعترافا جديداً بشخصيته .

وأما الوسط الثانى الذى يعد الفرد إعداداً اجتماعياً ، فهو المجتمع نفسه فلو اتخذنا القبائل البدائيـة [1] مثلا ، نراها تحاول تلقين أسرارها للمراهقين من أفرادها فى القصص المتداولة ، وفى مواسم حفلاتها التدشينية تلقن هذه الأسرار لأنها تعتبر حصن الجماعة والعاملة على بقائها متماسكة ، مع إحاطة جو هذه الحفلات بشىء من الغموض والرهبة حتى يشعر الناشىء ، وهو على عتبات رجولته بأهمية الواجب الاجتماعى الملقى على عاتقه ، الأمر الذى أدى إلى تماسكهم وتعاونهم ، ومما زاد أفراد القبائل البدائية تقاربا وتماسكا وتعاونا بعضهم مع بعض هو وقوعهم تحت رحمة الظروف الطبيعية المتقلبة ، فى الوقت الذى كان فيه أفراد الجماعات البدائية يجهلون أسرار هذه الانقلابات ويعجزون عن تفسير ظواهرها المتباينة مما أدى إلى خضوعهم لكثير من الأوهام والخرافات التى بعثت فى نفوسهم الخوف من المجهول ، وبالتالى تكاتفهم على مقاومة ظروف الحياة المختلفة .

ولم تقل حاجة المجتمعات الزراعية إلى تماسك أفرادها بعضهم مع بعض وذلك لاعتمادهم على مورد واحد للرزق وللحياة ؛ بهذا كانوا من أكثر المجتمعات محافظة على تراثهم وتقاليدهم وأشدهم رغبة فى تنمية صفاتهم الاجتماعية التى تزيد من توادهم وتعاطفهم وتراحمهم . كما كانت للديانات أهميتها فى إبراز معالم هذه الصفات والمميزات ؛

---

(1) Mead, M. Coming of Age in samoa, London: J. cape 1928.
Mead. M. Growing Up in New Guinea, Lodon : Kegan 1930.
Benedict, R. Patterns of Culture, London : Routledge 1935.

فلقد حضت على الإحسان والرحمة والكرم ، ورعاية الكبير للصغير وحماية القوى للعاجز والضعيف . معنى هذا أن عقيدة الجماعة صارت جزءاً لا يتجزأ من حياة الأفراد والجماعات ولاسيما الريفية منها كما أصبحت مظهراً من مظاهر وحدتهم ، كذلك أصبحت المناسبات الدينية بمثابة عامل يذكر هولاء الأفراد بهذا التراث الروحى للجماعة .

إن أهمية هذا الوسط حدا ببعض الكتاب إلى المجاهرة بأن النشء يتعلمون أنواع السلوك الاجتماعى ، وفكرتهم عن حياة الأسرة وعن وسائل كسب عيشهم وتقييمهم للحياة الاجتماعية والاقتصادية خارج المدرسة أكثر من داخلها ، ولهذا يحرص المجتمع على تعليم النشء أهدافه ونظمه وتقاليده وعاداته [1] . بل إنه لهذا السبب عينه تغيرت وظيفة المدرسة فلم تعد مجرد تعليم الطفل مبادىء القراءة والكتابة والحساب ، بل أصبحت مركزا للحياة الاجتماعية ، يكتسب فيها الطفل عن طريق الخبرة من حياته مع غيره وتعامله معهم ، روح التضامن والتعاون والشعور بالتبعية المتبادلة بينه وبين البيئة التى يعيش فيها سواء أكانت بيئة إنسانية يكونها أقرانه وزملاؤه ومعلموه أم بيئة طبيعية تفرضها عليه الظروف المحيطة به .

ومن أجل هذا السبب أصبح شعار مدرسة دكرولى Decroly « المدرسة التى تعد للحياة عن طريق الحياة [2] » . هكذا أصبحت التربية لا تعنى عملية تكيف فحسب ، بل عملية تكيف اجتماعى ؛ وليست إعدادا للحياة فقط ولكن إعدادا للحياة الاجتماعية .

والمجتمع العربى الذى كان وما زال يوصف بأنه مجتمع زراعى ظل يحس إحساساً

---

(1)Ammar Hamed, Growing up in An Egyptian Village, Routledge& Kegan Paul ltd london 1954 P. 11

(٢) اتجاهات فى التربية والتعليم. دكتور جمال محمد جمال صقر . دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ ص ٢٧ .

قويا بأهمية صفاته الموروثة ويعمل على تثبيتها ، فهى تعتبر جزءاً من كيانه ومقومات شخصيته ، هى التى ميزت الشرق على الغربى وهى التى جعلت له طابعا إنسانياً يحاول العالم الغربى جاهداً طبع عالمه المادى بطابعه واستخدم من أجل تحقيق هذا الغرض جميع الإمكانيات ووسائل التربية المقصودة وغير المقصودة .

فقامت المدرسة تحاول تحقيق أهم أغراضها وهى تزويد النشىء بتربية اجتماعية كما سخر الراديو والتليفزيون والسينما والصحف لتحقيق هذا الغرض .

بيد أن هذه المميزات والصفات لابد وأن تخضع لسنة التطور والنمو فيحتفظ الإنسان بصالحها وذلك بتنميته وتقويته ويتخلص من طالحها بتعديله أو باقتلاعه ولن ينجح فى هذا كله مالم يتصف الأفراد والجماعات بالمرونة التى تسمح بأن يلبس لكل حالة لبوسها . هكذا كان بعض سر تأخر المجتمع الصينى القديم مثلا إذ كان عجزه عن التكيف ومسايرته للتغيرات الحديثة وتمسكه بمجموعة من التقاليد والعادات التى وإن كانت فى أصلها تهدف إلى تربية أخلاقية ممتازة إلا أن حبسها داخل إطار لاينفذ إليه ضوء أو هواء أدى إلى إصابتها بالعمى ، فلم تعد ترى ؛ وإلى تبلد شعورها فلم تعد تحس ؛ كما أدى حرمانها من نسيم الحرية إلى خنق روح الإبداع أو الابتكار ، الأمر الذى أدى إلى استسلامها للمستعمر استسلام المغلوب على أمره ، فحاول بدوره تحطيم كل مقومات الشخصية المعنوية للشعب ، وكانت وسيلته الى ذلك نشر السم الأبيض بين أفراده حتى فقدوا القدرة على المقاومة .

هذا المثل يبين لنا بوضوح الحاجة الماسة إلى تطوير تدريجى لصفات الجماعة . والتطوير هنا قد يكون عملية شعورية أو عملية لاشعورية ، وقد تكون عملية مقصودة أو غير مقصودة غير أنها تهدف جميعها إلى استبدال الجديد الصالح من عادات وتقاليد ومعتقدات القديم الفاسد .

وقد كان أصحاب « اليوتوبيات » يهدفون دائماً إلى وضع الخطوط التفصيلية لتطوير حياة الجماعة وذلك عن طريق تربية الفرد تربية اجتماعية جديدة تلائم المجتمع المثالى الذى يحلمون به .

وتعتبر « مديرية التحرير » محاولة من هذه المحاولات ، إذ أنها لم تكن مجرد تجربة اقتصادية فحسب ، وإنما كانت تجربة اجتماعية من نوع جديد تهدف إلى خلق مجتمع ريفى نموذجى يقوم على أسس اشتراكية تعاونية ويوفر الحياة الكريمة لطائفة كبيرة من المواطنين[١] من أجل هذا جاءت أهمية التجربة ومن أجل هذا كان لابد من أن نولى الناحية الاجتماعية أهمية لاتقل بحال عن أهمية الناحية الاقتصادية . الأمر الذى يستلزم تجنيد الخبراء النفسيين والتربويين والاجتماعيين كما جند الخبراء الاقتصاديون لخدمة أغراض الجماعة هناك . بهذا يمكن الإشراف على تنفيذ الأغراض التى وضعها مؤسسوها نصب أعينهم وهى التى قيل عنها : « ليس الهدف من مشروع مديرية التحرير أن نعمر مساحات هائلة من الصحراء نضيفها إلى رقعة مصر الزراعية لمقابلة الزيادة المطردة فى عدد السكان فحسب، بل إنها تستهدف خلق مجتمع مصرى متعاون متكامل قائم على نظام اقتصادى واجتماعى جديد تتوافر فيه للمواطنين الحياة الحرة الكريمة[٢] » وقد حرص واضعوا أسسها على اختيار سكانها من أهل الريف المعدمين الذين ينقلون من المناطق المزدحمة بالسكان وهم من عرفوا بالبساطة وعدم التعقيد فى حياتهم كما عرفوا باعتزازهم بقوميتهم ، كما بقيت لهم لغتهم دعامة من دعائم تواصلهم، وظلت لهم عقيدتهم يتمسكون بها وكانت لهم وسائل حياتهم ، كما كانت لديهم

---

(١) مديرية التحرير فى أربعة أعوام . مارس سنة ١٩٥٧ . مطابع مديرية التحرير.

(٢) الكتاب الثانى لمديرية التحرير يونية سنة ١٩٥٥ صدر عن إدارة النشر والصحافة .

وسائل لهوهم ؛ لهم أدبهم الشعبى وألعابهم الجماعية ، ولشدة حرصهم على كيانهم ، استطاعوا مقاومة خطر التلاشى فى شخصية المستعمر ، فقد كان تيارهم أقوى من تياره فلم يجرفه معه ، فظلت لهم شخصيتهم وظل لهم كيانهم واضح المعالم بارز الصفات ، واستطاعوا لهذا كله امتصاص العناصر الغريبة عنهم . مما يدل على أصالتهم وعراقة صفاتهم الاجتماعية والأخلاقية ، هكذا يمكن أن نقول إن تأثر المستعمر بهم كان أكثر من تأثرهم به أو هكذا أقصى المستعمر عن الإطار الداخلى للجماعة ، وظل على هامش الحياة منبوذا منهم على الرغم من قوته وكثرة عدده وعدده . كما كان اعتزازهم بمقومات حضارتهم التى تعود إلى أقدم العصور ، تلك الحضارة التى أضاءت للعالم معالم الطريق خلال العصور الماضية دافعاً قوياً على احتفاظهم بسمات المجتمع الريفى حتى أولئك الذين عاشوا وسط المدينة واستنشقوا هواء المدنية الحديثة ، ظل طابعم ريفى الروح فى أكثر نواحى حياتهم حتى يمكن أن يصدق عليهم قول آرثر بار : « تستطيع أن تنتزع رجلا من الريف ولكنك لا تستطيع أن تنتزع الريف من عقلية رجل !! » .

نحسن صنعاً إذا لو حرصنا — ونحن ننفذ تجربتنا — على مثل هذا التراث الروحى دون أن نغفل الجانب المادى بشرط أن يكون الأخير فى خدمة الأول مسخراً لتحقيق أغراضه . فليس منا من ينكر ما للمادة من أهمية فى تحصين الكيان المعنوى لأفراد أى شعب من الشعوب ، فلكى يقاوم الفرد الرشوة مثلا فلا بد من أن يكون بعيداً عن مواطن الإغراء محصنا بما يدفع عنه الحاجة إلى مد اليد . ولكى يزاول فضيلة الكرم يجب أن يمتلك مايمكنه أن يجود به .

و إذا كانت مقتضيات الظروف الاقتصادية تتطلب إيجاد مصادر جديدة للثروة كأن تعمل مثلا على تهجير أهل الريف من مكان إلى آخر فليس معناه أن يتخلى الريفى عن كل مايعتز به من تراث ، وليس معناه أن يعيش فى بيئة غريبة عن

بيئته الأولى فنخلق فى نفسه صراعاً كهذا الصراع الذى يعانيه الفرد عندما ينتقل من بيئة شرقية إلى بيئة غربية . ليس من شك أن هذه النقلة ستحدث تغييرا فى المظاهر الخارجية من حياته فى ردائه ومسكنه ووسائل راحته وأوجه جده ولهوه . فسيرتدى سروالا بدلا من الجلباب ويأوى إلى منزل يختلف عن مسكنه القديم ولن تشاركه بهائمه مسكنه بل ستبنى لها حظيرة خاصة . ولا شك فى أن المرأة ستتجه إلى الطبيب إلى جانب توسلها بالأحجبة والتمائم ليتم شفاؤها . ولا شك إن النشء الجديد سيولى وجهه شطر المدرسة إلى جانب الحقل ، معنى هذا ضرورة عدم فصل حياته فى المدرسة عن حياته فى المجتمع الذى يعيش فيه فيتجه إلى الحقل ليشارك أباه بالضبط كما كان أبوه يتلقى من قبل أصول تجاربه وخبراته عن طريق الممارسة والتقليد

نريد أن نحتفظ بهذا الطابع لأنه سر نضوج الريفى الاجتماعى المبكر ، كما لاشك فى أنه سيتعلم أن الحياة التعاونية معناها العمل بمبدأ : « أعط وخذ » ومسارعة القوى لنجدة الضعيف والغنى للأخذ بيد الفقير بل تعاون الجماعة للأخذ بيد الفرد وسيعلم بأن الديمقراطية معناها تبادل الرأى والمشورة كما كان يفعل شيوخ القبيلة .

هذا ما أردت ببحثى فى مديرية التحرير أن أحدد معالمه ، فنحن لا نريد أن نشكل المجتمع الجديد تشكيلا يخرجه عن إطاره الطبيعى وإلا فسيكون ذلك بمثابة بناء بلا أساس أو شجرة بلا جذور . فعلينا إذن أن نطعم القديم بالجديد .

وعملية التطوير هذه تتطلب من المصلح الاجتماعى أن يكون مربيا أريبا ، وأن يفطن إلى ما نادى به أساطين التربية الحديثة من مبادىء كالحياة للحياة عن طريق

الحياة[1] . والعلم بالعمل مبادىء عرفها أهل الريف ومارسوها ممارسة عملية منذ أقدم العصور .

فعلينا إذن أن نحرص على ألا نجعل دراستهم دراسة نظرية بقدر حرصنا على أن تكون حياتهم حياة نابعة من صميم بيئتهم الطبيعية والاجتماعية . فمشاركة المرأة للرجل فى أعماله مثلا ، هذه المشاركة التى حاولنا أن نخضعها للقوانين والتشريعات قد زاولها أهالى الريف مزاولة عملية منذ فجر التاريخ دون حاجة إلى تقنينها فى صيغ توهم أنها من مبتكرات المدنية الغربية الحديثة . فكلنا يعجب بتلك الصورة التى تمثل التعاون الكامل بين الرجل والمرأة فى الريف المصرى العربى ومشاركتها له فى حياته العملية واستيقاظها وزوجها فى الفجر واتجاهها معه صوب الحقل تحمل جرتها فوق رأسها و تسوق الأنعام أمامها وتعمل معه يدا بيد فى صبر وأناة وجد .

وهكذا كانت قصة اندماج حياتيهما معاً فكانت له كما كان لها سندا ومعينا وخلا صادقا أمينا فى السراء والضراء دون أن ينشب بينهما صراع عنيف كالصراع القائم على أشده بين الرجل والمرأة فى المدينة حيث ظن الرجل أن المرأة تحاول اغتصاب حقوق استحوز عليها لنفسه أو أنها جاءت تنافسه عندما فتحت أمامها أبواب الوظائف العامة وبعد أن غزت ميادين العلم فى معاهده وكلياته المختلفة .

ولا شك أن وجهة نظر الرجل الحضرى تختلف إلى حد بعيد عن وجهة نظر الرجل الريفى الذى يرى فى تخلف المرأة عن مشاركته فى الحياة العملية شللا يصيب نصف مجهوده .

---

(1) John Dewey: Democracy and Education

جون ديوى : الديمقراطية والتعليم . المرجع السابق

هذا إذاً ماترمى إليه من عملية التكيف للعالم الجديد .

إنها ليست عملية خلق جديد ، بل هى عملية تطوير نحتفظ فيها بكل ثمين ونطعمها بما ينقص هذا البناء من أسس حتى يصبح بناء شامخا أصله ثابت وفرعه فى السماء .

ومن هنا جاءت أهمية التجربة التى تجرى فى مديرية التحرير . إنها « يوتوبيا » من نوع جديد ، لم تعد أرضا لا وجود لها ... بل هى حقيقة واقعة ، نجح واضعو خطتها فى اخراج خطوطها العريضة إلى حيز التنفيذ .

الفصل الأول

التكيف الاجتماعى

معناه ـ دوافعه ـ دراسته

معناه[1] :

إن ما نقصده هنا « بالتكيف الاجتماعى » هو أنه العملية الواعية التى يحاول بها الأفراد والجماعات أن يتلاءموا مع الأوضاع المختلفة التى يوجدون فيها ، وأن يتمكنوا من تغيير سلوكهم أو تطويره طبقا للظروف المحيطة . وهذا الأمر يتم بالتدرج على نحو يتلون باختلاف الأفراد والجماعات بصورة يتجلى فيها نمط السلوك الملائم للبيئة التى يعيش فيها الفرد أو تتفاعل معها الجماعة .

ولا بد من بذل المحاولات التى تتطلبها هذه الأوضاع المستجدة أو المستحدثة ذلك لأن الإنسان فى حاجة ملحة للتكيف بالبيئة التى يعيش فيها ، البيئة فى مداها الواسع ذى الأبعاد الأربعة ، وهى البيئات الجغرافية والتاريخية والمستقبلة والاجتماعية .

---

(1) Encyclopedia of the Social Sciences, Editor—in chief Edwin R. A. Seligman, Vol, one the Macmillan Company New york, 1944.

Dictionary of Education: Carter.V. Good Editor Mcgrow—Hill series in Education New york & London 1945

(١) فالبيئة الجغرافية أو الطبيعية أو المادية : ذات البعد المكانى ، وعلى الإنسان أن يتكيف بظروفها المختلفة و يتفاعل معها يؤثر فيها و يتأثر بها ، فهو معدل لها ومغير فيها حسب إمكانياته وقدراته ومواهبه . فعالمنا الحديث ، عالم التكنولوجيا الذرية قد هيأ للانسان فرصة للعمل المستمر لإخضاع البيئة الجغرافية لرغباته وأهدافه فتصرف تصرفا واعيا هادفاً موجها لتحقيق أغراضه الذاتية والاجتماعية .

(٢) والبيئة التاريخية : ذات البعد الزمانى تتطلب من الإنسان أن يتكيف لها أيضا حتى يتمكن من أن يتصور البعد الذى يفصل بينه و بين أسلافه و يدرك كينونته فيه وتأثره به ، ذلك لأنه ورث عنهم مشكلاته المتعددة وارتبط بتقاليدهم وتأثر بتراثهم الثقافى والاجتماعى .

وأن الأمة ذات الحضارات القديمة لتحس بالماضى يسرى فى عروقها سريانا قويا تترنم بأناشيده وتتمتم تعاويذه . والفرد منا — وإن أبى أن يربط نفسه بعجلة الماضى خشية أن يتأخر عن اللحاق بركب المدنية السائر إلا أنه كثيرا ما ينظر للماضى يستلهمه الوحى ويحاول الاتعاظ بأحداثه و يستمد من روحه الشجاعة والإقدام .

(٣) البيئة المستقبلة : ذات البعد الغيبى غير المنظور ، فهى غير واضحة المعالم كبقية البيئات الأخرى ، وإن أمكن التكهن بأحداثها دون القدرة على التنبؤ بصحة هذه الأحداث ؛ هكذا يمكن للفرد أن يسهم فى وضع أسس معالم بيئته المستقبلة دون أن يشترك فى بناء صرح مجدها . فهذا موكول أمره للأجيال المقبلة . إن تصور هذا البعد ، بعد المستقبل يمتاز به الإنسان على الحيوان ، كما يمتاز بقدرته على تصور بعد الماضى . وعملية التكيف هنا تتطلب منه مرونة كافية . بهذا يمكن أن يصبح مواطنا للمستقبل كما هو مواطن للماضى والحاضر . وإنما يدفعه إلى ذلك كله إحساسه برغبة قوية فى أن يخلد لإسمه صدى تردده الأجيال المقبلة كما تأثر بصدى الأجيال

الماضية . ويمتاز المصلحون الاجتماعيون والفلاسفة المفكرون على غيرهم فى رسم الخطوط العريضة التى يريدون أن يكون المستقبل عليها .

معنى هذا أن المجتمع المثالى يعتبر فى نظر هؤلاء المجتمع الذى يحقق للفرد سعادته وللجماعة تقدمها ورقيها وذلك بتنظيم العلاقة بينهما تنظيما يراعى فيه مصلحتيهما . من أجل هذا كله حاول لفيف من الفلاسفة الاجتماعيين وضع تخطيط للعلاقات التى رأوا أن تقوم بين الفرد والجماعة فى مجتمعهم المثالى .

ومن هنا نشأت سلسلة من الدول السعيدة والمدن الفاضلة عرضها علينا هؤلاء ابتداء من أفلاطون فى جمهوريته إلى القديس أوجسطين فى « مدينة الله » وتوماس مور سنة ١٤٧٨ – ١٥٣٥ فى يوتوبياه وفرانسس بيكون سنة ١٥٦١ – ١٦٢٦ فى الأطلانطس الجديدة والفارابى سنة ١٢٥٩ – ١٣٣٩ هـ فى مدينته الفاضلة و . ج . هـ . ولز فى يوتوبياه الحديثة . كل هذه وغيرها تمثل تأملات وأحلام فلاسفة تحوم حول مجتمع جديد وتحاول ربط الماضى بالحاضر والمستقبل إذ لا يمكن لمجتمع أن يقف على قدميه دون أن يراعى هذه الأبعاد .

أما الماضى فيمكن تلمس آثاره فى أشياء محسوسة كالآثار والمبانى وفى أفكار تضمنتها الكتب وفى مشكلات امتدت جذورها ، فأصبح لها فروع فى الماضى وثمرات فى المستقبل . فمشكلة قناة السويس مثلا كأية مشكلة أخرى لها أبعادها الثلاثة المختلفة وإن اتخذت فى الماضى والحاضر والمستقبل أوضاعاً مختلفة وتطلبت من أفراد الجماعة التكيف لهذه الأوضاع حتى يمكن حل هذه المشكلة حلا مرضيا . وبالمثل فإن مشكلة الإزدياد المطرد فى عدد السكان لها أبعادها الثلاثة أيضا كما تتطلب تعديل سلوك أفراد المجتمع حتى يمكن أن يلائموا بينهم وبين البيئة الجديدة .

(٤) البيئة الاجتماعية : هذا يجرنا للحديث عن البيئة الرابعة ، وهى التى وضحت من مناقشتنا السالفة ألا وهى البيئة الاجتماعية ذات البعد الاجتماعى الخاص الذى يقوم على علاقة الأفراد بعضهم ببعض وعلى مواجهتهم للمواقف والمشكلات المختلفة التى تتطلب حلا وعلى تكيفهم لهذه المشكلات و بمن يحتك بهم أو يتفاعل معهم من الأفراد أثناء مواجهة هذه المشكلات فسعادة المجتمع والفرد تتوقف على مدى ما يحرز فى هذا البعد الرابع من نجاح .

ولا شك فى أن هذا اللون الأخير من التكيف يتطلب من المرء الوصول إلى مرحلة من النضوج تمكنه من إدراك حقيقة المواقف والمشكلات بالإضافة إلى حاجته إلى قدرة عقلية عامة تعينه على اختيار الحلول الصحيحة لكل مشكلة منها فضلا عن حاجته إلى دوافع تدفعه نحو هذا التكيف وإلى دربة وتوجيه ورعاية وتشجيع .

فإذا تذكرنا أن العلاقة بين أفراد الأسرة تلك البيئة الطبيعية التى ينشأ فيها الفرد تحتاج إلى كثير من التوجيه والرعاية حتى يظلل علاقات أفرادها الانسجام والود والتعاطف ، فلا شك أن هناك ضرورة أقوى تحتم وجود مثل هذه الرعاية والتنظيم للعلاقات التى تربط أفراد مؤسسة من المؤسسات أو جماعة من الجماعات أو هيئة من الهيئات أفرادها مختلفون فى العمر والثقافة والنشأة والقدرات الموروثة والمكتسبة والمهارات والأهداف ومقدار النضج الاجتماعى . وعليه يتوقف كما أسلفنا مدى استعداد الفرد للتكيف للجماعة التى يعيش فيها . بهذا كله يمكن أن نضمن سعادة الفرد وسلامة المجتمع الذى يعيش فيه .

بهذه المناقشة نصل إلى بحث دوافع التكيف الاجتماعى .

دوافعه :

اختلف الفلاسفة فى تفسير دوافع التكيف الاجتماعى . فمثلا نرى أصحاب

مذهب اللذة (Hedonism) يرون أن اندماج الفرد فى الجماعة راجع لأنانيته بالطبع ، مغال فى إيثاره لنفسه ، باحث عن لذته ، متجنب للآلام .

نرى هذه الدعوة تبدأ من أبيقور إلى هوبز[١] ، فى حين أن أنصار المذهب الطبيعى ورائدهم روسو[٢] يعمدون إلى تفسير هذا التكيف بدافع الخير المتغلغل فى نفس الفرد و بدافع نكرانه لذاته . هذا فى الوقت الذى يفسره أنصار نظرية الغرائز وعلى رأسهم مكدوجل[٣] بدافع غريزى وراثى يسمى بالغريزة الاجتماعية كما يقول أيضا إن مثل هذا التكيف دافعه العقل الجمعى ، ذلك العقل المسيطر على سلوك الجماعة . وسواء استبدلنا نظرية الغرائز الموروثة بنظرية الدوافع أو بنظرية العقل الجمعى[٤] ، فكل هذه آراء ونظريات تشير إلى وجود من يدفع الفرد لكى يسلك سلوكا اجتماعياً مرغوبا فيه حتى لا يتهم بالخروج على المجتمع الذى يعيش فيه فيحس بعزلة وانطواء على نفسه . معنى هذا أنه لكى نفهم المجتمع حق الفهم فلا بد من محاولة معرفة الفرد ودوافعه لأن الفرد يعتبر الخلية الحية للمجتمع .

هكذا رأينا بعض مدارس التحليل النفسى تركز اهتمامها على دراسة الفرد ، ترى أن المجتمع لا يعدو أن يكون صورة للفرد منعكسة على مرآة مقوسة تظهر فيها صفاته الأساسية بشكل مكبر و بقوى مختلفة . و إن الغرائز أو الدوافع التى تدفع الفرد إلى أن يسلك سلوكا اجتماعيا تعتبر اجتماعية فى جوهرها مثل غريزة الوالدية والغريزة الاجتماعية . ما هى فى حقيقتها سوى غرائز فردية و إن كانت لا تعمل ولا تعبر عن نفسها إلا فى الحياة الاجتماعية كما تفسر هذه المدرسة اهتمام الفرد بآراء المجتمع الذى يعيش فيه وعنايته بمطالبه واتجاهاته بأنه تعبير عن قوة تأثير الغريزة الاجتماعية على سلوكه إلى حد القول بأنه لولاها لكانت المطالب الأخلاقية للمجتمع على الفرد كتلك التى تحض على تجنب السرقة والخيانة والغش لولاها لكانت ضئيله الأثر .

---

(1) Hobbes, T., Leviathan.

(2) J. J. Rousseau, Du Contract Social.

(3) Mc. Dougall, W., An Introduction to Social Psychology, 1908.

(4) Mc. Dougall, W, The Group Mind, 1920.

نخرج من هذا بأن الفرد والمجتمع صنوان لا ينفصلان ومن أجل هذا نرى أن علم النفس الاجتماعى الحديث و إن لم يهمل دراسة تأثير العوامل الذاتية فى سلوك الفرد إلا أنه يصر على بحث هذا السلوك وسط المواقف الاجتماعية المختلفة إذ يعتبرها عاملا أساسيا يدفعه إلى أن يسلك سلوكا معينا وهو ما يطلق عليه كارل ليفن اسم المجال النفسى (١).

فكما أن طبيعة الجماعة تتأثر بطبيعة العلاقات التى تقوم بين كل فرد والأفراد الآخرين ، كذلك نرى أن سلوك الفرد فى استجابته لجماعة ما يختلف عن سلوكه فى جماعة أخرى ، من أجل هذا كله كان لا بد من تحليل الارتباطات والعلاقات التى تقوم على أساسها جماعة من الجماعات حتى يمكننا الوصول إلى كنه هذا السلوك .

دراسته :

بينا كيف أنه عندما اتضحت أهمية موضوع التكيف اتجه علماء النفس الاجتماعيون والمربون لدراسته دراسة موضوعية ، تؤدى لمعرفة أسس ودوافع واتجاهات عملية التكيف الاجتماعى كما تؤدى إلى وضع بعض هذه الآراء والنظريات الخاصة بتخطيط المجتمعات المثالية موضع الاختبار والتجربة ، حتى يمكن رؤية ما يتفق منها مع الحقيقة والواقع ، وتوصلوا إلى نتائج نذكر منها على سبيل المثال ، ما وصل اليه بياچيه (٢) من أن عملية تكيف الفرد بالبيئة الاجتماعية تسير جنبا الى جنب مع نموه العقلى ، اذ لاحظ أن الطفل يبدأ حياته بطور تغلب عليه فيه

---

(1). K. Lewin, Dynamic Theory ot Personality, New York : McGraw Hill, 1935. ص ٢٤١

(2) Piagei, J. Judgement and Reasoning in the child, London, Kegan Paul Trench Trubner, 1928 pp; 199 — 256.

الأنانية كما تقوم علاقته بمجتمعه على أساس ذاتى بحت يصل بالتدريج إلى مرحلة النضج الاجتماعى ، ذلك بتطور نمو العقلى وبازدياد ادراكه لمدى اعتماده على أفراد المجتمع الذى يعيش فيه فى سد حاجاته ، وهكذا تنمو وتطرد علاقته بالمجتمع فتصبح علاقة منطقية ترمى إلى اكتشاف العلاقات والارتباطات التى توثق صلته بالأفراد الذين يحتك بهم وبالأشياء التى يحتاج إليها مثل هذا الإدراك يضع الفرد فى الإطار الاجتماعى الصحيح وهى عملية أساسية يتوقف عليها تكيف الفرد الاجتماعى ـ ذلك ما أشارت إليه الدراسات المختلفة (١) التى لاحظت اضطرار الفرد إلى انشاء إطار نفسى داخلى حينما يعجز عن إيجاد اطار خارجى يرجع اليه المظاهر المختلفة المحيطة به ، بيد أن هذا الإطار الفردى ما يلبث أن يتحول إلى إطار اجتماعى وذلك عن طريق تقارب المستويات الفردية الذاتية للأفراد الذين يكونون جماعة ما حتى يتخذوا معياراً واحدا لهم . بهذه العملية يتم خضوع الفرد فى أحكامه لمعايير الجماعة كما يتلون سلوكه بوجهة اجتماعية معينة تملى عليه اختيار بعض نواح خاصة من البيئة يستجيب لها دون غيرها من العناصر الأخرى .

كما كان لظهور علم الاجتماع فى القرن التاسع عشر أثره الهام فى توجيه بعض أبحاث علم النفس الاجتماعى إلى وجهة أدت إلى دراسة سيكلوجية الجماعة والرأى العام والشائعات والانتخابات (٢) ـ وكلها دراسات تتناول مظهرا من مظاهر تكيف الفرد بالمجتمع الذى يعيش فيه . غير أنه لوحظ أن الإسراف فى الاعتماد على علم الاجتماع أدى إلى بعد الباحث عن الميدان الحقيقى لعلم النفس الاجتماعى ، وذلك لأن هناك فرقا واضحاً بين أبحاث علم الاجتماع وهى التى تتجه أساسا إلى دراسة الجماعات المختلفة

---

(1) Sherif, M. The Psychology of Social Norms, 1936 Chapter 6 pp 8q — 112
Sherif, M. An. Outline of Social Psychology, Harper and Brothers, Publishers New York; 1942 Chapter 7 pp 156 -201

(١) علم النفس الاجتماعى : فؤاد البهى السيد — دار الفكر العربى الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٨ ص ٣٣

أكثر من تلك الدراسات التى تعنى بتسليط الأضواء على دراسة سلوك الفرد فى الجماعة وهو ما يعنى به أساسا علم النفس الاجتماعى كما سبق لنا توضيحه[١].

وكما استفاد علم النفس الاجتماعى بأبحاث علم الاجتماع فقد استفاد أيضا بأبحاث علم النفس الفردى، ذلك الذى أحرز تقدما كبيرا فى الأعوام الأخيرة بفضل المقاييس الموضوعية التى تحاول قياس سلوك الفرد فى المواقف المختلفة لاسيما مايتعلق منها بتعليمه وتعلمه فأمكن بهذا معرفة قدرات الفرد العامة والخاصة . كما أمكن قياس ميوله واتجاهاته ، هذا إلى العناية بدراسة شخصيته وتحليل أبعادها المختلفة ونواحيها المتعددة[٢].

وإذا اتضحت أهمية موضوع دراسة سلوك الفرد الاجتماعى اتجه العلماء إلى وضع مقاييس لدراسة هذا السلوك دراسة موضوعية ، وكان الهدف من وراء ذلك تنظيم العلاقات بين الأفراد والمجتمع من ناحية ، وتسهيل عملية التكيف الاجتماعى فى ضوء النتائج التى يصلون إليها من ناحية أخرى ذلك لأن أقصى ما تصبو إليه البشرية هو بناء مجتمع سليم تتحقق فيه المساواة بين أفراده بتكافىء الفرص للجميع فى حدود قدراتهم وطاقاتهم المختلفة بذلك يمكن توجيهها توجيها يؤدى إلى خدمة المجتمع إلى جانب رعاية مصالح الفرد ، كما اتجهت[٣] الدراسات إلى إجراء محاولات لتغيير سلوك الفرد إلى وجهة مرسومة والعمل على تغيير طرق استجاباته للمثيرات الاجتماعية المختلفة حتى تتلاءم مع الإطار الاجتماعى . هذه الدراسة الموضوعية تقدمت خطوات إلى الأمام بفضل استخدام علماء النفس الاجتماعى والمصلحون الاجتماعيون لقواعد علم الإحصاء ، فتمكنوا بذلك من دراسة سلوك الفرد فى المجتمع دراسة موضوعية ، أمكن الاستفادة

(1) Sherif : An Outline of Social Psychology.
المرجع السابق . الفصل الأول صفحات ١ - ٦ .

(2) Greene, Edward B. Measurements of Human Behavior : The Odyssey Press New York, 1941.

(3) David Krech & Richard S. Crutchfield Theory & Problems of Social Psychology New York McGraw—Hill Book Compan, Inc. 1948 Chapter VI pp. 175 — 204.

بنتائجها فى دراسة مواقف اجتماعية جديدة رؤى إدخالها بعد تعديلها حتى تتلاءم مع المجتمع القديم إذ من المستحيل أن نتصور إمكان نقل نظام من النظم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية من مجتمع إلى آخر دون أن نأخذ بعين الاعتبار الظروف المختلفة التى تحيط بكل من المجتمعين .

هذه الطرق المختلفة التى تستخدم فى تقدير مدى نشاط الفرد الاجتماعى وتحديد نوع اتجاهه ، سلبيا كان أم إيجابيا ، هداما كان أم بناء تعانى عيوبا[1] كثيرة لاداعى للخوض فى ذكرها وإن كان من الواجب أن ننبه إلى غرابة هذه الطرق والقياسات على البيئة . معنى هذا تفضيل القياس النابع من البيئة التى هى موضع الدراسة والتجربة بدلا من قياس وضع لبيئة أخرى ، وطبق بنجاح فيها ، ذلك لأن الجنس البشرى وإن تشابه فى أهدافه واتجاهاته إلى حد ما ، وذلك بسبب تشابه الدوافع والحاجات الأساسية التى تدفع أفراده إلى اتخاذ سلوك معين ، إلا أن طرق إرضاء هذه الحاجات والوصول إلى هذه الغايات تختلف باختلاف الظروف التى يوجد فيها أفراده ، سواء كانت زمانية أم مكانية أم اجتماعية . هكذا نرى اختلاف الطرق التى تؤدى إلى إشباع الغريزة الجنسية التى تعتبر دافعاً أساسيا فى حياة الجنس البشرى ، باختلاف العادات والتقاليد والأطوار الذى تمر بها الشعوب المختلفة .

يتضح من هذا العرض مدى الحاجة إلى دراسة سلوك الفرد الاجتماعى دراسة واقعية ، تراعى فيها تقاليد الشعب ومعتقداته وعاداته وتجاربه وخبراته ، وجميعها مستمدة من ماضيه الممتد إلى حاضره ومستقبله . بهذا فقط يمكن أن نرسم لهذا المجتمع خطوط مستقبل تطوره على أسس من واقعيته ، يسير عليها أفراده دون أن نعرضهم للوقوع فى خطر الصراع النفسى بين قديمهم وحديثهم وبهذا يمكن أن نؤسس عملية التكيف الاجتماعى على دعائم أصيلة .

---

(1) Greene, Edward B.

المرجع السابق صفحات ٦٠١ — ٦٣٧

معنى هذا أن لكل مجتمع له صفة الدوام والاستمرار والاستقرار طابع خاص واتجاهات محددة وأهداف واضحة ، هكذا تميز المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى بطابع معين واتجاهات وأهداف واضحة ، فهو يرمى إلى تنشئة المواطن تنشئة اجتماعية قائمة على فهم وتقدير لروح الشورى ، والتكاتف فى سبيل المصلحة العامة ، كما كان على المهيمنين على مثل هذا المجتمع الاستفادة بنتائج الأبحاث التى تناولت دراسة العلاقات الاجتماعية المختلفة حتى يكونوا حذرين فطنين إلى مايترتب على عملية التعديل والتغيير والتطوير . . وهم يستعينون بمختلف الطرق والقياسات الجديدة أو المعدلة حتى تصبح متفقة ومتلائمة مع البيئة التى تستخدم فيها ، وحتى يمكن الاستفادة بنتائجها استفادة عملية .

ونحن إذ نتناول بالبحث والدراسة موضوع التكيف الاجتماعى فى مجتمع عربى مصرى ، سنعمد إلى وصف لهؤلاء الأفراد الذين يكونون هذا المجتمع أولا ثم نعرج على وصف البيئة الجديدة التى يعيش فيها هؤلاء الأفراد ثم نعرض للطريقة التى اتبعت لمعرفة مدى إمكان تكيف الأفراد بهذه البيئه .

الفصل الثانى

نحو مجتمع أفضل

الفلاح المصرى بين القديم والحديث

بينا فيما تقدم كيف أن عملية التكيف ، تتضمن معنى تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد ، فى إطار اجتماعى له طابعه المميز . . كما بينا أيضا كيف تخضع هذه العملية ، لعوامل زمانية مكانية اجتماعية ، وأوضحنا أهمية دراسة الفرد وسط جماعته باعتباره الخلية الحية لها هذا إذا مارغبنا فى فهم عملية التكيف فهما صحيحا ، فإذا كان هدف هذا البحث هو إلقاء بعض الضوء على عملية التكيف الاجتماعى فى بيئة أعدت إعداداً خاصاً ، فلا بد إذن من التعرض لوصف هؤلاء الأفراد الذين يكونون هذه الجماعة التى سيتناولها البحث بالدراسة والتعليق . . كما نتعرض لتحديد آمالهم واتجاهاتهم .

غير أن معالجة هذه النقطة ليست بالسهولة التى يتصورها البعض ، فهناك صعوبات تحول دون الوصول إلى رأى قاطع محدد بشأن مكونات شخصية الفلاح المصرى العربى وهذا راجع إلى أسباب منها : قلة المصادر التى تناولت هذا الموضوع تناولا يرضى مقتضيات البحث الحديث والى ندرة الدراسات الموضوعية التى تعززها الإحصائيات الهامة التى تبين نوع هذه الصفات والعادات المتوارثة بين ساكنى الريف بالإقليم المصرى ، فضلا عن هذا ، فإن المصادر التى تعرضت لهذه الناحية والتى مازال الكثير من الكتاب يستقون مادتهم [1] منها ، كتبت فى قرون ماضيه ، كما أنها تعرضت أساسا لصفات ساكنى المدن أو العواصم ، وأغفلت ذكر الفروق التى

(١) المقريزى : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار.
(٢) الجبرتى : عجائب الآثار فى التاريخ والأخبار .

يحتم وجودها اختلاف البيئه والمهنه والظروف التاريخيه المحلية .

ومما يزيد الأمر صعوبة ، عدم توضيح الدارس ما يعنيه بالصفات المجردة التى كثيرا ما يطلقها جزافا دون تدقيق ـ لاسيما وأن معاجم اللغة تتضمن ألفاظا لها معان شتى ودلالات متعددة . . . فمثلا : « التوكل والتواكل » كلمتان كثيرا ما استعملتا فى التعبير عن معنى الكسل والتراخى . . . مع أن الفرد قد يكون متواكلا وفى نفس الوقت غير متكل ، والعكس صحيح . . وإذا كانت الأولى تحمل معنى التراخى والكسل وعدم تقدير المسئولية ، فإن الثانية تحمل معنى اعتماد الفرد على القضاء والقدر وإيكال أمره إلى الله والاستسلام لتغيرات الظروف وتقلبات الأيام . هذا إلى اختلاف المستويات والمعايير التى يتخذها الكاتب ولا سيما ما يتعلق بالسلوك الاجتماعى ـ تتغير هذه بتغير البيئة والتقاليد والعرف والعادات ـ فهناك فرق بين المستويات المادية والمستويات المعنوية . . فضلا عن هذا فنحن فى مرحلة انتقال ، من مجتمع زراعى بحت إلى مجتمع زراعى صناعى تتغير فيها الأوضاع والمستويات والمعايير حتى أنه ليصعب على الفرد أن يبت فى أمرها بصفة قاطعة .

ولكى نبرهن على ما سبق أن ذكرناه ، نورد بعض الأمثلة التى تظهر غموض التعاريف من ناحية والتضارب من ناحية أخرى .

جاء فى قاموس [١] العادات والتقاليد والتعابير المصرية فى معرض وصفه للفلاح : « أنه . . ذلك الرجل من أهل الريف الذى يفلح الأرض » . ثم ينقل نقلا حرفيا ما جاء بكتاب « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف . . . إن أهل الريف طبعهم كثيف وأخلاقهم رذيلة وذواتهم ضئيلة ، ونساؤهم مزعجات » فماذا عنى

---

(١) تأليف الاستاذ أحمد أمين ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٣١٠ ـ ص ٣١١ . سنة ١٩٥٣ .

الكاتب والناقل بطبع كثيف . . وذوات ضئيلة وأخلاق رذيلة ؟ ؟

هذا إلى جانب بعد الكثير من هذه الصفات عما عرف عن العربى من كريم خلال — من ذلك ما قاله ، صاحب هز القحوف عن كرم الفلاح :

إن حصل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيسار ! !

نفهم من هذا إما أن يكون العدس والبيسار ، هو كل ما يملكه الفلاح ، وإما أنه يكون بالاضطرار ، فهذا مالا يوافق عليه إدوارد وليم لين[١] إذ قال فى معرض حديثه عن كرم المصريين : « إن الضيافة فضيلة فى الشرقيين تثيرالإعجاب الحق للغاية ، ويستحق المصريون من أجلها كل ثناء » .

كذلك ورد فى نفس مقالة الأستاذ[٢] أحمد أمين حينما تعرض للحديث عن قوة إيمان الفلاح وتدينه ما يلى : « فهم ملازمون للمحراث ، دائرون حول الزرع ، غاطسون فى الجلة[٣] والطين ، غير مكترثين بالصلاة والدين » ! !

قارن هذا بما جاء فى مصدر آخر[٤] :

فأبناء المجتمع القروى ، على عكس أبناء المدينة يعيشون فى كفاح دائم وصراع مستمر درءاً لخطر الطبيعة ؛ ولما كانت الطبيعة دائماً فوق إدراك القروى ، ولا يستطيع السيطرة عليها بإمكانياته البدائية ، لذلك فهو يعيش تحت رحمتها . ولهذه الظروف أثرها العميق فى نفسيته وفى تكوينه وفى طبيعته . . ولذا نجد أن القروى تغلب عليه الناحية الدينية ، فهو متمسك بأهداب الدين ، يطلب على الدوام الرحمة والعون من خالقه » .

---

(١) المصريون المحدثون . شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر . ترجمة عدلى طاهر نور مطبعة الرسالة سنة ١٩٥٠ ص ٢١٢ .

(٢) أحمد أمين : المرجع السابق ص ٣١٠

(٣) الجلة والطين — روث البهائم .

(٤) المجتمع المصرى خصائصه ومشكلاته محمد طلعت عيسى — مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧ ص ١٧ .

وليس هناك أسوأ من وصف للفلاح يشتم منه تنكره للجميل ، ورغبته فى إيقاع الأذى بالغير طالما وجد لذلك سبيلا ، قال :

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبداً فإن إكرامهم فى عقبه ندم

يبدو الصياح بلا ضرب ولا ألم سود الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا !!

وكثيراً ما نجد تضاربا فى أقوال الكتاب الواحد . من ذلك ماجاء فى كتاب المجتمع المصرى[١] : أما عن العادات والتقاليد فى الأسرة المصرية فهى تكاد تكون واحدة فى الريف وفى المدن ، وإذا كان هناك بعض مظاهر الخلاف فهو خلاف طفيف

وفى موضع آخر[٢] يقول الدكتور : « أن العادات فى مجتمع القرية تكاد تكون جامدة لا تتطور باختلاف الظروف ، ولا تتبدل مع تحول الاتجاهات ، فالعادات فى المجتمع المصرى لا تجد من الحوافز مايزعزها ، ولا تقابل من العوامل الجديدة ما يجعلها تساير التطور الاجتماعى . فالحياة فى القرية تسير على وتيرة واحدة ، والتحول فيها بطىء نسبيا ، والاستجابة الفردية فيها تكاد تكون معدومة ، وهذا على عكس مانراه فى مجتمع المدينة حيث تدور عجلة الحياة عنيفة ، وتتغير القيم وتتبدل من وقت لآخر بصورة ملموسة — وحيث يكون للفرد حريته فى الاستجابة لهذا التغير ، مما يجعل أثر العادة ضعيفا ، ومما يساعد فى نفس الوقت على التكيف مع الظروف المختلفة بصورة تلائم طبيعة العصر وظروف الحياة فيها .

فهل كل هذا الفرق الشاسع بين عادات الحضرى والريفى يعتبره الكاتب خلافات طفيفة ؟

فريق آخر من الكتاب ، لايكلف نفسه مشقة مناقشة الفروق والخلافات بين أفراد المجتمع العربى ، ويكتفى بإبراز الصفات المشتركة بين ساكنى هذه المعمورة ، معتمدا على عناصر مشتركة أدت إلى تماسك هذا العالم العربى ووحدته كالجنس

---

(١) أحمد أمين المرجع السابق ص ٣١٠

(٢) الدكتور محمد طلعت عيسى المرجع السابق ص ١٧٦

(٣) المرجع المذكور ص ١٦

اللغة والدين والتراث الماضى ووحدة الأهداف والآمال والآلام[١] .

وهذه الطريقة وإن حققت أهداف الكاتب فى دراساته السياسية إلا أنها لاتقنع الباحث الاجتماعى الذى يهمه تحديد تأثير ظروف البيئة بأبعادها الأربعة فى المكونات الشخصية للجماعات التى يتناولها بالدراسة — ليس معنى هذا التقليل من أهمية العوامل العامة فى تأثيرها على حياة الفرد والجماعة ولكن معناه قصورها الظاهر عن تحقيق أهداف الباحث الاجتماعى الموضوعى .

وهناك سبب آخر يفسر هذا التناقض بين الكتاب هو اختلاف المقاييس والمعايير التى يتخذها الواحد فيهم فى حكمه على صفة من الصفات أو عادة من العادات أو اتجاه من الاتجاهات لأن المعايير الاجتماعية تختلف باختلاف البيئة والتقاليد والعرف الاجتماعى . مثال ذلك — إشادة الأوروبيين بالوحدة الظاهرة بين أفراد الشعب العربى ، من ذلك ما نقله الدكتور أحمد سويلم العمرى[٢] عن المؤرخ توينبى من أن العربى يشعر بأنه فى داره ما دام فى بلاد عربية إسلامية ؛ فالحجازى أو النجدى أو المصرى أو العراقى أو المراكشى أو التونسى وهكذا ، لا يجد فرقا فى الجو الاجتماعى وروح الحياة العربية وعقليتها السياسية بين الرباط وتونس والجزائر والقاهرة وجدة ودمشق و بغداد والبصرة .

هذه الوحدة فى «الجو الاجتماعى وروح الحياة العربية» لا يراها بعض الكتاب العرب . من ذلك ما ذكره « عدلى طاهر نور[٣] » فى مقدمة ترجمته « إن مصر ابتداء من القرن العشرين أخذت تحت الخطى فى سبيل المدنية الغربية ، وقد

---

(١) بحوث فى المجتمع العربى الدكتور أحمد سويلم العمرى ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٠ الطبعة الأولى . ص ١ إلى ص ٩٩ .

(٢) نقل عن أحمد سويلم العمرى المرجع السابق ص ٥٧ .

(٣) مقدمة المرجع السابق — المصريون المحدثون .

قطعت فى تلك السبيل مراحل كادت تبعد الجيل الحاضر عن سنن ماضية وتنسيه شمائل قومه ، فانتشرت العادات الأوروبية بالمحاكاة والاقتباس وانكمشت العادات المصرية ، وعلى الأخص فى المدن بالمجاقاة والترك ، فبعضها إلى الزوال و بعضها إلى الاضمحلال وأكثرها إلى المسخ على تفاوت ذلك بين طبقة وطبقة و بين مصر ومصر .

واضح جداً أن كلا الكاتبين اتخذا لنفسيهما مستويات ومعايير مختلفة : واحد منهما ينظر إلى تفكك الغرب وعدم قدرته على الوحدة فى جو اجتماعى كما هو الحال بالنسبة للعالم العربى . وواحد يخطئ فى أحكامه فيتخذ المستوى المادى معياراً ومقياساً للتغير الذى يراه فى المجتمع الحضرى الحديث أى أنه لم يفرق بين المستوى المادى والمستوى المعنوى حينما أصدر حكم على تغلغل العادات الأوروبية فى حياة الشعب المصرى الاجتماعية هذا الرأى يؤيده أكثر من كاتب[١] .

صورة أخرى من التضارب فى أقوال الكتاب تتضح لو حللنا العوامل التى يفسرون بها السلوك الاجتماعى للأفراد — إذا ما أجمعوا على ظاهرة اجتماعية معينة كظاهرة المرح وحب الفكاهة . يقول لين[٢] « يميل المصريون خاصة الى الهجاء، وكثيراً مايظهرون ذكاء فى تهكمهم ومرحهم ، وتساعدهم اللغة العربية على استعمال التورية والحديث المبهم الذى يتهكمون فيه بكثره » . فى الوقت الذى يقول أحمد أمين[٣] » : اشتهر المصريون بالفكاهة الحلوة والنوادر المضحكة ولهم طابع .

---

(١) مقدمة كتبها مرسى سعد الدين لكتاب :

E. W. Lane. Manners And Customs of The Modern Egyptians London J. M. Dent an Soms Ltd. 1954

(٢) المرجع المذكور : الترجمة العربية ص ٢٢٧

(٣) المرجع المذكور : أحمد أمين ص ٣٠٩

خاص فى تهكمهم وهذا الطابع يعتمد على الألفاظ واللعب بها والتورية أكثر من الذكاء ! ! » .

ولست أدرى كيف ينجح الإنسان فى استخدام التورية والاستعارة والكناية الى درجة يفهمها السامع و ينفعل بها وهو يعتمد فى هذا كله على مجرد لعبه بالألفاظ ؟

حتى اذا اتفق البعض فى تعليل ظاهرة من الظواهر نراهم ينظرون اليها من زاوية واحدة ونسوا أن مثل هذه الظواهر كالعادات المتأصلة لا يمكن تفسيرها بعامل واحد فقط . مثال ذلك تمسك الريفيين بالخرافات والأوهام واستسلام للمعتقدات المتوارثة عزاها أكثر من كاتب الى عامل الجهل . فيقول الأستاذ أحمد أمين[١] : « الحق أن المصريين يفوقون غيرهم فى الخرافات والأوهام والاعتقاد فيها عادة يلازم الجاهل سواء كان متدينا أو غير متدين فإذا زال الجهل زالت . ولذلك ترى أنه كلما أغرقت قرية من القرى فى الجهل كثرت فيها الخرافات » .

ويقول الدكتور محمد طلعت عيسى[٢] : « ان أفراد المجتمع القروى يسودهم الاعتقاد فى الخرافات والاستسلام المعتقدات المتوارثة ، شأنهم فى ذلك شأن أى فرد قلق جاهل لا يعرف لماذا تهب الرياح و يعللها بأنها غضب من عند الله » !!

ونحن اذ نتفق مع الكاتبين فى أن للجهل دخلا كبيراً فى التمسك بهذه العقائد والخرافات . الا أننا نرى أن هذا العامل لا يفسر هذه العادة المتغلغلة فى النفوس ، منذ أقدم العصور[٣] أى منذ عهد الفراعنة. والا فكيف نفسر تعلق سكان المدن

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٩ ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨ .

(٣) أحمد أمين المرجع السابق ص ١٩٠

بقراءة الكف والفنجان ، مع أنهم أصابوا من العلم حظا غير قليل ، وكيف نفسر تنبؤات الفلكيين بالأحداث الهامة التى تقع فى كل عام وعناية بعض الصحف بنشر « حظك اليوم ! ! » .

بل والأدهى من ذلك والأعجب أن نرى أستاذ لعلم الطبيعة يكون جمعية لتحضير الأرواح ! ! . . كما رأينا كيف جنت بعض الصحف بالدعاية المتواصلة المبالغ فيها للاتصال بالأرواح بطريقة « السلة !! » .

فكما نرى أن هذه العادة لايمكن أن تزول بزوال الجهل ، كما يقول الكاتبان ، بل لأن لها جذوراً تاريخية عميقة ، كما ترجع الى عدم الاستقرار النفسى ، الذى يعتبر من أقوى الدوافع النفسية الى استكناه الغيب والوله بالكشف عن المستقبل .

وهى ظاهرة تسود المجتمعات الراقية والمجتمعات المتخلفة بنسب متفاوتة ولا سيما فى مراحل الانتقال التى يشوبها القلق والخوف مما يضمره المستقبل فى طياته ، وأثناء الأزمات التى تهدد الإنسانية بمصائب ونكبات . ولقد عالج لين Lane هذه المشكلة[1] و بين كيف أنه حضر تجارب من هذا النوع وكيف دهش لما حدث فى الاتصال بالأرواح بالطريقة المعروفة « بالمندل » .

سبب آخر يدعونا إلى الحذر فى تقبل مثل هذه الآراء فيما يتعلق بالمجتمع الريفى المصرى ذلك أن كثيراً من الكتاب قد درجوا على النقل من مصادر ترجع إلى قرون ماضية دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الإشارة إلى المرجع ، كما أن من المستحيل أن يظل المجتمع مهما كان جامدا نسبيا دون تطور ولا سيما إذا كان المجتمع المحلى

---

(١) المرجع السابق — الفصل العاشر والحادى عشر ص ١٥٥ — ص سنة ١٨٠ .

متصلا بالمجتمع الخارجى عن طريق التجارة أو العمل فى الخارج كما يحدث اليوم عادة فى حالة هجرة أبناء الريف بعد أن ضاقت بهم السبل فى القرية للعمل فى المدينة والعودة إلى مقرهم الأصلى حاملين أفكاراً جديدة .

من هذا ما جاء فى تقرير بورنج[١] عن الفلاح من أنه لايعبأ بالمستقبل ولوترك وشأنه فى أمن وسلام ، يزرع أرضه ويروى بماء النيل ما يحف بشاطئيه من تربة خصبة ، لما كانت هناك حياة أسعد، تصبو إليها نفسه أو تطوف صورتها بخياله ، ومع أنه دءوب على العمل ، فهو يقنع بأن يكون له نصيب ضئيل من ثمرة كده وكدحه .

ولقد ورد هذا المعنى فى مصدر آخر كتب بعد مائة وعشرين عاما حيث يقول الكاتب[٢] :

« إن القروى يفتقر إلى الطموح فهو يعيش دون أمل يدفعه الى التخصص فى عمل معين أو أن يرتقى فى السلم الاجتماعى . درجة أعلى مما يعيش فى مستواها ، وهذا على عكس مانجده فى المدينة حيث يدفع الأمل فى الترقى أفراد المجتمع الى الطموح .

وكم كان يجمل بالكاتب أن يضع فى حسابه عامل الزمن الذى يفصل بين بحثه وبحث الكاتب الذى سبقه بنحو المائة والعشرين عاماً . فالقرية المصرية فى تطور مستمر دائب وإن لاح أنه بطىء ، ذلك لأنها لا تعيش فى عزلة المجتمعات الصحراوية أو مجتمعات الجزر النائية .

ولقد كان النيل دائما شريانا يربط سكانه ، كما كان تبادل المنفعة وسيلة لهذا

---

(١) بناء دولة مصر محمد على تأليف محمد فؤاد شكرى ، دار الفكر العربى ص ٣٨٦ .

(٢) محمد طلعت عيسى . المرجع المذكور ص ١٨ ص ١٩

الربط. معنى هذا أن القرية المصرية ليست منعزلة إطلاقا عن الأحداث السياسية فى مصر أو العالم العربى، كما لم تعد منعزلة عن النهضة القومية، وأساسها أحداث الثورة المصرية الأخيرة. وما تلاها من اصلاحات فى جميع الميادين الاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية والطبية كالتجنيد الإجبارى ، والإصلاح الزراعى وسياسة التصنيع ، وتأميم قناة السويس كذلك لم تعد منعزلة عن الوعى الصحى المنتشر فى المدينة . أى أنه يمكن اعتبار القرية المصرية كتلك القرية التى وصفها Redfield[1] ، بأنها تلك التى لم تستقل استقلالا تاما عن المدن هذا على الرغم من الركود الذى تتسم به القرية المصرية والذى وصفه بعض الكتاب بأنه « الركود الشبيه بالموت وأرجعه الى فقدان عناصر التوجيه وبث الحيوية بين القوم والى ذلك الدرب الطويل الواسع الذى يفصل بين القرية والمدينة[2] .» فالقرية اذن تعيش على أفكار المدينة ، لأن رجال الفكر وهم أكثر التصاقا بالمدينة عندما يتناولون مجال القرية ، يجىء هذا التناول على هامش الأعمال الفكرية[3] ، لاسيما وقد كثرت وسائل الاتصال الحديثة كالإذاعة والصحافة ، مما أدى الى اتصال القرية المصرية بعاصمة الوطن وبالعالم الخارجى . من أجل هذا يزداد تقديرنا للبحث العلمى الذى قام به الدكتور حامد عمار[4] فى قرية « سلوى » من أعمال مديرية أسوان ، اتبع فيه طريقة بحث علماء الأجناس والحضارة .

---

(1) Robert Redfield: «The Folk society» in American Journal of Sociology Vol. Lll. 1947

هامش ص ٢٩٣

(٢) محمود العزب موسى. إلى القرية — مطابع جريدة الصباح القاهرة سنة ١٩٦٠ ص ٢٨

(٣) المرجع السابق ص ٤٥ —

(4) Hamed Ammar Growing Up In An Egyptian Village, Routledge kegan Paul Ltd, 1954.

وحاول أن يصف لنا القرية المصرية فى فترة انتقالها وأن يحـــدد تماما آمالها وآلامها واتجاهاتها ، كما حاول أن يربط بين التراث القديم والحديث وأن يفسر نتائج تأثير المدينة على القرية . ولهذا كان بحثه ممتعا ومفيدا وفريدا ، ومع كونه هكذا فإننا نتردد فى الاعتماد عليه اعتماداً تاما ، ذلك لأنه ليس من المعقول إمكان تطبيق بحثه بصفة عامة على الريف المصرى كله لاسيما وأن القرية التى هى موضوع البحث قرية من قرى الصعيد ذات التقاليد المعروفة والتى تختلف إلى حد كبير عن تقاليد قرى الوجه البحرى لاعتبارات متعددة من بيئية وتاريخية .

فى ضوء ما تقدم نستطيع أن نـكشف عن الإطار الاجتماعى الذى يعيش فيه القرويون . ويمكن أن نطبق وصف لين Lane [1] عن حياة الشعب فى القاهرة فى القرن التاسع عشر على الحياة فى القرى المصرية اليوم . وصف يبين الجماعة داخل إطار دينى مختلط بالخرافات والمعتقدات وتبرز فيه المعالم البارزة فى القرية من مكانة الأسرة ومكانة الجامع ومكانة العمدة ومكانة السلطة الادارية .

إن أول ما يسترعى الباحث هو وحدة الهدف والغايات فى القرية المصرية . . . تلك التى تبدو وثيقة الصلة بإرضاء الحاجات الفسيولوجية لهذه الجماعات ، وعلى رأسها الحاجة إلى الغذاء — ولقد استطاع النيل أن يكون عبر التاريخ عاملا هاما من العوامل التى ربطت بين أفراد الشعوب التى تسكن على ضفافه — كذلك كان وسيلة وحدت بين أهدافهم وغاياتهم ، وللنيل أثره فى تعلق الفلاح بالأرض التى يزرعها تعلقـا شـــديداً إلى درجة لفتت أنظار الـكتاب الأوروبيين [2] . . « حبه للوطن قوى عميق . . . القومية لديه هى ما يربطـــه بقريته من

---

(١) المرجع السابق . . المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر .

(٢) بناء دولة مصر المرجع السابق ص ٣٨٥ و ص ٣٨٦

أواصر المحبة وإنها لوثيقة . . هذا الحب للوطن يستند إليه الكاتب فى تعليل تسلط الغزاة على البلاد طائفة إثر طائفة ، دون أن يلقوا أية مقاومة من جانب أهلها .

« ولم يكن ذلك — كما يقول — راجعاً إلى عدم تعلق المصريين ببلادهم ، فهم يحبونها بكل جارحة من جوارحهم ، وإنما يرجع كذلك إلى أنهم يمقتون الحياة العسكرية لأنها تباعد بينهم وبين مسقط رأسهم » . ومع ما فى هذا التحليل من مبالغة ، فإنه يعنى فى الواقع حب الريفى لقريته ، وبالتالى مقاومة للهجرة ، مهما بذل له من إغراء ، ورغم مايلوح له بمجد وبفرص للكسب العظيم . ولقد أيد هذه النقطة الباحثون المصريون الحديثون[1] .

على أننا بدأنا نلمس تغييرا ينتاب بعض سكان القرى المصرية ، مدفوعين بالحاجة الطبيعية للطعام ، فعندما تضيق السبل المادية بشباب القرية ، يتطلعون إلى الهجرة للمدينة ؛ حيث الأمل فى الثروة والغنى . لهذا فإن الاتجاه الملحوظ فى القرى اليوم ، تقليد المدن ولاسيما فى مظاهرها المادية ، ولكن ما يقلده القرويون ليس الطابع الأوربى ، كما يفعل أهل المدينة ، ولكن الطابع العربى للسكان المسلمين بالمدينة[2] .

كذلك أدت طبيعة حياتهم التى تعتمد اعتمادا كبيرا على الأرض وماتنتجه ، إلى تماسك أفراد الأسرة الواحدة ، فالأسرة فى الريف هى الوحدة الاجتماعية والتى تتركز حولها حياة الفرد ، ففى نطاقها يجد أفرادها مايشبع حاجاتهم ، وفى تكاتفهم للكفاح الدائم ضد الطبيعة ، طلبا للرزق ، وفى انتمائهم إليها ، يجد مكانته الاجتماعية ومن أجل هذا كثيرا ماذابت شخصية الفرد فى شخصية أسرته ، ومركز الأسرة يتوقف على مقدار ما تمتلكه من أرض ، كما هى العامل الرئيسى الذى يحدو بأفراد

---

(١) مشروع الخدمة العامة . جامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم الدراسات الاجتماعية سنة ١٩٥٨ ص ٨٥ .

(١) المرجع السابق ص٧٦ Amman

الأسرة الواحدة التجمع فى منزل واحد . لاسيما فى حياة الأب ، حيث لم يكن من المستطاع أن يرث الأبناء الأرض ويتوقف تعاون الأخوين بعد موت والدهم على عدم تفتيتهم لما ترك من أرض بالتقسيم ، ومعيشتهم فى منزل واحد . أما إذا حدث التقسيم فإن تعاون أفراد الأسرة الواحدة يتمثل فى تبادل المنفعة مثل إعارة النقود والحيوانات أو المحصولات — غير أنه من الخطأ أن نظن مع الكثيرين الذين وقعوا فى خطأ تأكيد التعاون المادى بين أفراد الأسر الممتدة أى التى تنتسب إلى أصل واحد[1] وإنما يظهر التعاون فى تماسك أفراد الأسرة حيال الظروف الخارجية التى تهدد كيان الأسرة . . عندئذ تظهر العصبية بصورة واضحة ، فالأفراد يعادون الشخص الذى يعادى الأسرة ، كما يتكاتفون فى المعارك الانتخابية . كذلك تصر على تطبيق قوانين عامة على أفرادها المرتكبين للاخطاء ، حتى لا يعلق باسم الأسرة ما يشينها كذلك لابد من مجاملة أفراد الأسرة لبعضهم فى مناسبات الأفراح والأحزان .

والأسرة الريفية مازالت تعتمد على محور القرابة الأبوية ، فالصلة بين أبناء العم أقوى منها بين أبناء الخال والترابط بين الأصلاب أكثر منه بين فروع الأرحام . . والزواج يفضل من أولاد العمومة ثم من الأقارب . . واحترام سلطة الأب تصل إلى حد تحكمه فى مصير الأبناء ، هو الذى يسير أمورهم حتى فى المسائل التى تتعلق بالزواج والطلاق .. وكما يظهر الإبن احترامه لوالده فإنه يظهر احتراما زائدا للمسنين وبخاصة من اشتهر بينهم بالتقى والعلم[2] .

هذه علاقات قد حددتها الشريعة ، وثبتتها العادات والتقاليد . . وأما احترام القرويين لرجال الدين فهو مؤسس على حقيقتين :

---

(١) عمار — الكتاب المذكور ص ٤٢

(٢) Lane الكتاب المذكور ص ٢١٦

١ — معرفة القرآن الكريم . مع أداء الفروض الدينية . والخوف من الله ويوم الحساب .

٢ — الوراثة : فهناك اتجاه أن يرث الابن العلم عن أبيه .. كما يرث النجار أو الحداد هذه الحرفة عن أبيه .

غير أنه من الملاحظ أن من هذا الاتجاه الأخير بدأ يصيبه بعض التغيير، فلقد ذكر الدكتور عمار (١) أن حفاظ القرآن فى القرية بدأوا يفقدون مكانتهم الاجتماعية بالنسبة «لعلماء المدينة» كما أصبح ينظر إليهم بأنه لا فائدة يمكن أن تجنى من ورائهم ، وكثيراً ما ينظر إليهم بأنهم شرهين ، راغبين فى ملء بطونهم أثناء المآتم والحفلات .

كذلك فإن القرية بدأت تشعر بتأثير الحياة الحضرية على حياتها الاجتماعية ، هكذا بدا تماسك الأسرة التقليدى ، يفقد بعض عوامل استمراره ... يلاحظه الباحث فى بوادر منازعة سلطة الأب أو سلطة الكبار سلطانهم ، وفى تنافس الجيل الجديد للقديم لا سيما بعد صدور قانون الأصلاح الزراعى وتحديد الملكية ، والقضاء على نفوذ الطبقة المالكة هكذا لم تعد الأرض مصدر امتياز وسلطة يتمتع بها الأفراد الذين ينتمون إلى أسرة تمتلك منها ما يمكنها من الظهور والتعالى على غيرها ... وهكذا بدأت رغبة غامضة تلوح فى أذهان الجيل الجديد ، ونتجه نحو ضرورة اعتماد الفرد على نفسه وليس على أسرته ، وأن كل شخص لابد من أن يعنى بأموره الخاصة .

كما نلحظ التغيير فى سلطة العمدة ، ذلك الذى ظلت القرية المصرية تعيش فى فى حمايته زمنا طويلا .. والذى كان يختار عادة من بين العائلات ذات النفوذ والعصبية فى القرية بالضبط كما كان يوكل أمر تدبير شئون القبيلة لشيخها ، وإن كان اختيار الاخير يتم على أساس إجماع شيوخ القبيلة عليه فى حين

---

(١) عمار المرجع المذكور ص ٨٣ .

أن العمدة كان يعين من قبل الحكومة من ذوى العصبية ممن كانت تساعده أملاكه على استقبال الضيوف واستضافتهم ، والأخذ بيد المحتاج ، والعمل على إصلاح شئون القرية .

كذلك درجت الحكومة على إطلاق يد العمدة فى شئون القرية ، فأصبح المتحكم فى الممتلكات ، يلقى فى السجن من يشاء ، ويتخلص بالقتل ممن يشاء . وكان « دواره » قبلة رجال الحكومة القادمين من المركز أو العاصمة للنظر فى بعض شئون القرية ، الأمر الذى كان يزيد فى مهابته وسلطته .

وعندما كان يتولى شئون مصر حزب من الأحزاب السياسية ، درج على تقريب أنصاره واقصاء خصومه ، الأمر الذى أوقع العائلات الريفية فى نوع من التشاحن وآثار البغضاء والانقسام بين المجتمع الريفى ، وإحياء نعرة العصبية القديمة بسبب التنافس فى الانتخابات وسارعت العائلات بمد يدها إلى الأنصار ، تشترى النفوذ بالمال وبالمناصب ، مما أدى إلى انتشار الرشوة والفساد ، وهدد تماسك المجتمع الريفى بالانفصام . .

بيد أننا لمسنا تغييرا كبيراً فى السلطة المشرفة على القرية ولاسيما بعد وقوع أحداث ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وذلك راجع إلى عوامل مادية منها نقص ممتلكات الأشخاص ذوى النفوذ السياسى والمالى والاجتماعى فى القرية ، بسبب تحديدها وتقسيمها بين أبناء الأسرة من ناحية وبسبب قانون الاصلاح الزراعى من جهة أخرى ، وبالتالى عدم استطاعة العمدة فتح داره وبذل معونته لكل محتاج ، واكرامه للغرباء وللمسافرين .

بدأ أهل القرية لهذا يتجهون لا لدار العمدة لتقديم شكاياتهم ، كما كانوا يفعلون فى الماضى ، بل اتجهوا إلى الجهات الرسمية الأخرى الممثلة فى مركز البوليس

وفى مأمور المركز ، أو وكيل النيابة ، وكلهم يمثل الحكومة المركزية . . وإن المثل القائل « عمدة وخالى أطيان » ليدل دلالة واضحة على احتقار العمدة الذى لا يملك ثروة تكفل له القيام بمهام وظيفته من الوجهة الاجتماعية .

هذا إلى أن القضاء على الأحزاب السياسية أدى إلى انهيار ركن هام كانت سلطة العمدة ترتكز عليه . . وأن تغيير « قانون العمد » أدى إلى اختيار أصلح أهل القرية ، على أن يتم الاختيار على أساس الانتخاب ، وأن يتغير العمدة كل عشرة أعوام حتى يترك لأهل القرية التحكم فيمن يتولى السلطة بينهم .

وفضلا عن هذا فإن زوال سلطة اصحاب الألقاب من باشوات و بيكوات ، وازدياد وعى الفلاح ، عن طريق تثقيفه ثقافة عامة موجهة عن طريق الصحافة والإذاعة أدى إلى إحساس الفلاح بقوميته و بالتالى خروجه عن نطاقه الضيق المحصور فى الإطار المحلى للقرية إلى اطار الوطن الكبير . .

على أن هذا النظام المحلى ، الذى حفظ للقرية شخصيتها فى الماضى ، يمهد السبيل إلى نشر الحكم اللامركزى الذى أخذ فى تطبيقه فى ظل نظام (الاتحاد القومى) وهكذا تنتقل السلطة من شخص واحد كان يعتمد على العصبية إلى أشخاص عديدين يختارون بسبب إمتيازهم بصفات أخرى ، ولقد أشارت الأبحاث الحديثة إلا مدى انتشار الوعى بين أفراد بعض القرى ، فمثلا ظهر أن ٦٩٫٣٪ من مجموع أرباب أسر كفر طهرمس تشير إلى أن زمن الأفراد والحسب والنسب قد زال إلى غير عودة بانبثاق عهد ثورة التحرير ؛ وأن الناس جميعاً سواسية ولا يمتاز فرد عن آخر إلى بعمله وتقواه و إن رأت نسبة ٣٠٫٧٪ من أرباب هذه الأسر عدم اهمال أهمية الحسب بالنسبة إلى جانب أعمال الأفراد[1] .

---

(١) مشروع الخدمة العامة — المرجع المذكور ص ١٦٩ .

ولشدة تمسك الفلاح المصرى بالنظام الاجتماعى السائد ، ولشدة تعلقه بأرضه التى يفلحها ، وصفه الكثيرون من الكتاب بأنه أكثر الناس خضوعا وإذعانا فهو يؤثر الموت على العصيان[١] ، وليس معنى ذلك خنوعه للظلم ، وإنما معناه يأسه من أن ينصفه الباشا أو الحاكم ، وهذا ما ذكره أحد المهندسين الميكانيكيين الانجليز[٢] حينما قال : « ان أغلب ضروب البؤس التى يلقاها الفلاح يمكن ارجاعها الى الحكام ، فهم جشعون مرتشون ، وما يجدى الفلاح كثيراً أن يشكو حاكمه . كذلك عرف الفلاح المصرى بمقاومة الظلم والحيف ، وان لم تتخذ المقاومة شكلها الايجابى دائما ، فلقد عرف عنه الامتناع عن دفع الضرائب المجحفة ، منذ عهد الرومان[٣] ، كما سجل التاريخ قصة تكاتفهم بين الحين والآخر لمقاومة المستبدين والمستعمرين والظالمين فى شجاعة وفى صلابة رأى ، بلغ حد الأصرار[٤] ، ومما يؤيد هذا القول ما ذكره الجبرتى من معاكسة الفلاحين للملتزمين من جامعى الضرائب .. هذا الى شدة حرصهم على كرامتهم حرصا أدى الى تحديهم للمفتشين الانجليز فى أوائل القرن الحاضر الذين كانوا يهزون القرية كلما مروا بها ، من ذلك ماروى عن عمدة قرية البجلات وموقفه من المفتش الانجليزى[٥]

الخلاصة أنه تولد عن هذه الظروف التاريخية التى مر بها الفلاح المصرى، خوفه من الحكومة عموما لأنها مظهر السلطة والتحكم ، والظلم، ومن أجل هذا كان فى البعد — كما يقال — عن الحكومة غنيمة .

هكذا ربط الفلاح المؤسسات الاجتماعية التى أقامتها الحكومة لصالحه بشعور

---

(١) بورنج فى بناء دولة مصر المرجع المذكور ص ٣٨٧
(٢) المرجع السابق ص ٧٣٩
(٣) ادوارد لين — ترجمة عدلى طاهر ص ٢١٧
(٤) محمود العزب موسى — إلى القرية مطابع جريدة الصباح القاهرة سنة ١٩٦٠ ص ١١ ، ١٢
(٥) المرجع السابق ص ٣٠ — ص ٣١

من الخوف والقلق وعدم الثقة .. نراه يتهرب من دفع الضرائب كما يتهرب من عملية التجنيد والتعليم ويخفى حالات المرضى بالأمراض المعدية عن عمال الحكومة .

لقد ربط عملية التجنيد والتعليم منذ عهد محمد على بظلم الحكومة وأجحافها ، فكان يعمد الى تشويه عضو من أعضائه للتخلص من[1] التجنيد ، وكان الآباء يحرمون أبناءهم من التعليم لارتباطه بعملية التجنيد منذ عهد محمد على كذلك أعتقد الفلاح أن الأعمار بيد الله ، فهو المسبب للمرض ، الشافى من الآلام ، فاكتفى بالنذور لله ، و بتحصين المريض بالتمائم والرقى ، كما لجأ الى الوصفات البلدية فى معالجة الأمراض : هكذا فشلت الوحدات الصحية فى بادىء الأمر ، لاسيماوقد ربط الفلاح بين فكرة التوجه الى مستشفى حكومى بعجز الأسرة المادى فالفرد القادر يستطيع التوجه الى عيادة الطبيب بل يستطيع استدعاء الطبيب الى منزله ، مما يرفع من شأن الأسرة اجتماعيا[2] كما ربط من قبل نفس الفكرة بالقدرة على دفع البدلية لافتداء إبنه من الجندية .

على أننا نلحظ اليوم بعض التغييرات فى هذه الاتجاهات بسبب ازدياد الوعى الاجتماعى والسياسى والاقتصادى فلم يعد الفلاح يلجأ إلى تشويه عضو من أعضائه ، إذ أصبحت عملية التجنيد تساوى بين الفقير والغنى كما أصبح أكثر اقبالا على المدرسة والتعليم ، وأصبحت الوحدة الصحية تلعب دورا هاما فى تغيير المعتقدات الدينية والوصفات البلدية واتجه الفلاح إلى الجمع بين الطريقتين فلم يستغنى عن الأولى و إن عززها بالثانية . كل هذا يدل على بداية تغير حضارى ، كما يبرهن على قدرة الفرد على التكيف بين القديم والجديد ، واستطاعته وضعهما فى إطار واحد رغم تنافر عناصرهما .

---

(١) بورنج التقرير السابق ص ٤٨٧ — ٤٧٩

(٢) عمار . المرجع السابق . ص ٧٩ ، ص٨٢

فشل هذه المؤسسات أيضا راجع إلى عدم اقتناع الفلاحين برسالتها وبالدور الذى تلعبه فى حياة الأفراد .. ومن هنا جاءت أهمية « برلمان القرية » فى حياة الريف المصرى ، فهـذا البرلمان وهو يشبه مجلس الشورى من شيوخ القبيلة ، هم وحدهم القادرون على توجيه عملية التغير الحضارى توجيها هينا ، دون عنف أو ضغط. وبهذا تصبح عملية تطور من الداخل. وفى عدد جريدة الأهرام الجمعة ٢٧ مايو سنة ١٩٦٠ (١) وصف لجلسات وأعمال برلمان القرية « فى كفر الخضرة . فمثل هـذا المجلس يعرف الأهالى الغرض من هذه المؤسسات فيجنبهم بعض ما يعانون من صراع بين القديم والحديث ، وعدم اتاحة الفرصة للفلاحين لتفسير هذه المؤسسات الجديدة !!

هذا إلى أن قانون الإصلاح الزراعى ، وإلغاء الألقاب ، وتمكن الفلاح من زراعة الأرض ، دون خوف من اغتصابها من المسيطر على الرقاب . من أصحاب الأراضى والألقاب جعل الفلاح أكثر ثقة بنفسه ، واعتداداً بشخصيته متطلعا إلى الوطن الكبير

كما نلاحظ هذا التغير الحضارى فى العادات والتقاليد التى عرفت عن الشعوب العربية منذ أقدم العصور . مثال ذلك عادة « كرم الضيافة » ، وهى تعنى القدرة على أن يكرم الشخص ضيفه بمجرد إتاحة الفرصة ، وإكرام الغريب والمحتاج والمسافر ، بتقديم الطعام والشراب ، توزيع (النقطة) فى المناسبات — كما فى الفرح وعملية الختان والسبوع — وإن القدرة على القيام بكل ذلك تؤدى إلى امتياز الأسرة القائمة بهذا العمل وإلى اعتراف الجماعة بها . ولقد بلغ من تقدير الريفيين لهذه العادة ، أن أصبح من يتصف بها مثلا تحتذيه جماعتهم . (فالرجل الكريم) (كالرجل التقى) ينظر إليه فى الريف نظرة احترام وتوقير . . . وإن المثل القائل (الكريم لا يضام)

---

(١) ص ٣

يعبر تعبيراً تصويرياً عن إيمانهم بأن ما يقدمه الإنسان من حسنات ، يلقى جزاءه عند الله وعند الناس (لا يضيع العرف عند الله والناس) وما الحياة الدنيا إلا مزرعة ، فما غرسته اليوم ستحصده غداً .

لهذا فإن عجز معظم الأسرات القروية عن مجاراة فضيلة الكرم ، ينظر إليه بأسى وترحم على الماضى ، هذا العجز يفسر أولا بتغير الوضع المادى فى الريف ، تبعا لتغير توزيع الثروة الأرضية ، ثم إلى ازدياد عدد السكان الأمر الذى جعل من الصعب على رب الأسرة أن يعول أسرته . هذا إلى ارتباط القرية بالمدينة وتعرفها على طرق معيشتها مما أدى إلى زيادة اهتمام الريفى بالمكسب الشخصى ، هكذا أصبح للمال قيمة كبرى فى حياته .

ولكى ندلل على حدوث تغير ما تجاه (فضيلة الكرم) ، إنقراض عادة تقديم الشىء لمن يعجب به وإن ظل لفظ « اتفضل[1] » تردده الشفاه . أى كثيراً ماتعنى « عزومة مراكبية » ، بيد أنه لابد من أن نلفت الأنظار الى أن ظاهرة المشاركة فى الطعام تلعب دوراً هاما فى توثيق أواصر العلاقات بين الأفراد والجماعات فى المجتمع الريفى لدرجة أن المثل السائر «خاين العيش والملح» يحمل معنى الاحتقار والنبذ الاجتماعى ، كما يعنى أن « العيش والملح » خير ضمان لتوطيد أواصر الثقة بين الناس وتحصينهم ضد كل خيانة أو التفكير فيها .

بيد أن « اكرام الضيف » يتضمن أيضاً البشاشة والترحيب ، فللمقابلة الحسنة مكانتها الخاصة فى نفس الضيف ، يصوره المثل الشائع (لاقينى ولا تغدينى) .

---

(١) lane المرجع السابق ص ٣٠٣ ، ص ٣١٢ .

هكهذا كان للعرف والتقاليد والقوانين الأخلاقية . مكانتها فى ربط أواصر المجتمع الريفى . . كما كان للدين نفس الأثر . . ذلك لأن ثقافة الإقليم المصرى تمتاز على غيرها من الريف العربى بأنها مزيج من التراث الفرعونى العربى ، أى أن طابعها المميز وان تشرب بروح الدين الإسلامى الا أنه اختلط بالتقاليد والعادات الفرعونية هكذا اختلطت عبادة الرجل الريفى الممثلة فى الصلوات بالنذور والأحجبة والحج الى قبور الأولياء الصالحين إبتهالا لقضاء الحاجات لحين وكثيراً ما نسى الريفى أن فى ابتهالة للولى أو الشيخ نسياناً لله وفيه شرك بالله .

ولقد لعب الدين دوواً هاما فى ربط المجتمع الريفى ، وفى تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات ، من ذلك مثلا نذكر أن قراءة الفاتحة والقسم بالله ضمان كاف للوفاء بالوعود وفى تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد إشارة إلى حكمة اجتماع الأفراد تحت سقف بيت الله من أجل أداء الفريضة ، بهذا تتطهر نفوسهم ، وتنسى أحقادهم ، وتنزل السكينة فى نفوسهم ، ويصبحون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً — هكذا أصبح للجامع مكانه فى النفوس فمن أوى إليه لاجئا لا يجرؤ أحد على مهاجمته . معنى هذا أن الجامع والكنيسة يعتبران رمزاً للعبادة ولوحدة الجماعة .

كذلك رمزت صلاة الجمعة وصيام رمضان إلى معان اجتماعية ، تعمل على تأليف القلوب وربط المؤمنين والشفقة على الفقير المحروم وتغلغل العامل الدينى فى حياة الريفى يتمثل أيضاً فى ترديده لكلمتى « حلال » و « حرام » وهما يمثلان سلوكا اجتماعياً معيناً كما يشيران إلى أحكام أخلاقية على هذا السلوك .

مثل آخر يبين ارتباط الدين بصالح الفرد والجماعة ، حضت التعاليم الإسلامية

---

(١) عمار : المرجع المذكور ص ٧٥ .

على النظافة ، الى درجة أن « أصبحت جزءاً من الإيمان . ولارتباط النظافة بعملية الوضوء والصلاة أصبح الريفى يعنى بنظافة جسمه حتى وان اضطر الى ارتداء الملابس الرثة البالية . وان نجاح المعلم والمربى الاجتماعى فى نشر الوعى الصحى فى الريف يتوقف على مقدار نجاحه فى ربط النظافة بالدين . كما كان فى حرص الريفى على على « البسملة والحمدلة » ، اشارة الى تذكره لله فى كل عمل من أعماله . وشكره على نعمائه ، فهو المفضل بالمنح ، كما هو المتصرف فى جميع شئون الفرد ، يعطى من يشاء ويأخذ ممن يشاء ، ويذل من يشاء ، ويعز من يشاء . فلا حول ولا قوة الا بالله « كل هذا يعنى قناعته كما يشير الى استسلامه للقضاء والقدر وان لم يعنى خنوعه واستكانته للظلم كما أوضحنا ذلك من قبل .

كذلك اختلطت الأفكار عن الموت والحياة بمعان دينية فالموت فى رمضان أو يوم الجمعة دليل رضاء الله عن الشخص المتوفى ـ كما كانت لمثل هذه المناسبات . مولد فرد جديد أو موت شخص عزيز فى الأسرة — مناسبه يجتمع من أجلها الأهل والأصدقاء والمعارف لإظهار شعورهم ، ولمشاركتهم مشاركة وجدانية — وتعتبر المبادرة فى تقديم العزاء واجب اجتماعى هام ، حتى على أولئك الأفراد الذين لاتربطهم بأسرة الشخص صلة متينة — فعند ما تحصل وفاة يقوم فى بعض القرى منادى ويقول « لقد مات فلان بن فلان فالبقاء لله » ، وأحياناً يمسك هذا المنادى فى يده طبلة [١] .

على أن ظروف التطور قد أحدثت تغييراً ملحوظاً حتى بالنسبة للظاهرة السابقة. فقد كانت المآتم والأفراح تأخذ جانباً كبيراً من ميزانية الأسرة ، وقد تحرر الريف اليوم من مظاهر البذخ والإنفاق على المآتم والأفراح [٢] .

---

(١) مشروع الخدمة العامة سنة ١٩٥٨ ص ٧٨ .

(٢) محمود العزب موسى : إلى القرية — المرجع السابق ص ٥٨ .

وإذا كان الريفى يكن حبـــا واحتراما للرسول ولأهل بيته يكاد يبلغ حد التقديس ، وإذا كانت أقصى أمانيه أن يختم حياته بالحج والزيارة ، فإن اعتزازه وتقديره لأسلافه أمر غير منكور فهو الحريص على تذكرهم فى جميع المناسبات المختلفة كالأعياد والمواسم الدينية ، وذلك بالترحم عليهم بقراءة القرآن و بتوزيع « الرحمة » و « الصدقات » ، وتستمر ذكراهم لاصقة بأذهانهم مماشجة لأحاسيسهم حتى ليكادوا يخالطونهم فى كل شىء .. وهذه العادة تمثل بوضوح امتزاج العادات المصرية القديمة بالعربية الاسلامية . كما يفاخر أبناء القرى بتاريخهم ، متأثرين فى ذلك بحياة القبيلة الأولى . وإن معظم أسماء القرى المصرية لها جذور تاريخية مثل قرية منف أو طيبه أو طهرمس(١).

بهذا نـكون قد تعرضنا إلى الصفات اوالعادات والتقاليد البارزة التى تتدخل فى عملية التـكيف الاجتماعى للريفى ، كذلك لمسنا بداية تغيير فى بعض هـذه الصفات والاتجاهات بسبب تأثر القرية بالأحداث الـكبرى التى تجرى فى المدينة وفى الوطن الأكبر . كما تناولنا العوامل البيئية المختلفة التى أثرت فى عملية التـكيف وتأثر الفلاح بها . . ولم يكن ليتسنى لى ذلك ما لم أمت لهذا المجتمع بصلات قوية ، ولدت ونشأت وترعرعت فى أحضانه ، واعتمدت فى وصفه على معرفة وثيقة بأحاسيسه و بأفـكاره وبخلجاته ، وهذا ما ينبغى أن يتوفر فى كل باحث وموجه اجتماعى ، قبل أن يتعرض للـكلام عن الريف والريفيين ، فلا بد من أن يعيش بين ظهرانيهم ؛ ليستطيع التعبير عنهم ، بهذا فقط يمكن أن يكون توجيهه للمجتمع الجديد سليما .

بقى علينا أن نلقى ضوءا على دنيا الطفل فى هذا المجتمع ، ونوضح علاقته بدنيا الـكبار وما لعملية التعلم من أثر فى هذا التوجيه .

---

(١) مشروع الخدمة العامة . المرجع المذكور . ص ٧٠ — ص ٧١ .

دنيا الطفل فى المجتمع الريفى

كيف تتم عملية تكيفه الاجتماعى ؟

لن نتعرض فى هذا المجال لبحث نشأة الطفل الريفى ، فلهذا بحث آخر ، عولج فى غير هذا المقام[1] .. بيد أننا سنتعرض لبحث علاقته بعالم الكبار ، فعلى هذه العلاقة تتوقف عملية تكيف الطفل الاجتماعى إلى حد كبير ، ذلك لأنه مهما بلغ المجتمع الريفى من بساطة ، فان له تقاليده وعاداته الموروثة والتى يصعب على الطفل إدراكها ما لم يوجد من يعلمه ويوجهه . لا سيما إذا ما تذكرنا الحقيقة التى سبق أن أشرنا إليها وهى أن المجتمع الريفى المصرى يرجع فى تاريخه إلى أصول فرعونية عربية ، اختلطت بعضها ببعض ، فكيف تتم عملية نضج الطفل الريفى اجتماعيا ؟ وبالتالى كيف تحدث عملية تكيفه بالمجتمع الذى يعيش فيه ؟

يلعب التقليد دورا هاما فى هذا المجال . . ذلك لأن تقليد الصغير للكبير أمر أثبتته الأبحاث والتجارب[1] التى أجريت فى هذا الميدان — والتقليد ميل طبيعى عام يتمثل فى جميع الأطفال الحضريين والريفيين على السواء ، لا يختص بجنس

---

(١) بحث سينشر قريبا عن نشأة الطفل الريفى فى وحدة مجمعة .

(2) Miller, N.E. & Dollard, J. Social Learning and Imitation : NewHavuen, Yale Univérsity press, 1941.

Piaget J. Play, Dreams & Imitation in Childood : Norton 1951 .

(2) Role - Talking in Childhood & Its Consequences For social Learning : Eleanor, E. Moccoby Harvard University, March, 1958 published in Child Development 1959, 36. pp 236—252.

دون آخر ولامجتمع دون آخر ، والطفل مدفوع إلى تقليد الكبير لأنه يعتمد عليه فى سد حاجاته الأساسية[١] .

بيد أن عملية التقليد فى المجتمعات المتحضرة أصعب بكثير منها فى المجتمعات الريفية وهذا راجع إلى بساطة الأخيرة عن الأولى . من أجل هذا يضطر الطفل الحضرى إلى الانغماس فى لعبه الخيالى أو الإيهامى ، يمارس خلاله أفعال الكبار ، كما يحاول أن يسلك مسلكهم فى صورة خفية ، بل كثيرا ما يضطر ، على الرغم من معرفته تماما لهذه الأفعال ، أن يرجىء مزاولة بعضها ، لعدم ملاءمة الظروف ، حتى يصبح الطفل أبا[٢] . معنى هذا أن عمليه التقليد تتحكم فيها عوامل وظروف عديدة الأمر الذى يجعل الطفل يختار بعض الأمور لتقليدها ويترك البعض الآخر[٣] . .

التقليد إذن وسيلة من وسائل التعلم ، والتعلم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة ، فسواء تعلم الفرد مهارات جديدة ، أو تقبل قيم غير مألوفة فهى تستمر ما دامت الحياة ، وتزامله فى عهد الشباب والشيخوخة ، ولا يقف تأثيرها ما لم يضع الفرد نصب عينيه هدفا لتغييرها أو ما لم يستخدمها فى حياته ، أى أن تغييرها لا يرجع إلى وصوله إلى مرحلة النضج[٤] .

ونحن نؤمن بصحة المثل القائل (أطلب العلم من المهد إلى اللحد) بيد أن التعلم

---

٢ — أنظر المرجع فى الصفحة السابقة ص ٥١٢

٢ — المرجع السابق ص ٢٥١ .

(3) Fleming, C. M. The Socîal Psychology of Education : London Routledge & Kegan Paul Ltd, 1950, pp. 33-34 .

(4) Thorndike, E. L., et al., Adult Learning. The Macmillan Co., 1928 .

لا يمكن أن يتم ما لم يعتقد الفرد أن فى استطاعته أن يتعلم ، وما لم يرغب فى التعلم ، ويتخذ الخطوات اللازمة التى تعده لفهم الموقف ، وما لم يتمرن على إتقان العناصر التى تتضمنها المواقف الجديدة المتغيرة ، سواء فى معلوماته أم فى نشاطه أم فى وجهة نظره — بهذا يستطيع إرضاء حاجاته الضرورية ، حتى تتقبله الجماعة التى يعيش بينها ، كما لا بد من أن تسير عملية التطور طبقاً للخطوط التى ينتمى إليها ولو بصفة مؤقتة[١] .

معنى هـذا أن عملية تكيف الطفل الريفى للأوضاع الاجتماعية ، تتم لا عن طريق التقليد فحسب ، بل عن طريق الممارسة الفعلية لأعمال الكبير منذ صغره . نراه منذ الخامسة[٢] يبدأ فى مديد المساعدة لأبيه فى الحقل حتى يصبح عوناً لأبيه فى مهنته .

هكذا يكون مع غيره من أطفال القرية قوة عاملة لا يستهان بها ، لا سيما إذا ما تذكرنا عجز معظم الفلاحين عن ستئجار الفعلة لمساعدتهم فى أعمالهم. وبهذا يصبح عبء تربية الأطفال المادى خفيفاً ، لاسيما إذا ما تذكرنا قناعة الفلاح ، وشدة حرصه وتدبيره ، وبساطة معيشته ، وانخفاض مستواها ، وضآلة مطالب الحياة المادية فى بيئته .

يتبين مما تقدم منشأ أهمية كثرة الأبناء من الوجهة الاقتصادية ، إذ يعتبر عددهم بمثابة رأس مال أبيهم ، كما أن كثرتهم تتضمن معنى راحة الآباء ، فهم الذين سيقومون عن والدهم بالعمل الشاق فى مستقبل الحياة — وهم المدخرون لوقت الشيخوخة والأمراض ، العائلون للأرامل من شقيقاتهم وأسرهم — وأغلب الأسر الريفية يكون أبناؤها أكثر من خمسة[٣] .

---

(١) فلمنج — المرجع المذكور ص ٣٥

(٢) عمار — المرجع المذكور ص ٤ ، ص ١٤١ .

(٣) مشروع الخدمة العامة ص ٩١ .

لهذا كله نرى الرجل المعائل يحتل مركزاً ممتازاً فى القرية ، ويصبح مرهوب الجانب ، يخشى بأسه ، فهم يكونون القوة الدفاعية عن الأسرة ، وهم المدخرون للملمات ، الآخذون بالثأر .

من أجل هذا كله ، نرى أن فكرة تحديد النسل فى الريف تصبح بعيدة الاحتمال ، لاسيما ما إذا تذكرنا ما يرتبط بهذه الفكرة من أفكار وعقائد تحرمه من الوجهة الدينية ولتأصل عقيدة الفلاح بأن « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » . ولقد أكدت الأبحاث الحديثة بأن القرويين يميلون للزواج بأكثر من زوجة واحدة ، ومن المرجح أن سبب هذا الميل يعود إلى الرغبة فى إيجاد أكبر عدد ممكن من الأولاد الذين يتمكنون من مساعدة أبيهم فى فلاحة أرضه ، أو فى كسب قوت يومه أو حمايته[١] ، هذا على الرغم مما هو ثابت من أن الزواج من زوجة واحدة يعمل على المحافظة على كيان الأسرة وعلى ترابط أفرادها والمحافظة على مستواها الاقتصادى[٢] ، بيد أنه لحسن الحظ أن الأغلبية الساحقة من مجموع أرباب الأسر المتزوجين فى القرية لهم زوجة واحدة[٣] . الأمر الذى يدل على مدى انتشار الوعى بين أهل الريف[٤] .

ومع أن رب الأسرة يعمل على انجاب أكبر عدد ممكن من الأطفال ، فإن الرعاية الصحية تكاد تكون معدومة ، اذ تموت نسبة كبيرة جداً من الأطفال وهم فى سن مبكرة[٥] . فضلا عن أن هذه الزيادة الهائلة فى النسل لها خطرها البالغ على انخفاض مستوى المعيشة نظراً لما تتطلبه تكاليف الحياة من نفقات ، ولقد وجد

---

(١) مشروع الخدمة العامة المرجع المذكور ص ٤٧٥ .

(٣،٢) المرجع السابق ص ٨٨ . ص ٨٩ .

(٤) المرجع السابق ص ١٨٣ . ص ١٨٤ .

(٥) المرجع السابق ص ٩٢ ص ٩٣ ، ص ٤٧٩ ص ٤٧٧ .

أن نسبة تزايد إنجاب الأطفال ترتبط ارتباطاً تصاعديا بالنسبة لضعف مستوى التعليم فرب الأسرة الجاهل يمتاز بكثرة عدد أبنائه[١] . كذلك يتبين أنه كلما انخفض مستوى التعليم يقل الشعور بالمسئولية مما يدفع الأفراد الى الزواج بأكثر من زوجة[٢].

فضلا عن هذا ، فإن لمشاركة الطفل لأبيه فى مهنته أهمية كبيرة من الرجهة التربوية فهى تعلمه الحياة عن طريق الحياة من أجل الحياه ، كما تجعله يدرك أن التعاون هو التفاعل الإيجابى فى الحياة الاجتماعية ، وأن يقدر معنى المسئولية ، كما يتعلم الاحتياط للمستقبل ، والحرص على لقمة العيش ، كذلك تتيح له اتقان مهنته المستقبلة . بفضل تدريبه العملى الذى يمر بمراحل تبدأ من وصوله الخامسة ، بمد يد المساعدة الفعالة إلى أبيه فى الحقل فإلى أن يعهد إليه بعمل معين تبعا لسنه ولقوته الجسمية[٣] لكى يحصل على ما يسد رمقه ويشترك فى ميزانية الأسرة[٤] .

كما يختلف مركز الطفل فى الأسرة تبعا لاختلاف ترتيب ولادته . فالطفل الأول يلعب دورا أهم فى حياة الأسرة الريفية من الدور الذى يلعبه فى حياة الأسرة الحضرية . فهو ينظر إليه كما ينظر إلى الأب ، يحل محله فى الظروف المختلفة ، وتوكل إليه الأمور الهامة .

ولعامل الجنس أهمية فى تقدير مركز الطفل فى الأسرة ، فالطفل الذكر يفضل الأنثى فى مجتمع أساسه الاعتماد على القوى الجسمية ، وعلى العمل الشاق فى الحقل . ومع أن المرأة الريفية فى الوجه البحرى اعتادت الاشتراك مع زوجها فى أعماله الخارجية

---

(١) المرجع السابق ص ٩١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥ .

(٣) عمار المرجع المذكور ص

(٤) مشروع الخدمة العامة ص٩٢

أكثر من المرأة الصعيدية واعتبر الفلاح زوجته هناك شريكته فعلا وعملا ، لتعودها خشونة الحياة وقسوتها ، ومواجهتها مشاق الحياة ، واحتمالها الأزمات الطبيعية بشجاعة، إلا أن للطفل الذكر حتى فى هـذا المجتمع منزلة مرموقة وذلك بسبب تفوق الرجل عل المرأة من ناحية القوة الجسمية ، ولخوف الريفى من أن ترتـكب المرأة ما يهين شرف الأسرة ، كذلك فإن الرجل ونسله يحمل اسم الأسرة ، أى أنه هو العامل على امتداد اسمها جيلا بعد جيل . فى حين أن الطفلة التى يوكل إليها عادة أمر مساعدة الأم فى المنزل تدريباً لها على القيام بمهمتها المستقبلة كزوجة وكربة أسرة ، فهى تنضوى مع أولادها تحت حماية زوجها ، مع أنها تظل بمقتضى تعـاليم القرآن حافظة لـكيانها مستقلا ، ممثلا فى احتفاظها بلقبها وباسمها وبثروتها ، بل كثيرا ما نشاهد أخوتها يتحكمون فى ثروتها أكثر من تحـكم الزوج فى تلك الثروة .

كذلك اعترف المجتمع الريفى بتفوق الفتاة على الفتى فى العطف على والديها ، أثناء مرضهما ، فهى أكثر منه حنانا وتقديرا لظروفهما ، ولا تدخر وسعاً فى سبيل العمل على توفير سبل الراحة لهما حينما تحل بهما الشيخوخة .

كذلك فهى أقل عبئاً من الولد فى حالة الزواج ، إذ جرت العـادة أن يمهر العريس العروس التى تقتصر على الضروريات فى هذه المناسبة بعكس الحضرية .

وفى الوقت الذى يعتبر المجتمع الريفى الطفل عونا اقتصاديا ، يراه عبئاً اجتماعياً ، وأن مرحلة الطفولة لا بد وأن تمر بسرعة فلا يوليها اهتماماً كما هو الحال لدى المجتمع المتحضر فى المدن . ولا يعتد برأى للطفل ولا يقيم لرغباته وزنا ولهذا ارتبطت دنيا الأطفال فى الريف بعالم النساء أكثر من ارتباطها بعالم الرجال . نرى هذه الظاهرة ممثلة فى مناسبات الأفراح ، إذ لوحظ تعلق الأطفال بأمهاتهم (١) ، كما لا يسمح للصبيان

---

(١) عمار : المرجع السابق ص ١٤٠

بالتردد على الجوامع حتى بلوغهم الثانية عشرة ، فإذا ما سمح لهم بالتوجه قبل هذه السن ، فإنهم يلتزمون الصفوف الخلفية من جماعة المصلين (١) .

ليس معنى هذا إهمال الوالد لتربية ابنه فهو يشعر أن عليه واجب توجيهه حتى ينشأ وثيق الصلة ببيئته الاجتماعية والطبيعية، فهو الذى يرسم نهج حياته، ويحدد أهدافه ومسئولياته ، كما يحرص على تنشئته وفق قواعد القانون الأخلاقى والوضعى السائد فى المجتمع الذى يعيش فيه . بل يصل تدخله فى شئونه الخاصة إلى حد اختيار زوجته عند ما يبلغ سن الزواج .

هكذا يتعلم الطفل العادات المرعية فى مجتمعه منذ صغره ، يبدأ طعامه كما يبدأه أبوه بالبسملة ، كما ينهيه بالحمد له — فإذا ما لاحظ أبوه نسيانا أو إهمالا لذكر هذه العبارات ، أنزل به عقابا ، قد يكون ضربا أو حرمانا من جزء من طعام يمنحه لمن هو أفضل من أخوته (٢) .

ولقد أتينا على هذا المثال ، لارتباط الحاجة إلى الطعام بحاجات الفرد الجسمية والنفسية . فالطفل مضطر لاتباع سلوك الكبار أثناء تناول الطعام ، لالتخفيف من حدة الجوع وهى حاجة جسمية فقط ، ولكن لشعوره بضرورة إرضاء الجماعة التى يعيش فى وسطها ، حتى لا يشعر بأنه منبوذ محتقر منها — وهى حاجة نفسية .

والطفل الريفى كالطفل الحضرى ، كلاهما مضطر لاتباع آداب مرعية ، وسلوك مسلك متعارف عليه أثناء قيامه بحاجاته اليومية . فالطفل المتحضر يدرب على

---

(١) عمار : المرجع السابق ص١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨ .

استخدام الملعقة و الشوكة والسكين[١] أثناء تناول الطعام وهو مدفوع إلى اتباع توجيهات الكبار لنفس الأسباب التى أوضحناها سابقا فى حالة الطفل الريفى .

هكذا يربى الأطفال كما ربى آباءهم من قبل ، ومن المنتظر أن يتبع أحفادهم نفس الاتجاهات ، ويأخذون بنفس التقاليد والعادات التى اتبعها اجدادهم من قبل ؛ ما لم تتدخل العوامل التى سبق أن أشرنا إليها فى تغيير مثل هـذه الاتجاهات .

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه ! !

بل المعتقد فى المجتمع الريفى أن الأبناء يرثون صفاتهم الجسمية والأخلاقية عن آبائهم وأمهاتهم وأقربائهم الأقربين هكذا اعترفوا بمبدأ الوراثة وإن لم يحددوه تحديدا علمياً .

هكذا تمر عملية تربية الطفل الريفى الإجتماعية فى إطار محدد المعالم ، ويسيرون فى مراحل نمو معترف بها ، يستمعون إلى القصص الشعبية ، ويهمسون بالأحداث التى تجرى فى القرية ويعيشون فى عالم الكبار ، وإن لم يعترف بهم كأعضاء فيه حتى يصبحوا رجالا يعتد برأيهم وينجبون أطفالا يتولون أمر تربيتهم . فالفكرة السائدة فى الريف بأن رب الأسرة أو عائلها لا بد وأن يكون متزوجاً لأن الزواج فى نظرهم أحد العوامل التى يجب أن تتوفر فى رب الأسرة ومن جهة أخرى يتم بالزواج « دينه ورجولته[٢] » .

هل معنى هذا تجنب الطفل الريفى لعملية الصراع التى يعانيها الطفل الحضرى ؟

---

(١) فلمنج ، المرجع السابق ص ٣٣ .

(٢) مشروع الخدمة العامة سنة ١٩٥٨ المرجع السابق ص٨٦ — ص٨٧

ليس من شك فى أن نشأة الطفل الذى يربى فى بيئة متجانسة غير معقدة من شأنها التقليل من حدة الصراع الذى يعانيه طفل آخر نشأ فى بيئة معقدة ، غير متجانسة . بيد أن الصراع الذى يعانيه الطفل الريفى لم تخلفه البيئة المحلية بقدر ما تسبب عن تدخل عوامل خارجية ، وتيارات جاءت من المدينة كما هو الحال فى إدخال بعض المؤسسات الحديثة ، كالمدرسة والمستشفى ، والبنك الزراعى ، والجمعية التعاونية . ألخ هذه كلها تفتح أمام المجتمع مجالات جديدة ، تتطلب عملية تكيف جديدة ، كما تتطلب اتجاهات جديدة .

لقد ثبت بالتجربة أن مجرد إدخال آلة زراعية حديثة أدت إلى خلق عوامل تطور وتغير فى مجتمع متجانس وبالتالى خلق صراع بين القديم الآبد والحديث الوافد [١] ! !

كذلك ثبت أن هجرة بعض الأفراد من القرية إلى المدينة بعضاً من الوقت ، ثم العودة إلى البيئة القديمة يخلق نوعا من الصراع فى نفس الفرد المهاجر ، فهو كما ينتقد عادات المجتمع الريفى ، ويثنى ثناء مستطابا على الثروة أكثر من ثنائه على عادة الكرم ، كما يمتدح « الفردية » أكثر من الروابط العائلية — مثل هذا الفرد الذى ينظر إليه بأنه أتلفته القرية [٢] ، ينطبق عليه المثل القائل : « عين فى الجنة وعين فى النار ! ! » وهذا يعنى أنه «رجل متأرجح بين القديم والحديث» وهو الذى أطلق عليه أحد الكتاب The Marginal Man [٣] .

حينئذ كثيرا ما تأخذ مظاهر العداء بين القديم والجديد شكل الجدة والتنافر ، فالشيوخ يرون أنهم أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة فى مجتمعهم ، كما أنهم أصحاب

---

(1) Spicer Edward H. Human Problems in Technological and Culture Conflict, New York, 1937

(٢) عمار : المرجع السابق ص ٨٣

(3) Stonequist Everett The Marginal Man, A Study in Personality Change, Russell sage Foundation, New York 1954

الخبرة والتجربة ، وما العلم والفن إلا سخافة لا تفيد حياتهم التى ألفوها ، والشبان يرون أنهم بناة المستقبل ، وأنهم على قدر من العلم والمعرفة وهو مالم يتحقق لهؤلاء الشيوخ ، الذين أحاطوا أنفسهم بهالة من التأله[1] .

هنا يأتى دور التربية الاجتماعية التى تعمل جادة على تنسيق العلاقات بين الشيوخ والشبان ، لأن انعدام الصلات الروحية بينهم يسبب الصراع النفسانى الذى يعانى منه الشبان الكثير ، وكثيراً ما يدفعهم إلى تحدى القانون والاعتداء على النظام والعرف والتقاليد، فإذا ما نجحنا فى توجيه الشبان ، لا سيما الذين نهلوا العلم من مناهله بالعاصمة ، توجيها يجعلهم يستغلون أوقات فراغهم فيما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالنفع ، نجحنا فى معاونتهم على التكيف اجتماعياً أثناء مرحلة الانتقال التى يمرون بها .

هذا هو عالم الفلاح وأبناؤه ، أردنا تصويره فى بيئته الأصلية ، قبل انتقاله إلى مديرية التحرير ، حتى نعرف عاداته وتقاليده التى تأثر بها والتى ستنتقل معه إلى البيئة الجديدة .

ونقدم فيما يلى عينة من هذا الفلاح ، وقع عليها الاختيار لتكون نواة « اليوتوبيا الجديدة » .

---

(١) إلى القرية . المرجع السابق ص ٣٤ ، ٢٥٠ ، ٥١

الفلاح فى مديرية التحرير

هناك فى مديرية التحرير، على بعد ثمانين كيلو مترا من القاهرة، تلك التى أسست سنة ١٩٥٣ [١]، أقامت الدولة نموذجاً لمجتمع مثالى، على نحو تريد تعميمه فى أنحاء الريف العربى. ولقد جاء فى المذكرة الإيضاحية أن تزايد سكان الدولة المصرية بنسبة عالية تزيد على ٢ ٪ سنويا. وقد استمرت تلك الزيادة فى السنوات الماضية دون أن يصحبها زيادة مماثلة فى الدخل القومى، فلما جاء العهد الجديد كان من أول أهدافه العمل على رفع ذلك المستوى إلى الحد اللائق لحياة كريمة بالعمل على زيادة الدخل القومى مع مراعاة العدالة الاجتماعية فى توزيع الثروة القومية.

ومشروع مديرية التحرير يهدف إلى تحقيق الأغراض التى يهدف إليها العهد الجديد فهو يحقق زيادة الإنتاج الزراعى بأن تزرع أراض جديدة غير منتجة حاليا، وفى نفس الوقت يحقق ما تحاوله الحكومة من فتح مجال العمل أمام المتعطلين من أفراد الشعب [٢].. وذلك بتوفير سبل المعيشة لجزء منهم فى المديرية.

هكذا أتيحت لى الفرصة لأرقب عن كثب كيف تجرى هذه التجربة المثيرة فى قلب صحرائنا الغربية ولألمس بنفسى بداية تغير فنى فى التكوين الحضارى لمجتمعنا الريفى على ضوء مذهبنا الاشتراكى التعاونى.

وكأنى بهؤلاء وقد رحلوا من بيئتهم المحلية لينعموا بالعيش وسط بيئة تفضل البيئة الأولى من جميع الوجوه أرادوا أن يكونوا رواداً للمجتمع الجديد، وأن يحملوا

---

(١) الوقائع المصرية فى ٢٠ مارس سنة ١٩٥٤ ـ العدد ٢٢ مكرر (أ) قانون رقم ١٤٨ ص ٦٠٣ — ص ٦٠٧.

(٢) المشروع يزيد الرقعة المنزرعة من البلاد ٦١٠ ألف فدان أى أكثر من ١٠ ٪ من الرقعة المنزرعة حاليا — المرجع السابق.

عبء بناء مدينتهم الفاضلة بسواعدهم وقوة عزيمتهم وتفانيهم . هذه اليوتوبيا التى اشتقوها من صحراء جرداء وصارت جنة أحلام واقعية ترى وتحس وينعم بخيراتها ، لاجنة وهمية تهدهد أحلام الفلاسفة الحالمين باليوتوبيات من عهد أفلاطون إلى ج . ه . ولز ، وليفسحوا المجال أمام الأجيال الصاعدة لينعموا فى مدينتهم بالعيش الرغد بعد أن تضخمت مشكلة تزايد السكان ، وليبرهنوا للملأ على أن فى الإمكان تآلف القلوب وتكاتف الأيدى فى سبيل تحقيق هدف مشترك وإن فى المغامرة لسعادة مثيرة . هكذا وقع الاختيار على بعض أهالى الريف فى الوجه البحرى من الفلاحين المعدمين . وتستقبل الأفواج الجدد منهم فى «قرية عمر شاهين» التى جعلت مركزاً للتدريب ، ليوزعوا بعد تدريبهم على قرى المديرية ، وهى قرى أم صابر وعمر مكرم وصلاح الدين ومصطفى كامل وأحمد عرابى ، وقد لوحظ فى تسمية القرى أن تكون الأسماء مشتقة من معركة التحرير التى خاضها الإقليم المصرى والبلاد العربية فى تاريخها الماضى والحاضر ، يوزعون على هذه القرى كل حسب كفائته وموهبته ومهنته بعد أن يوضعوا تحت الإشراف الدقيق . ويخضعون لبحث اجتماعى وسيكلوجى شامل ؛ ويمرون باختبارات عديدة يثبتون فيها مقدار أهليتهم للتكيف للظروف الجديدة ، ويبرهنون على مدى استعدادهم للاشتراك فى بناء المجتمع الجديد ، وبعد أن يمروا بسلسلة من التدريبات تتولاها طائفة من الإخصائيين والإخصائيات لتعويدهم الحياة الجديدة .

شروط اختيار المنتفع

وكما يدقق صانع « اليوتوبيا » فى اختيار أفراد مجتمعه ، كان من الضرورى أن يدقق المشرفون على توطين هؤلاء الأفراد الجدد فى اختيارهم على أسس موضوعية من أهمها : شرط أداء الخدمة العسكرية ، قبول المواطن الذى انخرط فى سلك الجندية

وبهذا يكون قد تعود النظام ومارسه[1] ، كما ينبغى أن يكون ملما بالقراءة والكتابة .

و يعتبر عامل السن شرطا أساسيا لقبول المنتفع إذ يتراوح بين ٢٤ و٣٠ عاماً إذ أن فى حدود هذه السن يستطيع الفرد القيام بعملية التكيف بسهولة نسبية ، كما يكون قد ترك مرحلة المراهقة بما فيها من مشكلات ومتاعب ، ودخل الى عالم الشباب المتوثب المتطلع الى تجارب جديدة ، كما يمتاز بالاتزان والنضوج ، و بالرغبة فى الاستقرار لا سيما اذا ما تذكرنا أن الريفى أسرع نضجاً وألصق بالأسرة من الحضرى .

و يأتى شرط اللياقة الجسمانية ، اذ لا بد من أن يجتاز المرشح الاختبارات الطبية للتأكد من خلوه من الأمراض التى يتعذر شفاؤها ، ، أو يحمل جراثيم أمراض قد تهدد ساكنى المديرية بالخطر . لا سيما وأن المنتفع سيتحمل من الأعباء أكثر مما يتحمله الفلاح العادى بسبب الظروف الطبيعية الشاقة التى تحيط بالمديرية .

كما لابد من توفر شرط حسن السير والسلوك فلم تصدر ضد المنتفع أحكام . معنى هذا خلو صحيفته من السوابق ، واستبعاد كل من ارتكب أمرا أدى به الى المحاكمة فالسجن . وهذا شرط طبيعى اذا ما أردنا ضمان عدم وجود عناصر شاذة من الوجهة الأخلاقية ، الأمر الذى يجعل عملية امتصاصهم أصعب على المجتمع مما لو كانوا أفرادا عاديين كما أن للحالة الاجتماعية تقديرها ؛ اذ يفضل الرجل المتزوج بزوجة واحدة على الأعزب ففى زواجه ضمان لشعوره بالأمن والاستقرار ، وفى وجوده وسط أسرة ضمان لتركيز أهدافه واتجاهاته ، إذ يشعر بأنه يبنى لأولاده وأحفاده من بعده ، الأمر الذى يترتب عليه توثيق صلاته بأرض الميعاد الجديدة . فإذا كان أعزبا شجع على اختيار الزوجة الصالحة حتى يشتركا معاً فى بناء الأسرة . وكما أن الأعزب لا يشجع على أن يظل

---

(١) مديرية التحرير — الكتاب الثانى لمديرية التحرير — صدر عن إدارة النشر والصحافة يونيو سنة ١٩٥٠ .

أعزبا ، فإن المتزوج لا يقبل اذا كان يعول أكثر من ثلاثة أطفال .

هذا التحديد يعنى أن الأسرة ذات الأطفال العديدين لا تمنح أفرادها العطف بالقدر الذى يتوفر فى الأسرة المحدودة العدد .

كذلك رؤى فى تحديد عدد أبناء المرشح بثلاثة أطفال أن فيه ضمانا للاحتفاظ بمستوى اقتصادى لائق بالأسرة والعمل على بذل العناية والرعاية لجميع الأبناء على السواء .

الفوج السادس من المنتفعين

يخطىء من يظن أن جميع المنتفعين كانوا يعملون مزارعين أو بفلاحة الأرض ، فمنهم من كان يحترف مهناً أخرى ، وإن كانت الغالبية العظمى تعمل ملتصقة بالأرض. ويمكن تقسيم المنتفعين تحت الاختبار بمركز التدريب بقرية عمر شاهين حسب المهن التى كانوا يعملون بها قبل انضمامهم إلى أسرة مديرية التحرير وعددهم ٣٩ ذكراً كالآتى :

٢٠ فلاحا
١٠ مزارع
١ خولى
١ جنايني
١ نحال
١ مبيض نحاس
٣ سواقون أو مساعدون
١ ميكانيكى ديزل
١ عامل تليفون

٣٩ شخصاً

كذلك نجد أن الكثيرات من المنتفعات وهن أربعون منتفعة كن يعملن لكسب قوتهن قبل مجيئهن المديرية ، فمنهن البائعة ومنهن صانعة المناديل ومنهن الخياطة ومنهن الفلاحة ومنهن من كانت تعمل بالجزارة .

وتحاول المديرية أن تنتفع بمهارة كل منهن فى ميدان اختصاصها — كذلك تحاول تشجيعهن على كسب قوتهن بأنفسهن حتى يساعدن فى العمل على الارتفاع بمستوى المعيشة فخرجت الفلاحة الجديدة إلى ميدان العمل فى الحقل والسوق والمخبز والحظائر ودور الحضانة .

وتشمل القرية حوالى ٤٠٠ بيت . وبيت الفلاح منزل مستقل قائم بذاته ويتكون من حجرتين وردهة والملحقات من مطبخ وحمام ، ويلحق به حديقة خلفية وشرفة أمامية . ويقوم المنتفع وزوجته بزرع الحديقة بالخضر والفاكهة حتى ينتفع بها انتفاعا ذاتياً ، ويبنى بنوع من الطوب الأسمنتى المفرغ الذى يقى حرارة الصيف وبرد الشتاء[1] .

ويعد المنزل بالأثاث والمهمات اللازمة ، وتصل إليه المياه النقية ويضاء بالكهرباء. هكذا أريد إعطاؤهم فرصة لحياة أفضل تعتمد على حقهم فى هذه الحياة وبالقدر الذى تسمح به جهودهم وإمكانياتهم[2] ، ذلك المنتفع يتقدم للمديرية وليست لديه من وسائل الإنتاج سوى العمل . فيجد فى قريته العمل النافع المنتج ويحصل على الدخل المناسب الذى يسد حاجاته واحتياجات أسرته — ومن طريق تنظيم العمل وحسن التوجيه والتدريب يتزايد دخل الأسرة بحيث يسمح لها بتمليك الأرض والعقار ويتكون لها رأس المال الخاص[3] . وإذ يجرى العمل فى هذه القرى على أسس تعاونية

---

(١) مديرية التحرير — صدرت عن مراقبة العلاقات العامة — نوفمبر سنة ١٩٥٧ .
(٢) مديرية التحرير — الكتاب الثانى — صدر عن دار الصحافة والنشر .
(٣) المرجع السابق .

اشتراكية ، فإن كل أسرة سوف تملك خمسة أفدنة شائعة فى زمام القرية ، ولكن كل فلاح لن يستقل بزراعة ما يملكه ، وإنما يشتغل جميع الفلاحين فى زراعة زمام القرية بشكل جماعى تعاونى طبقاً للسياسة التى يضعها مجلس القرية الذى يختار أعضاؤه السكان .

وهناك جمعية تعاونية يساهم فيها المنتفعون ومنها يشترون حاجياتهم . ذلك لأن مشروع مديرية التحرير يهدف إلى سياسة الاكتفاء الذاتى بقدر الإمكان . فالقائمون بالعمل فيه يعملون على إنتاج كل ما يحتاجون إليه إنتاجاً محلياً .

ويعرض هذا الإنتاج بالجمعيات التعاونية .

ويقوم بالخدمة فيها الرجال والنساء من المنتفعين نظير أجور ومرتبات تدفع لهم وتباع لهم الحاجيات بأقل من الأسعار المعتادة فى الأسواق .

التدريب الاجتماعى

يتقدم المنتفعون تحدوهم برامج مدروسة وتوجيه سليم ورعاية اجتماعية وثقافية وتربوية وصحية واقتصادية بالقدر الذى يحتاجون إليه فى كافة مراحل حياتهم ، كما توجه العناية لجميع الأفراد الصغار منهم والكبار . معنى هذا أن التدريب يشمل تعلم الفلاح وزوجته مبادىء العلوم والمعلومات العامة وتلقينهما كل ما يحتاجان إليه لمواجهة الحياة الجديدة التى تنتظرهما .

فإذا كان الفلاح فى مديرية التحرير يدرب على أساليب الزراعة الملائمة لظروف المديرية وعلى استعمال الآلات الزراعية الحديثه المختلفة وإذا كانت الفلاحة تتعلم كيف تنظم بيتها وكيف تطهى طعامها وتتلقى مبادىء الصحة العامة والعناية بأطفالها ، فإن العناية تبذل أيضاً فى تربية الناحية الروحية ، فأصبحت الرياضة

والموسيقى والدين عناصر أساسية فى برنامج التدريب . فبالقرية مثلا مسجد وكنيسة يتوجه إليهما المنتفعون لا لإداء فريضة الصلاة فحسب ولكن لسماع العظات والإرشادات الدينية والأخلاقية أيضاً . أى أن المسجد والكنيسة أصبحا مراكز إشعاع للثقافة الروحية والدنيوية .

ويشرف إخصائيون اجتماعيون من الجنسين على التربية الاجتماعية للمنتفعين ، والمشرفة الاجتماعية على صلة وثيقة بأفراد كل أسرة ، تعرف عنها كل صغيرة وكبيرة وتهتم اهتماما خاصاً بشئونهم وتحاول كسب ثقتهم حتى تتأكد من تنفيذهم لتعليماتها فتزورهم من آن لآخر حتى تتمكن من توجيههم التوجيه اللازم وتعرف مدى تفهمهم للمبادىء الجديدة . ولا يقتصر توجيهها على تدريبهم وتنظيم دورهم بل يرمى إلى إرشادهم للطريقة المثلى لرعاية أطفالهم الرعاية الصحية والاجتماعية ، والتربوية اللازمة إلى جانب العمل على بث روح التعاون حتى يتشربوا مبادىء العهد الجديد . كذلك تعمل على فض المشكلات التى قد تحدث بين الزوجين ، وبذلك يرفرف على الأسرة جو من الصفاء والحب . وبذلك نضمن سلامة المجتمع لا من الوجهة المادية فحسب ولكن من الوجهة الروحية أيضاً إذ لا شك أن المجتمع الصحيح يقوم على عمد قوامها الصفات الأخلاقية وأهمها إنكار الذات والتعاون والإيثار والتضحية . كما لا يسمح لأقرباء الزوجين بالاقامة الدائمة فى المديرية وإن كان يسمح لهم بالزيارة أحياناً . هذا الشرط يضمن توفير الاستقلال الذاتى المطلوب للأسرة وأفرادها ، وتجنب المشكلات التى تحدث عادة بين الحموات والزوجين وتكون خطراً داهماً على سلام الأسرة . كما يسمح للزوجين بزيارة أهلهما فى وطنهما الأصلى حتى لا تنقطع وشائج القربى وتستمر الصلة الروحية دائمة بينهم عملا بقول الرسول : « صلوا أرحامكم » .

وهنـاك مركز لرعاية الأم المنتظرة للحادث السعيد ، حيث يشرف على صحتها إشرافا صحيا كاملا ، حتى يتم الوضع ، كما تبذل رعايتها للطفل الوليد . وهناك مدرسة للحضانة ولرياض الأطفال تترك فيها المرأة العامله أطفالها طول اليوم فى رعاية مشرفات مدربات لهذا الغرض على أن تأتى فى المساء لتستلمه . ولـكل طفل سرير يقضى فيه أوقات راحته . و يتناولون وجباتهم التى تحتوى العناصر المغذية اللازمة لصحة الأبدان ، والمدرسة مزودة بالألعاب اللازمة لصحة الأبدان و باللعب اللازمة لتسلية الأطفال والترفيه عنهم ولتفتيح أذهانهم على آفاق واسعة رحبة .

كما أعدت إذاعة محلية تشرف عليها هيئة خاصة تتولى إذاعة التعليمات — والإرشادات اللازمة على المنتفعين كما تتيح الفرصة لإظهار مواهبهم الفنية المختلفة تمثيلية كانت أو غنائية . كما زودت القرية بمكتبة جمعت فيها الـكتب المناسبة التى يمضى فى قراءتها وقت الفراغ . ولقد روعى فى إختيار الـكتب المستويات المختلفة لثقافة المنتفعين .

و إذا كانت العناية الشامله تتطلب تعويد المنتفعين على المعيشة فى مجتمع اشتراكى تعاونى ، فلقد اتخذت خطوات لتدريبهم على الحـكم الذاتى . فقاموا باختيار مجلس منهم يقوم بتنظيم حياتهم ، والتشاور فى أمور قريتهم .

و إذ تحتاج التجربة إلى استعداد خاص من كل فرد يريد أن يحيا هذه الحياة المنظمة القائمة على قانون الأخذ والعطاء Give and Take فلا بد من أن يعمل كل فرد على التخلى عن أنانيته وذلك بالخضوع لقانون الجماعة . بهـذا يتعودون الحياة الديمقراطية السليمة . و إن الطوابير التى تضمهم كل صباح لتحية العلم والاشتراك فى الأناشيد الحماسية لتشـعرهم بشعور الوحدة فى الهدف والوسيلة والوحدة فى الإيمان والعقيدة .

وللنساء طوابيرهن الصباحية وللأولاد طوابيرهم العسكرية .

وحين يتجه كل منهم إلى عمله أو إلى مدرسته وهو يرتدى زيا مثل زى زميله يشعر فى قرارة نفسه بزوال الفروق الاجتماعية التى طالما غرست بذور الأحقاد فى النفوس فخلفتهم وراءها شيعا وأحزابا متنافرين متباغضين .

ويكمل إطار هذا المجتمع الفريد بأنه لايعرف السلطة التى تعرفها المجتمعات الأخرى ونعنى بها الشرطة والمحاكم والسجون فنظامه يقتضى من الموظفين المشرفين روحاً خاصة واتجاهاً جديداً فهم لايعتدون بصفتهم الرسمية بقدر مايشعرون بإحساسهم بواجبهم نحو الاشتراك فى بناء هذا المجتمع الجديد . ومهمتهم تنحصر فى إرشاد وتوجيه أفراد المجتمع لا فى فرض الأوامر وإظهار روح السيطرة التى هى طابع رجال الشرطة وحفظة الأمن . لهم من خبراتهم ودرايتهم بشئون العلاقات بين الأفراد والجماعات مايمكنهم من توثيق عرى المحبة بين أفراد الجماعة الذين لاتربطهم عصبية ولاتزدهيهم عزة أو جاه موروث والعمل على ربطهم برباط إنسانى سداه ولحمته السير فى نمط قوى هادف نحو مجتمع اشتراكى ديموقراطى تعاونى خالص من شوائب الأطماع والأحقاد والسخائم تلك التى قد تنشب بين فرد وآخر ، بسبب النزاع على عرض من عروض الحياة ، إذ أن تكافىء الفرص ، مكفول للجميع على السواء ، حتى تجد استعداداتهم وميولهم وقدراتهم التربة الصالحة لكى تظهر وتنمو ويؤتى ثمارها .

كذلك نرى سبل الحياة قد أصبحت أكثر يسراً ، بسبب تنظيمها الأمر الذى ساعد على القضاء على أسباب النفور أو الشقاق أو المشاحنات كما هو الحال فى المجتمعات الأخرى . لاسيما وأن هؤلاء الموظفين يضعون أنفسهم رهن إشارة أهل القرية ، فى أى وقت ولأى داع — أما وقد وجدوا من أجل الجماعة ، فعليهم توفير أكبر مقدار من السعادة والأمن والإطمئنان والأستقرار للجميع دون تمييز بين أحد .

هكذا يشعر أهل هذه (اليوتوبيا) بأن هناك من يسهر عليهم و يكلأهم برعايته وعنايته ، فلديهم المستشفيات والأطباء الذين يعنون بصحة مرضاهم ، ويقدمون الخدمات الطبية بأقل النفقات ، و يعملون على خلق وعى صحى ناضج بين سكان المديرية و يهتمون بالطب الوقائى ، إيماناً بحكمة القول المأثور — الوقاية خير من العلاج[1] — كما كان لابد من العناية بإنشاء مركز ثقافى ومكتبة ، حيث يمكن العناية بترقية أذهانهم ، ولهم دور عبادتهم ، حيث يعنى بإيجاد الصلة بينهم و بين خالقهم . ولهم أماكن تسليتهم حيث يعنى بأوقات فراغهم ، فأنشىء من أجل هذا الغرض ناد يلتقى فيه المنتفعون ، كل مساء للتشاور فى أمور قريتهم ، ولمشاهدة الأفلام الثقافية والترفيهية تلك التى تتناول بعضها نواح هامة متصـــلة بحياتهم و بذلك لايتسرب الملل إلى نفوسهم فيتجهون إلى مزاولة العادات الضارة كتعاطى المشروبات والمخدرات ، وهى عادات فاشية فى الريف . كما أعد المسرح إعداداً فنياً بحيث يستطيع أطفال المدارس وصبيتها تقـــديم التمثيليات والحفلات فى مختلف المناسبات القومية والترفيهية .

ستة أشهر هى تلك المدة التى يمضيها المنتفع فى فترة التدريب والاختبار . فهو دائب العمل ، مزاول لكل نشاط ، يعيش تجربته المثيرة ، متطلعاً إلى المستقبل البعيد ، فإذا أمضاها بنجاح وأثبت جدارته ، حق له بأن يكون أحد المواطنين السعداء الذين وقع عليهم الاختيار ليعمروا المدينة الفاضله .

هكذا ينتقل المنتفع — تحت التدريب — من قرية عمر شاهين ليزاول حقوقه وواجباته كمواطن من مواطنى مديرية التحرير .

---

(١) مديرية التحرير — المرجع السابق — يونية سنة ١٩٥٥ .

النظم التربوية[١] :

تعتبر مديرية التحرير مجتمعا متكاملا يتكون من رجال ونساء ، وأطفال وصبيان .

وينتظم المنتفعون فى برنامج تدريبى يهدف إلى العناية الكاملة بنواحى شخصية الفرد الذهنية والبدنية والنفسية وذلك عن طريق السياسة التربوية المرسومة التى تتمشى مع فلسفة الثورة والتى تهدف أيضا إلى أن تصبح عملية التعلم عملية مستمرة مطردة فلا تقف عند نهاية السلم المدرسى أى لابد من أن تنمو بنمو الفرد وتزيد بزيادة تجاربه وخبراته . لهذا فإن إشرافها وتوجيهها لا ينتهى بتوجيه الأمهات إلى كيفية تنشئة الأطفال النشأة الاجتماعية والصحية السليمة فى مرحلتى الحضانة ورياض الأطفال بل نراها تمتد إلى جميع أطوار حياة الفرد . وهى إذ تضع برنامجا لتعليم الكبار فهى حريصة على العناية بالمدرسة من أجل الصغار .

ووظيفة المدرسة بمديرية التحرير هى العمل على مساعدة الفرد على النجاح فى عملية التكيف الاجتماعى وذلك عن طريق التعاون الوثيق بين المدرسة والمجتمع وبين المنزل والمدرسة . ولهذا كانت مناهجها مرتبطة ارتباطا مباشرا بعمليات ومشكلات الحياة بالمديرية . كما اعتبرت المدرسة مركز إشعاع لجميع نواحى النشاط الثقافى والاجتماعى والرياضى والصحى لجميع سكان القرية .

ومراحل التعليم بالمديرية تتضمن :

١ — مرحلة الحضانة ورياض الأطفال من ٢ ـ ٦ سنوات .

---

(١) مديرية التحرير — الكتاب الثانى — صدر عن إدارة النشر والصحافة . يونيو سنة ١٩٥٥ .

٢ — المرحلة الابتدائية من ٦ — ١٢ سنة .

٣ — المرحلة الثانوية من ١٢ — ١٧ سنة .

٤ — مرحلة الجامعة والتعليم العالى .

تودع الأمهات ، ولا سيما العاملات منهن أولادها الصغار مدرسة الحضانة . وتعهد بهم لمن تتولى أمرهم تحت إشراف خبراء تربويين نفسيين .

فإذا ما بلغ سن الإلزام ينقل إلى المدرسة الإبتدائية حيث يحرص المدرس على تطبيق مبدأ العلم بالعمل (Learning By Doing) تطبيقا عمليا فهو لايقنع بمجرد حشو ذهن الطفل بالمعلومات النظرية ، بل يسعى إلى مساعدته كى يحيا حياة نشطة مثمرة فيفلح حديقته الصغيرة الملحقة بالمدرسة كما يفلح حديقة منزله الصغير كما يشرف على تربية حيواناته الأليفة هنا وهناك ويشتغل بالأشغال اليدوية كى يشترك مع زملائه فى تجميل فصولهم ومدرستهم إلى جانب هذا فهو يجد الرعاية الصحية الكاملة ، والإشراف الطبى ، المناسب ، ويزاول الألعاب الرياضية ، ويشجع على إحراز قصب السبق فيها .

وفى قرية عمر شاهين توجد المدرسة الفنيـــة المشتركة وهى أول تجربة من نوعها فى مصر حيث يتلقى التلاميذ دراسة خاصة تهدف إلى خلق جيل من الصناع المهرة المثقفين فتؤهل المتخرجين فيها لمزاولة الزراعة والصناعة[1] على يد إخصائيين لتأهليهم مهنيا كل حسب قدراته ومواهبه ، كما يراعى فى توجيههم حاجات المديرية ويقبل التلاميذ فى هذه المدرسة بعد أن يجتازوا اختبارا شخصيا وتحريريا ويلحقون

---

(١) لماذا قامت مديرية التحرير ؟ صدر عن مراقبة العلاقات العامة — نوفمبر سنة ١٩٥٧ .

بالقسم الداخلى حتى يتوفروا على دراستهم وحتى يتشربوا مبادىء المجتمع الذى يعيشون فيه ويصبحون صورة لهذا المجتمع الزراعى الصناعى . إنهم يستيقظون مع الفجر وينامون على أنغام الموسيقى كما يعلمون الحرص على النظام والنظافة وعلى الدقة فى المواعيد ويشتركون فى ألعاب جماعية فى ملاعب القرية ويعلمون كيف يستعلمون السلاح لتلبية نداء الوطن .

كما يشجعون على القيام بالتمثيل على مسرح القرية . فيشبعون هواياتهم وينمون مواهبهم .

هذه هى الخطوط العريضة للسياسة التربوية وأهدافها المستقبلة فى مديرية التحرير ، كما أشرنا إلى ما تحقق منها من نظم فى مراحل الحضانة والمرحلة الأولى والإعدادية وكان حكمنا على هذه النظم بأنها تتفق مع أهم مبادىء التربية الحديثة وتؤدى إذا ما نفذت بحذر وبحيطة إلى تكيف إجتماعى سليم للناشىء فى مجتمع تقدمى .

وبهذه السطور استطعنا أن نلم بأطراف حياة الفلاح فى قرية التدريب كما استطعنا أن نحدد ما ينتظره من مستقبل بعد نهاية مدة التدريب .

كذلك استطعنا أن نبين الحاجة الماسة إلى خبراء اجتماعيين ونفسيين وتربويين لكى يتولوا تنظيم هذا المجتمع تنظيما يكفل تحقيق السعادة المنشودة .

لهذا كان لابد للموظف الذى يقوم بالإشراف على تنفيذ هذه التوجيهات أن يمر بسلسلة من التدريبات العملية التى تبين مدى صلاحيته للقيام بما نيط به من مهام . كما يمر باختبارات متعددة تتناول حظه من الثقافة وميوله واتجاهاته ومدى مايتمتع به من قدرة عقلية ، واستعداد للتكيف بالظروف التى يوجد فيها .

ولما كانت الجامعات تهدف إلى ربط الناحية النظرية من الدراسة بالجانب العملى ، لهذا اتجهت الفكرة إلى ندب بعض الطالبات أثناء العطلة الصيفية لتدريبهن تدريبا عمليا فى الميدان الزراعى والاجتماعى .

ونفذ هذا الاتجاه صيف عام ١٩٥٧ ، ونيط بى الإشراف على تدريب بعض طالبات جامعة عين شمس وهن لفيف من طالبات الزراعة ، وقسم الاجتماع بكلية الآداب وكلية الحقوق والقسم التربوى بكلية البنات .

الفصل الثالث

قياس التكيف الاجتماعى

كانت أولى الخطوات الهامة التى أخذنا بها قبل البـــدء فى قياس التكيف الاجتماعى لجماعة المنتفعين من الفوج السادس هى محاولة معرفة مدى استعداد أولئك المستوطنين الجدد للتكيف البيئى والاجتماعى المراد بهذا المجتمع الفريد ، لهذا رأيت أن أقوم بوضع الأسس العلمية التى تساعد على إتمام هذا الهدف ، كما كان لا بد من أن أستنير بالأبحاث التى أجريت لمعرفة مدى تأثر الفرد بالجماعة وتأثر الجماعة بالفرد . ذلك لأن نجاح الفرد أو فشله فى سلوكه الاجتماعى يعتمد إلى حد كبير على مقدار مرونته ونوع ثقافته ومداها ونوع التنظيم الاجتماعى الذى يضمه[1]

كما كان للابحاث التى أجريت لقياس ديناميكية الجماعات وتمهيد الجو المناسب لتربية القادة والأعضاء وتدريبهم على الزعامة فى نواحى الحياة المختلفة[2] أهميتها . فمثلا من الدراسات ذات الطابع المفيد دراسة عوامل الانحلال التى تصيب الأفراد والمجتمعات ومن بينها تأثير الشائعات على سيكلوجية الجماعات وخصائص نموها وتطورها وطرق مقاومتها[3] .

---

(1) Allport . F. H. « The Influence of the Group Upon Assoc - iation and Thought » Journal of Experimental Psychology , 1920 No. 3, pp. 159 — 182 .

Festinger, L. «Wish, Expectation & Group Standards as Factors Influencing Levels of Aspiration» Journal of Abnormal & Social Psychology 37 pp. 184 — 200

(2) Lippitt R., An Experimental study of Au'horitarian and Democratic Group Atmospheres 1948,

Bavelas, A. and Lewin, k. « Training in Democratic Leadership Journal of Abnormal & social psychology, 1942, No. 37. pp.115. 119.

(3) Harding , J. « A Scale for Measuring Civilian Moral » Journal of psychology, 1941, 12, pp, 100. 110.

هذه الأبحاث وغيرها كدراسة نشأة [1] الرأى العام ووسائل تكوينه وإنتشاره ومدى [2] تطوره أثبتت إلى جانب الحقائق والنتائج الهامة التى توصلت إليها أن لابد من الالتجاء إلى معايير خاصة تتخذ كأساس لقياس المواقف الاجتماعية ؛ المختلفة إذا ما أردنا معرفة مدى تكيف هؤلاء الأفراد بشكل موضوعى . فاذا ما تعذر تمثيل هذه المواقف بصورة مباشرة كان لا بد من ترجمتها بشكل غير مباشر . بحيث لايشعر الممتحن بأهداف واضع القياس ، حتى يصبح الموقف طبيعيا بالنسبة له .

معنى هذا إذا كانت هناك صعوبة فى أن نضع هؤلاء المنتفعين فى موقف اجتماعى طبيعى كما يحدث مثلا فى اختبار المتقدمين لامتحان أولئك الذين سيتعاملون بحكم مهنتهم مع جماعات مختلفة مثل الإخصائيين الاجتماعيين أو موظفى وزارة الخارجية مثلا ، ففى انجلترا مثلا يدعى الأفراد المتقدمون للامتحان لكى يعيشوا معاً لمدة أسبوع مثلا وتهيأ لهم جميع الظروف المختلفة التى يواجهون فيها مشكلات عديدة والتى تتطلب منهم سلوكا معيناً حسب الموقف الاجتماعى أو الإطار الاجتماعى الذى يوجدون فيه فحينما يراقب الممتحن كيف يسلك فى حفلة من الحفلات ، سواء كان هو الداعى للحفلة والقائم عليها أو المدعو إليها . ومرة أخرى يدير ندوة من الندوات وثالثة يكون هو أحد أعضائها .

وهكذا يقيم تصرفه فى كل حالة على ضوء سلوكه ومن ثم يختار أصلح المتقدمين .

---

(1) Krech & Crutcfield المرجع السابق ، الفصل الثامن ص ٢٧٣ — ص ٣١٥

(2) Youg Kimball. A Handbook ofSocial psychology, Routledge & kegan Paul ltd 1948 pp الفصل الثامن عشر والتاسع عشر ص ٤٢٩ — ص٥٠١

إذا تعذر اختبار أفراد جماعة ما فى مواقف حية كتلك المواقف التى سبقت الإشارة إليها .

أليس من الممكن الاستعاضة عنها بوسيلة أخرى ؟

وأليس من الممكن أن نتفادى عيوب القياسات المبنية على الأسئلة المباشرة أو الأسئلة الشفافة التى تساعد على التخمين ، وعلى محاولة إخفاء الإجابات الصحيحة[١] .

وصف القياس وتطبيقه

الهدف من القياس :

لما كان الهدف الأول من تطبيق القياس هو معرفة مدى تكيف المنتفع بالظروف الجديدة ومدى تمكنه من التفاعل مع البيئة التى يعيش فيها ، لا سيما وأن من وقع عليهم الاختيار لتنفيذ الاختبار قد أمضوا بالقرية أياما قليلة لم تناهز الشهر حتى لا يكونوا قد تأثروا بالبيئة الجديدة و بذلك يصعب معرفة التغيرات التى سوف تطرأ على مدى تكيفهم فيما بعد .

أسلوب القياس :

اخترت الأسلوب القصصى لقياس التكيف الاجتماعى ، ذلك لأن للقصة دورها الكبير فى حياة المجتمع الذى لم تعقده الحضارة ، كما أثبتت الأبحاث التى قام بها علماء الأجناس[٢] . لهذا نرى إعجاب المواطنين بالقصص الشعبى واضحا فى

---

(1) LindQuest E.F. Educational Measurement, American-Council of Education Washington, D. c.

الفصل الخامس ص٥٦٠ . ص ٦١٦ . ص ٦١٩

(2) Abram Kardiner, The Individval and His society. New York Columbia University Press, edition 1947,

مدى اهتمامهم بالاستماع إلى « القصاص » الذين يجتمعون به فى المقاهى بالأحياء الشعبية والقرى مثل شاعر الربابة الذى يلتفون حوله ويلفهم الأعجاب بما يقص عليهم من قصص أبو زيد الهلالى والزناتى خليفة وديباب بن غانم والظاهر بيبرس وسيف بن ذى يزن والأميرة ذات الهمة وعنتره العبسى .

هذه الظاهرة قد بدأت فى الانقراض منذ أن انتشرت الإذاعة[١] ، ولعلها قد أحسنت صنعا عندما أخذت بهـــذا المنهج وجعلت من قصص ألف ليلة والظاهر بيبرس برامج يومية تحظى باعجاب الملايين من هؤلاء المواطنين . هـــذه القصص نلاحظ أنها تحاك حول شخصية حقيقية أو أسطورية تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل تعطى صورة تعتمد على عنصر المغالاة لتبرز صورة البطل على النحو الذى يرضى ما يرغب الناس فى أن يكون عليه بطلهم من صفات البطولة والفروسية الخارقة للعادة وما يمتاز من شهامة ومن نصرة للضعيف المكروب وشدة محافظته على الشرف واعتزازه بالوطن .

ويفخر أبنـاء القرى بتاريخهم الطارف والتالد متأثرين فى ذلك بحياة القبيـلة الأولى : من القرى ما يزعم أهلها أنهم من سلالة « أبى زيد الهلالى » وبجانبها قرية أخرى تزعم أنها من سلالة « دياب بن غانم » ويحرص سكان كل من القريتين على الإبقاء على العداوة البيئية التى سارت بين الأسطورتين التاريختين — ويغذى شاعر الربابة هذا الخلاف بما عرف عنه من براعة وصف للصورة الماضية بحيث تتأصل فى نفوس القوم[٢]

كذلك ترسم هذه القصص صورة للمجتمع الذى نبعت منه هذه القصة . فألف

---

(١) إلى القرية — المرجع السابق ص ٦٦ .

(٢) إلى القرية — المرجع السابق ص ١٤ — ١٥ .

ليلة وليلة مثلا ترسم مجتمعات متعددة عاصرت الدولة العباسية وقصة الظاهر بيبرس تحكى قصة الصراع بين الصليبين والمسلمين وآلام العرب وآمالهم .

محتويات القصص :

فى حين أننا نرى قصص هذا القياس نابعة من صميم حياتهم ، نابضة بأحداث واقع الحياة العامة التى يحياها الفلاح فى الريف المصرى ، تعيش فى منطقة اللاشعور حيث تستند إلى جذور تاريخية عميقة. تدور حول أسماء مألوفة لهم هى أسماؤهم ، كما تتناول مشكلاتهم الحيوية بالعرض والتحليل وتتلمس أسباب العلاج .

فمشكلة الطمع والسرقة والخوف والأخذ بالثأر وإن كانت ذات طابع فردى فى مظهرها فانها لا تختلف فى مخبرها عن تلك الانفعالات التى تثير البغضاء بين الناس وتعكر صفو السلام فى المجتمع . ويمكن دراستها فى الفرد دراسة مباشرة كما يمكن دراستها فى المجتمع دراسة غير مباشرة . ويلاحظ فى سلوك الفرد أنه قد يكون مدفوعاً لاحترام قوانين الجماعة إما عن رهبة أو عن رغبة، وكذلك للمشاركة الوجدانية أثر قوى فى سلوكه منفردا أو فى جماعة. وقد يكون مدفوعاً بدوافع تمليها مصلحته الشخصية فيتصف حينئذ بالنفاق الاجتماعى ، وهذا أدنى أنواع الدوافع من وجهة نظر علم النفس الاجتماعى .

وقد يجد الفرد فى بعض القواعد الأخلاقية أو فى نظام من نظم الحياة مايحقق له السعادة والاستقرار وراحة البال باعتباره أمرا اجتماعيا فى جوهره وإن لم يكن متفقا مع المثل الأعلى الأخلاقى ؛ أى أن الفرد يمكنه الوصول إلى الشعور بقدر أكبر من السعادة عن طريق التوفيق بين دوافعه الذاتية ومحاولة تكييفها وتعديلها حتى تصبح خاضعة لإرادته متفقة مع مصلحة الجماعة ولنضرب مثلا من الصورة (١) جاءت تحت رقم ١ قصة عم اسماعيل « اللى كان بيرجع كل يوم سكران طينة موش دارى بروحه يقعد يكسر فى القلل وكل اللى يلاقيه قدامه فى بيته . وفى ليلة بعد ماضرب

مراته وعياله سرق غوايش مراته وراح باعها عشان يسكر مرة تانية » ! ! .

هى قصة قد تحدث كل يوم تقريباً فى كل قرية وكل مدينة . أحياناً تأخذ صورة إدمان المخدرات كالحشيش أو الأفيون وأحياناً تأخذ صورة إدمان الخمر ؛ عرضت بلغة الفلاح حتى لاتكون وسيلة الاتصال بين القياس و بين المنتفع عاملا يحول دون فهمه للقصة . كما وضعت فى صورة حية شائقة تصور عم اسماعيل وهو فى طريقه إلى « الخمار » ثم فى عودته إلى بيته فى حالة فقد فيها وعيه ، وتمثله وهو بين أفراد أسرته صاخباً صارخا هائجاً يقذف بكل مايجده أمامه . . وتمثله معتديا على زوجته وأطفاله الأبرياء . .

وتمثل الزوجة مستسلمة مغلوبة على أمرها . واستسلام الزوجة أمر معروف فى الريف . هذا الشخص المنحرف الذى نسى واجبه نحو أسرته وفقد كيانه الاجتماعى شخص يهدد المجتمع فى سلامته وسعادته ، لكنه شخص مريض لا حول له ولا طول لا قدرة له على التحكم فى شهواته ولذاته . لهذا كان لا بد من دعوة المجتمع ليحكم عليه .

عملية إصدار الأحكام .

ولتيسير عملية إصدار الحكم ، كان لا بد من عرض أربعة أحكام تلى كل قصة وتعرض حلا لهذه المشكلة التى تناولتها القصة . وعلى المحكم أن يختار حكماً واحداً منها ، إذ ليس بينها ما يعتبر حكماً خاطئاً فى حد ذاته — أى أن أى حكم يمكن أن يعتبر حلا لهذه المشكلة . فالعملية من هنا كانت عملية تفضيل حكم على الثلاثة الأخرى باعتباره أفضل من غيره من الوجهة الاجتماعية أو الأخلاقية . الأمر الذى يدل على مقدار استعداده الشخصى للتكيف الاجتماعى ، كما يدل على تكامل شخصيته ، ذلك لأن درجة تكامل الشخصية تتناسب تناسباً طرديا مع اتساع

دائرة المجتمع الذى يهدف الفرد إلى إسعاده[1] . فإذا ما اتفقت الدوافع الذاتية مع الدوافع الاجتماعية تحقق للفرد شعوره بالأمن وتجنب الصراع واقترب من حالة تكامل شخصيته . لهذا كانت الأحكام تتعرض للدوافع الذاتية كما تتعرض للدوافع الاجتماعية لأن إهمال ذكر الأولى لا يعنى تحرر الفرد منها وسموه إلى مستوى الأهداف الاجتماعية . وان المجتمع السليم هو الذى يمكن الفرد من الوصول الى درجة التوافق بين هذين النوعين من الدوافع . ذلك لأن أول ما تعنى به هذه القصص هو تناول شخصية الفرد والجماعة فى أنماط مختلفة من قطاعات متقاربة ومتباعدة تحلل دوافعهم وسلوكهم فى ضوء النتائج التى وصل اليها علم النفس الحديث .

وللوصول إلى نتيجة أكثر قربا من الصواب كان من الضرورى أن تعطى فرصة وقتية مناسبة تتيح للقائمات على تطبيق القياس توثيق أواصر الصلة بينهن وبين المراد تطبيقه عليهم . وقد أتيحت لهن فرصة مداها أسبوعان ، قمن فيها بزيارة منازلهم والتحدث إليهم بطريقة لا تكلف فيها . حتى أنه لما حان وقت تطبيق القياس كانت كل طالبة تلم إلماما كاملا بأحوال هؤلاء وحتى بأسمائهم ، الأمر الذى دعم أواصر الثقة بين الطرفين . ولا شك فى أن هذا كان من أقوى العوامل فى الوصول إلى النجاح المنشود بسهولة ويسر . ورؤى لضمان الحصول على نتائج صائبة أن تمنح فرصة يتمكن فيها الطالبات من بث روح الألفة والإيناس حتى تنعقد صلة طبيعية بين المنتفع بالقياس والقائم على تطبيقه . كما كان لابد من تعويدهن على مثل هذا النوع من الاختبار . ولقد سبق أن طبقت الطالبات على هذه الفئة اختبارا آخر من وضع المؤسسة . كذلك كان لابد من أن يجرى الاختبار بصفة فردية ، حيث أن الغالبية كانت ن الأميين والاختبار الفردى من شأنه أن يتيح فرصة لها طابع العلاقة

---

(١) أسس الصحة النفسية عبد العزيز القوصى مطبعة النهضة المصرية الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٢ ص ٩٧

الشخصية بين الطرفين ، كما يتيح للممتحن فرصة دراسة انفعالات الممتحن واستجاباته لهذا الموقف بطريقة طبيعية لا افتعال فيها ، كما كان لابد من أن يستعان بمثال لتوضيح الغرض الذى ينشده الممتحن حتى لايقع المجيب فى خطأ عند الإجابة على القياس .

وقد نصت التوجيهات على ضرورة قراءة التعليمات والقصة على الممتحن بهدوء ووضوح حتى يتمكن من استيعابها وفهمها . وتقرأ الأحكام مرتين ، قبل أن يسأل الممتحن إعطاء حكم نهائى وبهذا نتيح له فرصة التمعن والتمكن من إصدار حكمه الشخصى الذى يتفق مع رأيه الخاص .

وأما إذا حدث وكان الممتحن يقرأ ويكتب بيسر ، فيعطى الاختبار ويقوم هو بتوضيح رأيه فى صورة الإجابة .

وكان من الطبعى أن يترك أمر تحديد الوقت لكل حالة لاختلاف الفئة فى القدرات وفى الخبرات ، وإن طلب من الممتحنة أن تحدد الوقت الذى تستغرقه فى كل حالة .

ويلاحظ أن الاختبار وقد زود بصورة إجابة يمكن أن يطبق على مجموعة كبيرة العدد متى كانوا على علم بالقراءة والكتابة ، وبذلك يمكنه توفير الوقت .

ولقد رؤى أن يكون القياس من[1] صورتين : إحداهما للرجال (صورة ا) والأخرى للسيدات (صورة ب) ، وكل منهما يتكون من ١٣ قصة . والصورتان لاتختلفان فى التكوين كثيرا إلا فى ناحية المشكلات التى تتناولها ، لأن المرأة فى الريف وهى تشارك الرجل مشاركة تكاد تكون كاملة فى حياته العملية ، لها

---

(١) ملحق واحد.

نفس مشكلاته حتى المشكلات الخاصة بها يشاركها فيها مثل مشكلة الزار والتمائم وعلاج الأمراض والاعتقاد فى الأولياء . ولهذا نجد نفس هذه المشكلات فى الصورتين .

ولقد رؤى أن يعرض القياس فى صورتين على جماعة من المحكمين من أهل المدن ، يمثلون ألوانا مختلفة من الثقافات والمهن المختلفة بشتى فروع الحياة ، فمنهم رجال القانون ومنهم رجال الصحافة ومنهم الجامعيون أساتذة وطلاب من الجنسين عددهم ٢٥ ، وطلب إليهم اختيار أكثر الأحكام دقة وصحة من الوجهتين : الأخلاقية والاجتماعية .

معنى هذا وجوب وضع مصلحة الجماعة فى المقام الأول عند تقديرهم للحكم الصحيح ، بغض النظر عن ميولهم واتجاهاتهم الشخصية ، أى محاولة تنزيه أحكامهم عن الأغراض الذاتية بحيث يصدرون هذه الأحكام مجردة من أية شائبة .

بهذا يمكن مقارنة آرائهم بآراء المنتفعين عن كل قصة على حدة . كما قد رؤى تضمين نسب اتفاقهم (٢) على الحكم الأصح عند تحليل القصص ؟ وبذلك تصبح الصورة شاملة لأحكام كل من الفريقين .

وفيما يلى سنبدأ بتحليل إجابات الصورة (ا) المطبقة على فريق الرجال ، وتليها تحليل إجابات الصورة (ب) المطبقة على فريق النساء .

---

(٢) ملحق ثان .

الفصل الرابع

قياس التكيف الاجتماعى للرجال

(وصفه وتحليله)

الصورة (ا)

إدمان .. وإصلاح

القصة الاولى :

إدمان .. وإصلاح

عم اسماعيل كان بيرجع كل يوم لبيته سكران طينة موش دارى بروحه .. يقعد يكسر القلل وكل اللى يلاقيه قدامه فى بيته .. وفى ليلة بعد ما ضرب مراته وعياله سرق غوايش مراته وراح باعها علشان يسكر مرة ثانية .

الأحكام

(ا) يا ترى توافق على أعمال إسماعيل إنه حر فى بيته ومراته وعياله ؟

(ب) الحق اسماعيل موش مسئول .. إنما المسئول اللى باع له الخمرة .

(ح) لازم نحاول إصلاح أمر إسماعيل ونخليه راجل أحسن من كده .

(د) مالنا ش دعوة باسماعيل .. يشرب ما يشربش يعرف شغله ! !

التحليل

إن اعتدال المصريين فى الطعام والشراب كان مضرب الأمثال ، إلى حد عبر عنه مستشرق فى القرن التاسع عشر بقوله . « قلما رأيت منذ قدومى الأول مصريا فى حالة سكر ما لم يكن عازفا فى سامر[١] » . غير أنه حدث تغيير فى منتصف القرن العشرين بسبب زيادة اختلاطنا بالأوربيين الى درجة أصبح معها بعض أفراد الشعب المصرى من المدمنين على الرغم من تحريم الدين تعاطيها فى الوقت الذى نرى ساكن القرية مازال يخشى تعاطى هذه المسكرات علنا ، خوفا من اليوم الآخر ومن العقاب الاجتماعى . هذا على الرغم من انتشار المشروبات والمكيفات بشكل لفت نظر الباحثين . اذ ثبت مثلا أن فى قرية (كفر طهرمس) حوالى ٥٧ر٦٠ ٪ من مجموع الأسر بها تنفق على المشروبات والمكيفات أقل من عشرين جنيها سنويا وهى نسبة مرتفعة بالنسبة للمستوى العام للدخول[٢] ، كما أن نسبة ٥ر٢٨ ٪ من مجموع أسر هذه القرية ينفقون من (٢٠ جنيها ألى أقل من ٤٠ جنيها) فى هذا الباب[٣] . كذلك وجد أن بعض الأسر تنفق ما يزيد على المائة جنيه سنويا على المشروبات والمكيفات . . أما سر ارتفاع هذه النسبة فيرجع الى تعاطى أفراد هذه الأسر المخدرات . و إذا كانت الحكومة قدتولت أمر محاربة من يتجر فيها ومن يتعاطاها ، فلقد أجازت المسكرات فلم تحرم تعاطيها . غير أن للمجتمع كلمة أخرى فى هذا الصدد . بمعنى آخر ، هدفت هذه القصة إلى معرفة حكم الجماعة على فرد ضل سواء السبيل فأخذ يعب منها عبا حتى نسى واجباته نحو أسرته ؟

القصة الأولى : « قصة عم اسماعيل » تعرض مشكلة هذا الفرد كما تعرض أحكام فريق من هذه الجماعة عليه .

---

(١) أدوارد لين ـ المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٢) مشروع الخدمة العامة ـ المرجع المذكور ص ١٠٣ .
(٣) المرجع السابق ـ الصفحات ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ .

ترى الأغلبية العظمى (٨٨ ٪) محاولة إصلاح إسماعيل حتى يتوب و يصبح رجلا أفضل وهذا الرأى يدل على نوع من المشاركة الوجدانية فلم يحكم حكما يقصى به إسماعيل عن الجماعة ، بل يرى أن فى سلب ارادته نوعا من المرض الواجب معالجته. ولقد أثبت التحليل النفسى للأخلاق أن هناك طائفة من اختلالات المسالك تخرج عن سلطان الإرادة فلا يعتبر مرتكبها مسئولا من الناحية الأخلاقية ؛ ومن هـــذه الاختلالات إدمان الخمر ، مثلها مثل سوء الطبع والشك المرضى والعدوان والخور وبعض الانحرافات الجنسية .

يرى كل هذه كما يراها التحليل النفسى ناجمة عن عقد مكبوتة . ومن أجل هذا فهى تعالج باعتبارها أمراضاً . تتفق هذه النسبة مع أغلبية المحكمين (٩٥ ٪) ترى إصلاح أمر اسماعيل ـ ولهذا تعتبر هذه القصة جيدة من حيث قدرتها على التمييز بين الحكم الأصح من وجهة نظر المجتمع سواء فى الريف أم فى المدينة .

موقف الأغلبية من « إسماعيل » كمن يدرك الفرق بين المدمن صاحب الطبيعة ذات الحساسية و بين من يعاقر الخمر بسبب طبيعته الوحشية المتدهورة . الأول يعبر بإدمانه عن عجزه عن مواجهة واقع الحياة فيحاول الهرب منها . أما الثانى فهو يصر بعناده على أنه من حق كل مواطن أن يسكر فى أى وقت يشاء ومتى أراد ! .. أى أن المدمن يضطر إلى « السكر » حتميا باندفاع لاسبيل إلى مقاومته اذ أن ارادته أضعف من أن تقاوم فيه ميله الجامح إلى شرب الخمر [1] .

أما « السكير » فهو مذنب — أى مرتكب للخطيئة بمحض إرادته — فى حين أن المدمن مصاب بمرض خلقى ؛ فهو لهذا فى حاجة إلى علاج ،

---

(١) علم النفس والأخلاق تأليف ج .ا هادفيلد ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم مكتبة مصر صفحات ٥٨ ، ٦٥ — ٦٦ .

مثله كمثل المصاب بمرض نفسى. معنى هـذا أن المرض الخلقى يختلف عن الخطأ الخلقى فى أن صاحبه لا يرغب فيه ولا يستطيع أن يتقيه ولا يهتدى إلى أسبابه .

وما دامت هذه الخصائص موجودة فى إسماعيل ، فلا بد من اخراجه من إطار المسئولية الاجتماعية .

٠٢٦ر٠٪ من الفريق يرى ترك إسماعيل لنفسه ، فليس لأحد حق التدخل فى شئونه الشخصية ، بل يقره على التصرف فى بيته وزوجته كما يشاء .

وللتحليل النفسى تعليله لموقف هذا النفر فهو يرى أنه فى قرارة نفسه يقر موقف اسماعيل من واجباته الاجتماعيه والأخلاقية بل يغبطه على هـذا الموقف . لهذا ، فهو يجيز ما يرغب فى أن يجيزه لنفسه . فموقفه إذاً ما هو إلا إسقاط وتعبير لمواقفنا المرنة تجاه أخطائنا الخلقية أى أنه بهـذا الحكم قد خفف من وخزات الشعور بدونية الذات[1] .

(٠٢٦ر٠٪) يرى أن المذنب هو من قدم الخمر لاسماعيل حتى أدمنها ، فالعقاب إذاً يقع على من أتاح له فرصة الإدمان وليس على المدمن وكأنى بهذا الرجل يؤيد قانون تحريم الخمر ، بل يمثل نوعا آخر من الإسقاط . إذ يلقى على الظروف الخارجية تبعة إرتكابه خطيئة أو إثما ، وبهذا يبرر لنفسه تجاه الناس عملية ارتكاب الإثم[2] . ونسى هذا النفر أن المسألة ليست إزالة مثيرات غواية إسماعيل وإنما هى مسألة إزالة رغبته .

(٠٥٢ر٠٪) يأخذون بمبدأ التواكل Laissez Faire « ليس عليك هداهم »

---

(١) نفس المرجع السابق ص٤٨ .

(٢) أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصى الطبعة الرابعة ١٩٥٢ مكتبة النهضة صفحات ١٣٣ — ١٣٤ .

مادام اسماعيل قد ضل سبيله إلى الطريق المستقيم . إذاً ، هذا الفريق يمثل الجانب السيئ من الجماعة الذى لايقدر المسئولية نحو المجتمع ونحو أفراده ذلك لأن المسئولية الاجتماعية تتطلب الأخذ لا بيد الأعضاء العاملين فحسب ، ولـكن بيد المنحرف أيضا ، لأن المنحرف ضحية الظروف البيئية الأولى التى من أجلها تنصب المسئولية على أعضاء المجتمع الآخرين .

الخلاصة أن الأغلبية الساحقة على استعداد لأن تبذل مجهودا لإعادة اسماعيل لحظيرة الجماعة ، مما يدل دلالة واضحة على مدى استعدادهم للأخذ بيد الضعيف حتى يقوى والمريض حتى يصح والمنحرف حتى يصير سويا .

أى أن الأغلبية تقف موقفاً إيجابيا من إصلاح أهل قريتهم .

الخير . . والشر !!

« الست مبروكة رجعت يوم من السوق . . لقت كل حاجة فى بيتها انسرقت وهى فى طريقها للعمدة . . قابلها الحرامى . . ولما شافها صعبت عليه وقال لها : اسمعى ياست . . بينى وبينك ربنا !! ... إنت باين عليك ولية غلبانة وصاحبة عيال . . خدى حاجتك أهه . . وسامحينى . أصلى أنا لما سرقت كنت جعان . . ادعى لى ربنا يتوب على . »

الأحكام

ا — الست مبروكة لازم تتظاهر بمسامحة الحرامى و بعدين تشتكيه فى السر .

ب — الست مبروكة لازم تصرخ وتستغيث بالناس علشان يمسكوه و يودوه للعمدة

حـ — الست مبروكة مالهاش دعوة بأذيته ما دام حاجتها رجعت لها .

د — الست مبروكة تروح لشيخ الجامع وتطلب منه نصح الحرامى علشان ما يسرقش .

التحليل

حرصت على إبراز الدور الذى تلعبه الجريمة فى حياة القرية المصرية فى قصص عديدة من قصص قياس التكيف الاجتماعى ، من هذه القصص قصة تنازع الخير والشر فى نفسية لص ريفى ، فهل من الممكن أن نجد هذه القصة فى واقع الحياة ؟ أمن الممكن أن ينبض قلب المجرم بالشفقة على ضحاياه ؟ وما موقف الجماعة من سلوك الست مبروكه تجاه اللص التائب النادم ؟

يذكر هادفيلد [1] أن أشد المجرمين غلظة يتحرك قلبه أحياناً لدواعى الشفقة على ضحاياه ، بل يؤكد عدم إمكان تعرضنا لوخز الضمير مالم نرتكب إثماً أو خطيئة كما أنه لا يمكن أن نستغوى إلى اقتراف الشر ما لم نكن أخيارا ، فالغواية لسان حال الشر المقموع عند ما يكون الخير هو السائد . والضمير لسان حال الخير المكبوت عند ما يكون الشر هو السائد . لذلك هو يسعى إلى التعبير عن نفسه . وصوت الضمير يغريه بأن يكون رؤوفا شجاعاً جوادا . هذا عن المجرم ، فما بالنا باللص القروى الذى لم يتعقد بعد ولم يتوغل فى الانحراف بعد .

إن نسبة ٥ر٧١ ٪ تشير على مبروكة بضرورة الالتجاء إلى شيخ الجامع وله مكانته الروحية فى نفوس أهل القرية وتطلب إليه نصح السارق حتى لا يعود للسرقة مرة أخرى . لقد ضل سواء السبيل ، فهو يستحق من الجماعة أن تتكاتف لإصلاحه . وكأنى بهم يتمثلون بقول السيد المسيح : « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر ! ! . . . »

وإن اتجاه هذا الفريق هذه الوجهة لتؤيده الأدلة والبراهين فقد ثبت من

---

(١) هادفيلد . المرجع السابق ص ٥١ .

العلاج الفعلى للعادات الفاسدة أن العادات تبطل بمجرد اقتلاع العقدة التى تسببت فى وجودها اقتلاعاً تاماً ، كما أن الانفعالات التى تدفع السارق إلى السرقة والكاذب إلى الكذب مثلا تعود إلى عقد تغذيها مصادر انفعالية من الممكن القضاء عليها قضاء تاماً ؛ وذلك باجتثاث مصدر العقدة اجتثاثاً يصلح العادة إصلاحا ناجعاً . كما دلت التجارب على أن الدين من أقوى العوامل الفعالة التى تعين الإنسان على بناء خلق قوى بشرط استخدام الإرادة أى بشرط أن يدعم الإيحاء بالعزم والدين بالمجاهدة الخلقية (١) .

أى أن فكرة الأمانة كالصدق تكتسب عن طريق الممارسة الشخصية والاقتداء بالمثال النموذجى (٢) . نفس هذه النسبة من المحكمين قد أيدت هذا الرأى أيضا .

[نسبة ٢٦,٥ ٪] ترى أنه ما دامت أشياء مبروكة قد ردت إليها ، فلا داعى للمعاونة فى إيقاع الجزاء على السارق . تمثل هذه النسبة الفريق الذى يوجد فى كل مجتمع من المجتمعات والذى يأخذ بمبدأ ارتباط المصلحة الفردية ارتباطاً ذاتياً لاجماعياً . أى يمثل الفريق العاجز عن الارتقاء بتفكيره إلى مرحلة تقدير المسئولية الجماعية . ولا شك فى أن ضيق أفقهم أعجزهم عن أن يتصوروا أنهم قد يقعون يوماً ضحية هذا المنحرف مالم تبذل له المعونة والمساعدة .

(٢٦,٥٠ و ٪) يمثل وجهة النظر القانونية ، فهو يرى حق الجماعة فى الضرب على يد المذنب المعتدى ، فينصح لمبروكة بألا تدع السارق يفلت من العقاب القانونى حتى يصبح هذا العقاب رادعاً له . هذا الفريق يعتبر السارق مسئولا

---

(١) هادفيلد الصفحات ٥١ ، ٥٧ ، ١٢ .

(٢) أسس الصحة النفسية ص ٣٨٦ .

عن انحرافه ، ولقد نسى أن الاكتفاء باللوم يعتبر وسيلة العاجز وأن العون أمارة القوة .

مامن واحد يقر سياسة التلون والخداع ، فإن تظاهر الست مبروكة بالعفو عن السارق ثم الإبلاغ ضده حتى ينال جزاءه يأباه مجتمع تغلغل فيه الوازع الدينى ، كما يدل على غلبة روح التسامح ، فقد يغفر للسارق من أجل سد رمقه ولا يتسامح مع من خانت الثقة والأمانة !! ...

النجدة .. وخوف الخطر

النجدة . . وخوف الخطر

«الست سنية كانت بتخبز و بعدين النار مسكت فى بيتها . . قعدت تصرخ و تستغيث . . الناس خافت من النار . . وجرت، لبعدين النار تمسك فيهم . . جه وابور الحريقة وطفى النار . . ولما جيران سنية جم يشوفوها لقوا إن المسكينة انحرقت وماتت و بقت حتة فحمة !! . »

الأحكام

(ا) الناس لهم حق أنهم مايقربوش لسنية لبعدين ينحرقوا .

(ب) سنية اللى غلطانة اللى ما خدتش بالها وهيه بتخبز .

(ج) الجيران كلن لازم يتعاونوا و يطفوا الحريقة على بال ماييجى الوابور .

(د) دى حاجة مقدرة على سنية .. وما كنش يمكن حد يحوش المقدر .

التحليل

هـــذه القصة اختبار لمدى ما يتسم به أهل الريف من شهامةومروءةومبادره لنجدة المستغيث الملهوف . و إن الحرائق لتمثل فى القرى أكبر ألوان الخطر وأفظعها ولا سيما عندما تهب الريح فتنقل النار من بيت إلى الآخر مما يترتب عليه دمار القرية بأكملها .

فالقصة إذاً تختبر اتجاهات أهل القرية نحو معونة بعضهم بعضا وقت الأزمات . ونحن نتقبل الاتجاهات تقبلا لا شعوريا .

كما أن النشاط الذى يترتب على مثل هذه الاتجاهات يعتبر نشاطا تلقائيا أى أن العمل الذى نقوم به مستجيبين له إنما يعد طبيعة ثانية لنا ، ذلك لأنه من الثابت أن الإنسان لا يرث اتجاها من هذه الاتجاهات ؛ فهى كالعواطف والميول تستحدث من التجارب الانفعالية فى الحياة . فاذا لم تمر بالفرد تجربة يتخذ فيها موقفا إيجابيا أو يعجز فيها عن أن يتخذ موقفا مثل هذا الموقف ، اعتبر متخاذلا متوانيا كلا .

نحن نرى فى هذا الفريق أنه يتمثل فيه النزوع الإيجابى بنسبة ٨٤ ٪ إذ أنه يرى ضرورة التعاون لمحاولة إطفاء الحريق وعدم إضاعة الوقت فى انتظار رجال الإطفاء مما يدل على نظرة بعيدة عن معانى الرجولة والشهامة لأن الحريق يهدد القرية بأكملها ولن يقتصر على البيت الذى اندلعت فيه النار كما يدل أيضاً على أن القرار الذى اتخذه هؤلاء قرار تلقائى ، فهم والحالة هذه ليسوا فى حاجة إلى أن يخيروا بين ترك سنية تحترق فى منزلها و بين مبادرتهم لإنقاذها . إن لدى هذا الفريق اتجاها نحو النجدة . و يؤيد أغلبية المحكمين هذا الرأى بنسبة (٨٦ ٪) الأمر الذى يدل على اتفاق الفريقين عليه .

فى حين أن ١٦ ٪ يمثلون الفريق المتوا كل من الذين يبررون اتجاههم السلبى متذرعين بأن هذا قضاء لاراد له ولم يكن بد من وقوعه وكأنى بهم يشاركون الشاعر فى قوله :

دع الأمور تجرى فى أعـــنتها ولا تبيـــتن إلا خالى البـال
ما بين طرفـــة عين وانتباهتها يغـير الله من حال إلى حال

هذا الموقف إذاً يعتبر نوعاً من التهرب وعدم الرغبة فى مواجهة المسئولية الجماعية وهو نموذج من الناس يتـكرر فى كل موقف من المواقف فى القصص التى تتناول اختبار اتجاهات الأفراد حيال الجماعة .

على أنه ما من واحد رأى إلقاء اللوم على سنية باعتبارها متسببة فى نشوب هذا الحريق . وكأنى بهم يريدون أن يبرروا لأنفسهم تبريرا لاشعوريا حينما يقعون . فى نفس هذا الخطأ أى أنه ليست لديهم شجاعة كافية لمواجهة أخطائهم مواجهة صريحة .

القصة الرابعة

الأثرة.. والايثار

«عم سلطان الجزار كان عنده بهيمة عيانة.. قام دبحها و باعها للناس على أنها لحمة كويسة علشان ما يخسرش فى بهيمته».

الأحكام

(ا) عم سلطان كان له حق يعمل كده علشان ما يخربش بيته.

(ب) عم سلطان كان لازم يقول للناس إن البهيمة عيانة قبل ما تذبح.

(حـ) عم سلطان كان لازم ما يذبحش البهيمة و يترك عوضه على الله.

(د) عم سلطان كان لازم يودى البهيمة للحكيم البيطرى علشان يداو بها.

التحليل

ثبت أن السبب فى أمراض الحيوانات بالريف يرجع إلى عدم تحصينها لوقايتها ضد الأمراض بمعرفة بيطرى مختص ، وكذلك عدم وجود وحـــدة بيطرية ترشد الأهالى [١] إلى أحسن الوسائل التى تتقى بها أمراض الحيوانات وتعريضها للهلاك .. والقصة الرابعة تهدف إلى معرفة مدى ماوصلت إليه هذه الجماعة من المنتفعين من وعى صحى . هل يدرك معظمهم ماقد يتعرضون له من أضرار جسيمة من أكل لحم ذبيحة مريضة ؟ وهم الذين تعودوا على أن يروا صاحبها مسرعا اليها بالذبح قبل أن تنفق . كما أن للقصـة وجها آخر من الزاوية الأخلاقية والسيكلوجية إلى جانب الوجهـة الاجتماعية . ذلك لأن المثل الاعلى يعتبر أقوى عامل فى تقرير خلق الإنسان وتعيين مسلـكه ، إذ يستطيع تنبيه الإرادة وتنظيم جميع الغرائز فى كل واحد متناسق متوافق ، وبدونه يقع الإنسان تحت سيطرة التأثيرات المضطربة التى تحدثها الغرائز المصطرعة أى أن بالمثل الأعلى تتـكامل الشخصية وتتماسك عناصرها متجهة إلى غرض واحد مشترك . أى أنه لايمكن أن تعتبره مثلا أعلى صادق ما لم يكن محققاً لهذه الغاية . فالمثل الأعلى الصائب يستطيع إذاً من الناحيه السيكلوجية أن يجلب التوافق للنفس وذلك باجتذاب الانفعالات الغريزية كلها بل يستطيع أيضا أن يستثير الإرادة فتندفع جميعها إلى تحقيق غرض مشترك .

بيد أن الإرادة تحتاج لـكى تقوى وتنمو إلى الخبرات المباشرة التى تواجه الفرد فتضعه فى موقف يواجه فيه لونا من ألوان الإغراء ويشعر فيه بصراع بين المحافظة على الحياة وبين ما يمليه عليه المثل الأعلى من نجدة ومروءة ووفاء . فهل من سبيل إلى التوفيق بين مثله الأعلى ورغبته فى الحرص على الحياة ؟

---

(١) مشروع الخدمة العامة . المرجع المذكور ص ١٠٣

إن نسبة ٧٤ ٪ ترى ضرورة عرض بهيمة سلطان على الطبيب البيطرى لعلاجها ، فهذا أفضل من ذبحها وتعريض حياة الناس للخطر مما يدل على إدراك الأغلبية لمدى الضرر الذى سيحيق بالجماعة من أكل لحم بهيمة مريضة . كذلك يدل على رغبة كامنة فى أن يخلى المرء نفسه من تحمل عبء المسئولية وإلقائها على من هو أقوى منه أى على من يستأنس فيه القدرة على إنقاذه مما لاحول له فيه ولا طول . ومن الغريب أن نسبة ٧٦ ٪ من المحكمين ترى مثل هذا الرأى .

غير أن نسبة ١٣,٤ ٪ تمثل هذا النوع التواكلى الذى يرى أن لا بد من أن يترك سلطان عوضه على الله فلا يحرك ساكنا أى لا يعالجها ولا يذبحها (١) .

كما أن نسبة ١١ ٪ ترى وجوب مصارحة الجزار للجماعة بحقيقة أمر بهيمته . إذا ليعلن على الملأ مرضها التى ذبحها من أجله . هذا أشجع الفريق وإن لم يتسم بالطابع العملى . فمن المستحيل أن يرتفع إحساس عم سلطان بواجبه إلى درجة إعلان أو مصارحة الناس بأمر بهيمته بينما هو فى حاجة ماسة إلى بعض المال الذى يعوضه عن خسارته . ولمدرسة التحليل النفسى رأى آخر فى هذا الفريق الذى يجاهر بالثناء على موقف من هذا النوع لأنه يحس من هذه الناحية بالذات بقصور ، فهو إذ يؤيد هذا الموقف إنما يشير من طرف خفى إلى تقديره لمن تتمثل فيه بعض الصفات التى حرم منها .

أما نسبة ٠,٠٢٦ ٪ فهى تؤمن بقول الشاعر :

« إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر » !! .

تمثل هذه النسبة الأنانية الفردية التى لايخفل صاحبها بضرر الآخرين أو بنفعهم فهو يرى ألا يصارح سلطان أحدا بحقيقة أمر بهيمته حتى لايتعرض لأية خسارة !

---

(١) أنظر القصة ٣ (صورة ا) والتعليق على إجابة ٤

أترى كانت هذه النسبة أدنى الجميع إلى الصدق فى مواجهة (الأنا) بشجاعة !

لقد أثارت هذه القصة تعليقات فردية كثيرة دونها الباحثات ، منها على سبيل المثال : اندماج المنتفع السيد محمد أبو المجد فيها وثورته على الجزار ولعنته لأنه أراد غش الناس ، ومنها ما أشار به المنتفع يوسف محمود الضغبوضى ، فذكر أن أهالى البلد لابد من أن تعرف بمرض البهيمة ، وبعد ذبحها لا بد من تعاون الأهالى مع سلطان لشراء بدلا منها هكذا حدث فى بلدهم إذ أن كل فرله اشترى رطلا أو اثنين . وكان يذكر رأيه بحماس شديد . والمنتفع جميل السيد يرى بعد يأس عم سلطان من شفاء البهيمة ، أن يقوم بذبحها ، بشرط أخبار الناس بحقيقة أمرها ، فقد يبادر الناس بالشراء منه ويعطوه نقودا دون أن يقربوا اللحم .

طبّ .. وشعوذة

القصة الخامسة :

طب .. وشعوذة !!

مرضت الست خديجة مرضا شديدا وراحت لدكاترة كتار ولما طول مرضها حمت على زيارة واحد شيخ . . فنصحها بعمل زار علشان تخف .

الأحكام

ا — خديجة كان لها حق تعمل زار

ب — خديجة كان لازم تروح المستشفى بدل ما تعمل زار

ى — خديجة كان لازم تندر ندر لله علشان ربنا يخففها

ح — خديجة كان لازم تستمر فى العلاج وتعمل زار كمان .

التحليل

توضح هذه القصة مدى تغلغل العقائد والعادات القديمة فى نفوس الكثيرين من أهل الريف وكيف يحول هذا دون تقدم الوعى الصحى بينهم . إذ أنهم كثيرا ما يستخدمون الزار كوسيلة من وسائل علاج الأمراض العضوية التى يطول أمر شفائها بالوسائل الطبية الحديثة . ولقد وضعت هذه القصة ضمن اختبار الرجال مع ما عرف عنهم بأنهم أقل من النساء ميلا إلى الشعوذة . فما هى الصورة التى رسمتها لنا أجوبة هذا الفريق من الرجال ؟ .

(إن نسبة ٥و٦٦ ٪) ترى ضرورة توجه خديجة إلى المستشفى بدلا من التمسك بالخرافات التى جرت منهم مجرى العقائد المتوارثة .

هو اتجاه سليم يدل على رغبة أكيدة فى التخلص من عادات موروثة تؤثر فى الاتجاهات التى يتخذها أهل الريف لحل بعض مشكلاتهم .

والاتجاهات كما رأينا ينبوع دائم للعادات . ومن منا ينكر أن المصل المضاد والهواء الطلق والغذاء الجيد خير علاج للسل ؟ ؟ فإذا ما اقتصرنا فى علاج مريض على الإيحاء والتمائم والرقى فإننا نضيع أحسن الفرص للشفاء . وحتى إذا ما اتفقنا على أن الإيمان والإيحاء ضروريان لشفاء المريض ، فإننا لا نتصور أنهما قادرين على اجتثاث الداء من أساسه ، لهذا لم تكن الأغلبية مطلقة ولاسيما إذا قورنت بنسبة الأغلبية بين المحكمين وهى ٨٦ ٪ تؤيد نفس الاتجاه .

مرة أخرى نرى النوع المتواكل يتمثل هنا بنسبة ٢١ ٪ فهو يرى اكتفاء خديجة بالنذر لله حتى يخفف عنها حدة المرض .

ولعل الفريق الذى يرى أن تجمع خديجة بين الوسائل الحديثة فى الطب

والعلاج و بين عمل الزار تكملة لأسباب العلاج أصوب هذا الفريق و إن كان يمثل أقلية (٥ر١٠ ٪) .

و يرى بعض المحكمين هذا الرأى أيضاً و يعللون ما ارتأوه بضرورة عدم إهمال الجانب النفسى من القصة ، لا سيما وأنه من المحتمل أن يكون مرض خديجة من نوع الـ Psychosomatic كما أنه من الثابت صعوبة اجتثاث العادات المتأصلة فى النفس تلك العادات التى ورثتها هذه المرأة من أجدادها جيلا بعد جيل . لهذا فلا يمكن التغلب على مثل هذه العادات إلا بعد تدريب طويل و بعد أن ننجح فى تكوين عادات متضادة كما يقول وليم جيمس . بهذا تحل العادة الجديدة مكان العادة القديمة .

هنا لا بد أن تتم عملية استبدال وحتى ينجح الإنسان فى عملية الاستبدال فعليه ألا يبادر بقطع العادة الغير صالحة من جذورها طفرة وهو ما يراه بعض زعماء مدرسة التحليل النفسى [١] . هكذا يتمكن الاتجاه الجديد فى النفس و يصبح أساساً لتقليد جديد يتوارثه المجتمع وهو راض عنه .

(٧٩ر٠ و ٪) تقر خديجة على العلاج بالزار بعد استنفاذها لوسائل الطب الحديثة . ان هذا الفريق مازال يعتقد فى قرارة نفسه بأهمية التوسل بالزار بل يفضله على التردد على الأطباء . وهناك تفسير نظرى يؤيد اتجاه هذا الفريق ، اذ لا شك أن الانفعال المكبوت كالبخار المحبوس يسبب ضرراً بليغاً . والزار ما هو الا وسيلة للتعبير عن هذا الانفعال المكبوت . فالرقصات الحديثة مثل « الرومبا وتشاتشا والروك آندرول) وغيرها مقتبسة من رقصات زاولتها الشعوب الوثنية واقترنت بالطقوس الدينية وهى تدل على رغبة المزاول للرقص فى استرضاء الأرواح التى يعتقد أنها منتشرة فى كل مكان ومسيطرة على الأبدان . كل هذه الرقصات فيها من

---

(١) هادفيلد . المرجع المذكور ص ٥٦

الحركات العينية ما يشبه حركات الزار ومن الثابت تاريخيا إنتقال هذه العادة إلينا من أواسط أفريقيا فى منتصف القرن الماضى .

كما أنه من الثابت أيضاً أن بعض الأمراض العضوية كثيراً ما تتأثر بالحالات النفسية ولا سيما ما يتعلق بالانفعالات اذ أن هذه الانفعالات تحدث تغييرات فسيلوجية مما ينبه الدورة الدموية وينشطها الأمر الذى يزيد من حيوية الفرد ويساعد على قدرته فى الشفاء .

اذاً نجحت هذه القصة فى تصوير أكثر من اتجاه لأنماط مختلفة من الناس .

وطنية .. ووالدية !!

القصة السادسة :

دنيا .. ودين ! !

« الشيخ عبدالله كان فى نيته يروح الحجاز ، وهو عنده أولاد كتار .. عايزين مصاريف .. ولاده قالوا له يابا خليها على الله وسافر السنه دى مادام نفسك تحج » .

الأحـــكام

(ا) الشيخ عبد الله كان لازم ينتظر لما ربنا يفرجها .

(ب) الشيخ عبد الله كان لازم يستلف ويروح الحجاز .

(ح) الشيخ عبدالله كان لازم يلتفت لتربية أولاده وموش ضرورى يروح الحجاز

(د) الشيخ عبد الله ما كانش لازم يفكر فى الحج ما دام على قد الحال .

التحليل

للشعور الدينى سلطانه فى نفوس أهل الريف . يدفعهم إلى أن يقفوا منه موقفا إيجابيا . فكيف يكون موقفهم إذا ما تعارضت مسئولياتهم الدنيوية مثل التزاماتهم نحو تربية أبنائهم مع شعورهم بوجوب تأدية الفرائض الدينية .

هذه القصة تعرض هذه المشكلة فى صورة الشيخ عبد الله الذى نوى القيام بأداء فريضة الحج ولديه مسئوليات جسام حيال أسرته وأولاده .

فأداء فريضة الحج يبدو للشيخ عبد الله كما يبدو لغيره مثلا أعلى صادقا أو هدفا منشودا . كذلك الحال مع سعادة الأسرة ، وهكذا ينحصر الاختيار بين واحد من الاثنين فأيهما يعتبر فى هذا الظرف اختيارا صائبا ؟؟ وأيهما يعتبر اختيارا خاطئا ؟؟ والاختيار هو الحكم القائم على التبصر والتمعن . وهو الذى يرشد الحائر فى موقف من المواقف أى الهدفين يعتبر خير موصل إلى اكتمالنا الذاتى وإتاحة السعادة لنا ؟

وإن صعوبة الموقف لتتبين أكثر إذا ما رأينا أن المشكلة ليست سعادة الشيخ عبدالله فحسب ولكنها تتصل أدق اتصال بسعادة أفراد أسرته أيضاً . ففى الوقت الذى يبدو أن سعادته تتم بأداء فريضة الحج فإن سعادتهم لن تتم إلا ببقائه معهم حيث يرعاهم ويكلأهم بعنايته . وهنا يبدو الصراع فى نفسه بين هذين الواجبين .

ومن حسن حظه أن الآية القرآنية لا تدع شكا فى توجيه الشيخ عبدالله إلى أحسن سبل الاختيار وهى قوله تعالى :

(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) .

كما أن المجتمع يقر هذا الاختيار إذ أن ٧١٪ تنصح للشيخ بأن يظل إلى

أبنائه يرعاهم ومتى أيد المجتمع والدين الاتجاه الذى على الفرد أن يتخذه تعززت الإرادة وقويت فكبتت إحدى الرغبتين وإن كانت أدناهما إلى النفس .

كما يمكن أن نضم نسبة ١٣٪ إلى هذا الفريق الأول إذ إنها ترى ألا مفر من انتظار الشيخ عبد الله حتى يأتى الله بالفرج من عنده فإذا ما خفت حدة مسئولياته يمم وجهه شطر البيت البيت الحرام .

وتدل هذه الفئـــــة على توفيقها فى فهم الإسلام فهما قريبا من روحه : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) وكأنى بهذه الفئة قد اعترفت باستحالة انتهاء الصراع فى نفس الشيخ عبدالله بمجرد إقناعه والإيحاء إليه بضرورة التريث .

على أن فريقا يمثل نسبة ١٥٫٩٪ يرى لوم الشيخ عبد الله على مجرد التفكير فى أداء فريضة الحج . ولهذا فهو يمثل هذا النوع الذى يعيش ليومه فقط ولا يود أن ينغمس فى أحلام يقظة من غير المحتمل تحقيقها أو على الأقل يصعب تنفيذها . إذاً هذا الفريق يمثل النوع الواقعى الذى لا يقر اندفاع الشيخ عبد الله نحو ما يمكن أن نسميه (بالمثل العليا الغير مناسبة للظروف التى يمر بها هذا الشخص[1]). وهذا كان رأى غالبية المحكمين .

وقد لوحظ أنه ما من إجابة واحدة وافقت على أن يستدين الشيخ عبد الله ليؤدى الفريضة وهذا يدل دلالة قاطعة على فهم واع لروح الدين فالدين يسر لا عسر (ما جعل الله عليكم فى الدين من حرج) .

---

(١) هادفيلد المرجع السابق ص ١٠٦ .

ثم ما فائدة أن يستجيب الشيخ عبد الله إلى رغبة لا يمكنه تحقيقها بسهولة ؟ أى لم يتوفر هنا شرط الحرية والحرية لا تتحقق إلا باستئصال كل صراع فى نفس الإنسان هكذا يتحقق التوافق التام بين جميع الانفعالات . ومن هنا جاءت الإجابة (١) أكثر تمشيا مع الظروف ومع الحالة النفسية التى يمر بها الشيخ عبد الله فى هذا الظرف بالذات .

---

(١) هادفيلد ١١٠ـ١١١ .

مـال .. وجمـال

القصة السابعة :

مال . . وجمال ! !

عم محمود نصار كان له بنت جميلة . . . حلف إنه ما يجوزها إلا للشخص اللى يدفع فيها مهر ٢٠٠ ميتين جنيه ! ! . . وما حدش قدر يدفع المهر ده إلا الشيخ سرحان اللى عمره تمانين سنة لأنه كان راجل غنى جدا .

الأحكام

ا — عم محمود ما كانش له حق يتمسك بالشرط الجامد ده .

ب — ما دامت البنت جميلة كان لازم العريس يدفع فيها مهر كبير .

حـ — موش ضرورى يتمسك عم محمود بالمهر قد ما يهمه شخصية العريس .

د — عم محمود كان لازم يتمسك بالشرط ده لأن العريس الغنى يقدر يسعد بنته.

التلخيل

هذه القصة تصور سلطان المال القوى على بعض الآباء فيما يتعلق بزواج بناتهم ، كما تصور جانبا من الصراع الذى تناولته القصة السابقة، ذلك الذى ينشأ من تعارض بين الرغبة و بين المثل العليا ويمكن أن نطلق عليه أيضاً : «الصراع بين الغواية والضمير» وهما وظيفتان للعقد المقصاة عن الذات كما تصورها مدارس التحليل النفسى [١] تلك التى تتبع رغباتها فى صور من الاندفاعات الخيرة والشريرة على السواء . فإذا كان كل من الخير أو الشر يتصل بمثل أعلى ، و إذا كان لكل فرد مثله الأعلى الذى يباين مثل غيره ، فإن إدراكه للخير والشر وتقديره لهما يختلف كذلك عن غيره من الناس .

لقد أدرك عم محمود أبو نصير أن الخير كل الخير فى أن يزوج ابنته لرجل غنى . بهذا يضمن لها حياة أمن واستقرار وهو بهذا يبرر سلوكه بأسباب منطقية يقبلها العقل مع أنها فى الحقيقة نابعة من دوافع انفعالية [٢] . بعبارة أخرى ، التبرير هنا يسهل على النفس الشعورية قبول السلوك ما دام يستند إلى أسباب يقرها المنطق . وهكذا وصل عم محمود إلى حالة ارتياح عن طريق خداع النفس الشعورية والتمويه عليها .

غير أن للجماعة رأيا آخرا فى موقفه . فماذا كان رأى مجموعة المنتفعين وهم يمثلون حكم المجتمع على سلوك الأفراد من هذه المشكلة ؟

إن ١ر٦٣ ٪ من هذه الجماعة ترى وضع شخصية العريس فى المقام الأول وهو رأى يدل على نضج اتجاهاتهم الفكرية والاجتماعية ، كما أنه الرأى الذى يميل إليه أكثر المحكمين [٣] .

---

(١) ها دفيلد المرجع السابق ص ٥٢ .
(٢) أسس الصحة النفسية المرجع السابق ص ٢٦١ .
(٣) أنظر ملحق رقم ٣ .

كما أن ٣١ر٥٪ ترى أن الشيخ محمود غير محق بالمرة فى تمسكه بشرط المهر الباهظ ولهذا يمكن أن تضم هذه الفئة إلى السابقة، الأمر الذى يبلور اتجاهات الأغلبية الساحقة التى تعارض رأى والد الفتاة والتى لا تجعل المال المقام الأول فيما يتعلق بزواج الابنة الجميلة . أى أن حوالى ٩٨٪ ترى عدم التمشى مع عم محمود فى مغالطاته المنطقية . غير أنه لم يكن وحيداً فى رأيه ؛ فهناك اثنان من الفريق يجنحان إلى ما يعنيه أمير الشعراء بقوله :

لم أر كالمال أحل كل محرم حتى زواج الشيب بالأبكار !!

مما يدل دلالة واضحة على أن اتجاه الجماعة كثيراً ما يخالف اتجاه الفرد فى الأمور والمشكلات التى تتعلق به شخصياً .

ما من واحد على أى حال اتفق مع الرأى الذى يريد أن يكون الجمال سلعة تقوم بالمال مما يدل على أن هذا الفريق يأنف أن يجعل من الجمال سلعة تباع .

القصة الثامنة

الكرامة .. وحكم الجماعة !!

يحيى عبد العظيم كان راجل ميسور الحال . . . بعدين رهن كل أملاكه ، واداين .. ولما عجز عن سد الديون باعت الحكومة أملاكه علشان يسد منها ديونه .. وفكر يحيى انه يسافر من بلده علشان يشوف رزقه فى حتة تانية .

الاحكام

ا — أهل القرية كان لازم يتركوه يرحل لحتة تانية علشان يشوف رزقه .

ب — أهل القرية كان لازم يعملوا له جمعية علشان يساعدوه ليبدأ حياته من جديد .

حـ — أهل القرية كان لازم يجمعوا له تبرعات و يعطوها له صدقة .

د — أهل القرية يعرضوا عليه يشتغل معاهم فى أرضهم و يعطوا له أجرة كل يوم .

التحليل

هذه القصة تهدف إلى معرفة درجة الاستعداد لتعاون الجماعة للأخذ بيد فرد منها أخنى عليه الدهر ، بسبب سوء تصرفه كما أن القصة تعرض لطرق كثيرة ترى الجماعة كفيلة بتحقيق مساعدة الفرد للتكيف بالموقف الجديد . هذا الفرد الذى يقف فى صراع بين تقديره لذاته و بين مواجهته للظروف الخارجية ، بين مطالبه الشخصية و بين مجتمع له تقاليده وأخلاقه ، يحرص على أن يحوز رضاه وتقديره . فيحيي عبد العظيم يحس إحساساً فى قرارة نفسه بأنه هو نفسه سبب النكبة التى حلت به ، إذ لولا انغماسه فى المراهنات لما ضاعت أمواله . فما هى الوسيلة التى ترد إليه اعتبار ذاته ؟ هذه الذات التى تتألف من الانفعالات والاتجاهات المختلفة ، وتجند الإرادة لخدمتها . فالرجل ذو الإرادة القوية هو الذى يتمتع بخلق سوى . فإذا ما هددت إنساناً كارثة ما فلا أمل فى التغلب عليها ما لم يكن مرفوع الرأس قوى الأمل مصمما على اجتيازها .

ما موقف الجماعة من مثل هذا المنكوب ؟ هل تتركه أم تأخذ بيده ؟ إن نسبة ٥٠٪ لم تر غضاضة فى أن يشترك فى العمل معهم بأجر يومى يكفل له معيشة كريمة. نلحظ هنا تعبيراً عن رغبة مستكنة هى معارضه الهجرة إلى بلد آخر .

ولقد أغفل هذا الفريق أن مثل هذا العرض قد لا يتفق مع عاطفة اعتبار الذات التى يشعر بها يحيى عبد العظيم . إذ كيف يقبل أن يعمل أجيرا ، وهو من كان عزيز قوم ذل ؟؟ .

و إن كان هذا العرض فى حقيقته أسلوبا عمليا مناسبا ولا غبار عليه . كما يدل على استعداد هذا الفريق للتكيف بالظروف كما هى مهما كانت قسوتها .

ويميل بعض المحكمين إلى الأخذ بهذا الرأى .[1]

---

(١) أنظر ملحق رقم ٣

لهذا كله فإن ٥ر٣٤ ٪ تدخل فى حسابها احتمال رفض يحيى لهـذا العرض المناسب ، وترى أن يتعاون الجميع على انتشاله من كبوته حتى يبدأ حياته من جديد سيدا حراً كما كان ؛ وذلك بإسهام الجماعـة فى تكوين جمعية تمده بالعون اللازم لتحقيق هذا الغرض . ولقد نسى أو تناسى هـذا الفريق الحسن النية فى غمرة انفعاله بالمشاركة الوجدانية أن يحيى قد يعود من جديد إلى دائه القديم فيبدد ما جمع له دون أن يتكبد فى سبيل الحصول عليه أية مشقة أو أى مجهود ، وهو يأمل دائما فى إمكان استعادة مركزه الغابر وماله الدابر فى وقت قصير ولاسيما إذا كان قد تمكن منه داء المراهنة فصار عادة متأصله فيه . هذا من الوجهه الاجتماعية ، أما من الوجهة النفسية فقد يرد هذا المبلغ ليحيى عبد العظيم اعتباره إذا ما تمكن من استثمارة استثمارا نافعاً وتمكن أيضا من رد هذا الدين إلى أصحابه . ولهذا يميل بعض المحكمين إلى ترجيح هذا الاقتراح .

غير أن نسبة ١٣ ٪ من الفريق ترى أن يترك يحيى وشأنه وليهاجر للبحث عن رزقه فى قرية أخرى يبدأ فيها حياته من جديد بعيداعن مسرح عزه وذله . لقد عرف الشعب العربى المصرى بتعلقه بأرضه تعلقا شديداً كما سبق أن ذكرنا إلى درجة أن چون بورنج قد فسر بلوغ جيش محمد على حد الإعياء إلى تفشى مرض النسطالجيا — أو الحنين إلى الوطن . . ووصفه بأنه مرض غامض عصى الشفاء[١] .

كذلك دلت الأبحاث الحديثة على مدى تشبث المصرى بالأرض التى نشأ عليها ، وارتباطه بها وعدم ميله إلى تركها أو الهجرة منها إلى مكان آخر ففى قرية « كفر طهر مس » تبين أن ٩٩ر٨٦ ٪ من مجموع أرباب الأسر بالقرية أصلهم

---

(١) التقرير المذكور ضمن بناء دولة مصر محمد على ص٢٨٣ — ص٣٨٤

من نفس القرية — وأن أفراد القرية جميعاً من عصبية واحدة ، فإن النسبة الضئيلة (١٢٫١٩ ٪) التى نزحت للقرية سواء من مديريات الوجه البحرى أو الصعيد قد توطدت صلتها بعصبية القرية عن طريق المصاهرة[١] — .

تقابل هذه النسبة نسبة ١٣ ٪ من فريق المنتفعين الذين طبق عليهم قياس التكيف الاجتماعى ، والتى ترى ترك يحيى يهاجر من وطنه ليبحث عن رزقه وهى وإن دلت على مدى تعلق المصرى بأرضه و بمقاومته للهجرة مقاومة لا شعورية فإنها تدل على بداية تغير اجتماعى فى اتجاه فريق من هذه الجماعة و يتفق هذا الفريق مع نصح الشاعر حيث يقول .

إن العلا حدثتنى وهى صادقة فيما تحدث أن العز فى النقل !!

ومن الملاحظ أن بعض المحكمين[٢] يؤيدون هذا الرجل .

وثمة ملاحظة جديرة بالتسجيل هى أن هناك سمات تغير حضارى يتضح فى الاتجاه نحو الهجرة من مسقط رأسه ومسرح شبابه ، مع ما هو معروف عن الفلاح المصرى من التصاقه بأرضه مهما كانت الأحوال .

فئة ضئيلة ، لا تكاد تتجاوز ٠٨ و ٪ ترى فى الصدقة بجمع التبرعات حلا عاجلا لمشكلة يحيى عملا بمبدأ : « أكرموا عزيز قوم ذل » . نسى هذا الفريق الاعتبارات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية التى شرحناها من قبل . فالصدقة من شأنها أن تشيع فى صاحب النفس الأبية شعوراً بالذلة والانكسار مما يترتب عليه ضعف إرادته وانهيار مثله العليا .

يتبين مما تقدم أن أغلبية هذه الفئة على استعداد للوقوف موقفاً إيجابياً تجاه

---

(١) مشروع الخدمة العامة ص ٨١ ، ص ٨٥

(٢) أنظر ملحق رقم ٣ .

نكبة يحيى ، تحدوها الرغبة فى سرعة إنقاذه بأية وسيلة . وهى تدرك أنه فى حاجة لمشاركة وجدانية ، وبحاجة إلى استعادة ثقته فى نفسه وإلى التغلب على الأزمة التى تصيب النفس إثر الفشل . وفى حاجة الى تنبيه لإرادته حتى يتوفر له الأمن النفسى الداخلى فيستشعر القدرة على مواجهة أقسى تجارب الحياة وأعنفها .

وقد يكون فى الاعتماد على بنك التسليف بفرعيه الزراعى والصناعى الحل الأمثلة لمشكلة يحيى ممن وأمثاله يقعون فى أيدى المرابين وتجار النقود .(١)

---

(١) إلى القرية — المرجع السابق ص ٧١ .

فقر... وتبنى

القصة التاسعة :

فقر .. وتبنى ! !

نجية كانت ست على قد الحال وكان لها أربع عيال .

وفى يوم من الأيام لقيت طفل مسكين يتيم مالهش أب ولا أم ولا قرايب . نجية قالت فى نفسها أنا لازم آخد الولد الغلبان ده واعتبره زى عيالى تمام .

الأحكام

(ا) نجية مالهاش دعوة بالولد ده مادام لها عيال .

(ب) نجية كانت سابت الولد للحكومة علشان تربيه .

(ح) نجية كان عندها حق تشفق على الولد ده .

(د) الولد ما كنش ممكن يستفيد من نجية لأنها ست فقيرة .

التحليل

لا يستغرب أن تتبنى سيدة لا ولد لها طفلا شريداً ولكن الذى يدعو إلى الدهشة أن يصدر هذا العمل من أم لها عدة أطفال على الرغم من فقرها . إن نجية لتمثل هذه المرأة التى لم يثنها فقرها ولا عيلتها عن أن تتبنى طفلا يتيما وتعامله كأحد أبنائها .

ومصدر دهشتنا يعود فى الواقع إلى هذا التناقض الظاهر بين عمل الخير والسعادة الذاتية ؛ ونحن أحياناً نعجز عن تصور مثلا أعلى تتخذه امرأة فقيرة فى حياتها وتعمل على تحقيقه ، مما قد يؤدى إلى زيادة أعبائها المادية ؛ على أن الفهم الدينى العام والمبدأ السيكلوجى ليؤيدان النظرية القائلة :

إن محك أى مثل أعلى هو السعى إليه سعيا متواصلا دون أن يأبه الإنسان بالعقبات التى تصادفه حتى يصل إلى غايته فيشعر بسعادة لا يكاد يشعر بها إلا من يمر بنفس التجربة . إن غريزة الأمومة هنا تنادى نجية لإيثار الطفل على الرغم مما بها من خصاصة . ولا شك فى أن ما يدفع نجية إلى هذا السلوك هو إيثارها للغير وما تضمره فى نفسها من نوازع الخير التى لا تتفق مع ما عرف من سلوك الغالبية العظمى فى العالم الخارجى . فما حكم المجتمع على سلوك نجية ؟ إن ٧٦ر٥ ٪ من هذه الجماعة بالذات لا تقر نجية على عملها بل تنصح لها بأن تدع الصبى للحكومة تتولى أمره ولا تضيف الى أعبائها عبئا جديدا لا طاقة لها به ، بل لقد تكون سبباً فى اشقاء هذا الطفل به . نظر هذا الفريق نظرة واقعية واعتبر أن مصلحة الجميع تؤيد هذا الاتجاه . وهو رأى يمثل اتجاه من يتكيف بالظرف الواقع مع تغليب حكم العقل على العاطفة المجردة . يؤخذ على هذا الفريق اغفاله أمرا برهنت عليه الأبحاث السيكلوجية

المختلفة [1] أن الطفل فى حاجة ماسة إلى العطف والحب أكثر من حاجته إلى الغذاء والكساء !! . تقابل هذه السنة ٦٧ ٪ من المحكمين

الواقع أن الكثيرين منا يرون أن لابد من أن نقدم الإرضاء للحاجات الجسمية على حاجات الطفل المعنوية كما أن المجتمع يعتبر مسئولا عن اشباع مثل هذه الحاجات الأساسية — غير أن نسبة ١٦ ٪ تجنح الى الأخذ بالجانب الوجدانى فى الحياة، فهى تندفع وراء شعورها بمشاركة الصبى مشاركة وجدانية وتفضل استمتاعه بجو طبيعى وهو جو الأسرة مهما كانت قسوة الظروف المعيشية على تركه فى يد الحكومة تتولى أمر تربيته والإشراف عليه بإيداعه أحد الملاجىء . تقابل هذه النسبة ٢٨ ٪ من المحكمين

إن نسبة ٨٪ ترى ابعاد الصبى عن نجية . فليس من مصلحته الشخصية تربيته بوساطة سيدة فقيرة ذات أولاد كثيرين .

قد تجد هى صعوبة كبيرة فى سبيل تنشئتهم . وعلى هذا ، فمن الممكن أن نجمع بين هذا الرأى ورأى الأغلبية و يبدو الفرق بينهما فى أن الأول ينظر لمصلحة الطرفين، والثانى ينظر لمصلحة الصبى وحده . ولم يوافق أحد على ترك الصبى تحت رحمة الأقدار وهذا اتجاة انسانى كريم يدل على شعور الجماعـــة بصفة عامة بمسئوليتها تجاه الفرد ومشاركتها له فى محنته ! ويشترك المحكمون مع المنتفعين فى هذا الاتجاه أيضا .

---

(1) Symonds, P. M., The Psychology of Parent — Child Relationships New York. D. Appleton — Century Company 1949 Incorporated. Buhler, C. The Child and his Family London: Kegan Paul, Trench Trubner & co Limited

Bowlely, A . H . The Problems oF Family lif Edinburg : E 2· 5. Livengstone LLd. pp . 44

القصة العاشرة

صراع من أجل البقاء !!

رمضان لقى زرعه حيموت من العطش ... قام سرق الميه من زرع عوضين أبو اسماعيل علشان يسقى زرعه ... ولما اكتشف عوضين الحكاية دى ضرب رمضان حتة علقة سخنة علشان تانى مرة يتوب وما يسرقش الميه دى .

الأحكام :

(ا) عوضين له حق فى ضرب رمضان علشان سرق الميه .

(ب) عوضين كان لازم يشتكى للعمدة بدال مانضرب رمضان .

(ج) عوضين كان لازم يتفاهم مع رمضان لأنهم جيران و يقسموا الميه سوا .

(د) عوضين كان لازم يسامح رمضان علشان زرعه مايمتش .

التحليل :

وهذه قصة أخرى تتعرض إلى معالجة سبب من أسباب صعوبة التكيف الاجتماعى فى الريف ، الأمر الذى يؤدى إلى انحراف واحد من الجماعة ، فيلجأ إلى ارتكاب جريمته فى الخفاء ، كجريمة تسميم الماشية ، وإحداث الحرائق ، وتخريب الزرع وهى جرائم يستنكرها أهل القرية[١] جميعها ، فهى وليدة نفس مريضة ، على أن جريمة رمضان من نوع آخر إذ تعتبر مشكلة المياه والمنازعات بسببها فى الريف من أهم الدوافع التى تفسر الكثير من المنازعات التى قد تصل إلى جرائم القتل أى أنها فى الواقع تعتبر مجسا يختبر مدى المرونة الكافية التى يتصف بها أفراد جماعة من الجماعات ، لاسيما وهى تمس طريقة إشباع حاجة أساسية من حاجات الفرد .

كذلك هى تجس مقدار تغلغل شعور الغيرية ، فهى تواجه المنتفعين إذاً بمشكلة عويصة .

سرقة رمضان لمياه عوضين حتى لا يموت زرعه وأنانية عوضين الذى لم يغفر لرمضان سرقته فانفعل واعتدى عليه بالضرب . فإذا كان الوضع القانونى يدين رمضان من أجل السرقة ، فهل يقر المجتمع موقف عوضين من ضرب رمضان ؟ ؟

لا شك أن نزعة الخير متغلبة على هذا الفريق ، كما أن إحساسهم بالواجب نحو الغير ، واضح بارز فى إجابتهم فنسبة ٥٠ ٪ منهم يرون أن أسلم حل للمشكلة هو فى تفاهم عوضين مع رمضان من أجل مصلحتهما معاً . إن الوصول إلى حل وسط بحيث يضمن مصلحة الفريقين يبين اتجاه هذا الفريق نحو التعاون مع الغير[٢] . فى حين أن حوالى ٣٢ ٪ يرى العفو عن رمضان فيما سرقه من مياه وكفى الله المؤمنين القتال ؛

---

(١) إلى القرية — المرجع السابق ص ٢٢ — ص ٢٣

(٢) نسبة المحكمين الذين يتفقون مع هذا الرأى ٨١ ٪

غير أن هـذا العفو لا يضع حلا نهائياً بالنسبة لحاجة رمضان الحيوية المتجددة للمياه وبالتالى تجدد الفرص لاعتداء عوضين على حياة رمضان . إن هذا الفريق إذاً يعيش ليومه فقط فيحل مشكلته حلا وقتياً فلا يتعمق فيصل إلى جذورها فيعالج أسبابهـا وعللها ، وبذلك يدل على نظرة أضيق مدى من الفريق الأول . لهذا نرى أن نسبة من يوافق على هذا الرأى من المحـكمين هى ٦٣ر٢٪ فقط .

إن ١٦ ٪ يتجه اتجاهاً قانونياً بحتاً ، فلا بد من أن يشكو عوضين رمضان للعمدة الذى يمثل السلطة القانونية فى القرية حتى لا يعود مرة أخرى . هـذه الحلول تتفاوت من وجهة النظر الإنسانية[1] . أما الشخص الذى رأى ضرورة تأديب عوضين لرمضان تأديباً بدنياً ، فلقد أغفل الحلول الأخرى ، وعبر عن تعذر ضبطه لأعصابه وقت الأزمات ، بل لقد عبر بصراحة عما يلجأ إليه الفلاحون عادة لحل مشكلاتهم بأيديهم عملا بمنطق الرجل الذى يقول : « آخد حقى بدراعى ! ! » مما يدل دلالة واضحة على تعذر تـكيف هذا الشخص للمواقف التى تتطلب ضبط النفس وما يدل أيضاً على عدم استعداده لأن يعيش فى وئام مع الأفراد الآخرين فى الجماعة . إن الالتجاء إلى القوة فى حل المشكلات لم يعد الوسيلة التى يعترف بها المجتمع الإنسانى لتحقيق غايات الفرد الذاتية . والمربى يعنى فى الواقع بالوسيلة بقدر ما يعنى بالغاية . كما أن المحلل النفسانى [2] يدين مثل هذا الشخص إذ يرى أن فى الدفاع عن المـاء بالضرب هو دافع شعورى للمقاتلة والمقاتلة وإن كانت فيما مضى ضرورية حينما يكون الفرد فى سن الثانية عشر فهى شر على رجل فى الحلقة الرابعة . حتى المقاتلة بين الأمم ، فقد استنفدت اليوم أغراضها ، وفى هذا تطوير للجنس البشرى من الوجهة الأخلاقية . لهذا نرى أن ما من واحد من المحـكمين وافق هذا الرأى .

---

(١) يقابل هذه النسبة ١٤ ٪ من المحـكمين .

(٢) هادفيلد : المرجع المذكور ص ٤٣

وسائل .. وغايات

القصة الحادية عشرة :

وسائل . . وغايات !!

عم الحاج مدبولى سرق من أهالى بلدته فلوس كتير علشان يبنى لهم جامع يصلوا فيه .

الأحكام

ا — عم الحاج مدبولى كان لازم يبنى الجامع من غير مايسرق فلوس من الناس .

ب — « « « كان لازم يجيب الفلوس من الحكومة .

حـ — « « « كان له حق يسرق الفلوس من الناس علشان فايدتهم

د — « « « ما كانش له إنه يفكر فى بناء الجامع و يسيبها للظروف .

التحليل

لدور العبادة مقام مقدس فى نفوس أهل الريف ، وخاصة المتدينين منهم ؛ فهم يعتبرونها بيوت الله ، فقيامها فيهم وترددهم عليها يرمز للصلاح والتقوى . وإن أكبر عمل يتقرب به العبد لربه هو إقامة بيت من بيوت الله . كل هذا طيب ولكن ، هل يمكن أن نتصور احتمال ارتكاب الفرد للسرقة لكى يقيم بها مؤسسة دينية ؟ من أجل هذا ، وضعت هذه القصة لتميط اللثام عن مدى إمكان أهل الريف التفرقة بين الوسيلة والغاية .

قد يسرق فرد ما ويبرر عمله بأنه لفعل الخير مسوق.

كما قد يبرر عمله بأنه إنما ينتقم من الأغنياء للفقراء .

وقد يفعل هذا إشباعاً لدافع حب الظهور ونزعة السيطرة بإقامة المسجد أو قد تهفو نفسه لترك ما يذكره به غيره .

قد ترتبط السرقة بعاطفة مركزها فكرة الإنسان عن الإله لتجمع حولها انفعالات الحب والخوف ، ذلك لأن أكثر انفعالاتنا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمثل العليا وبالأهداف التى ترشدنا إلى سلوك معين ، كما تسيطر بدورها على إرادتنا ، فتدفعنا إلى عمل نبرره لأنفسنا . فهناك طائفة من المصلحين الذين يشعرون فى قرارة أنفسهم بالذنب لأنهم أشبعوا الناس ظلماً أثناء حياتهم . وفى أخرياتها يحسون برغبة فى التوبة والقيام بأعمال وخدمات اجتماعية تقوم مقام التكفير والتطهير أى بتوقيع العقوبة على النفس بطريقة لاشعورية . ولقد عرف عن المماليك الاهتمام بتشييد المساجد وإقامة المستشفيات والمدارس فى أخريات حياتهم من نفس المال الذى نهبوه من الشعب ، وأوقفوا عليها الأموال والعقار مما جمعوه بالطرق غير المشروعة .

وفى سبيل تبرير ماقدمت أيديهم ، إنما يدعون أنهم كانوا يبغون مصلحة الناس.

ولقد نجح مكيافيللى فى كتابه « الأمير » فى بلورة هـذا المسلك فى مبدئه القائل : « الغاية تبرر الوسيلة » والمشكلة التى تتعرض لها القصة اذاً هى : هل يرضى المجتمع والعالم الأخلاقى والمصلح الاجتماعى عن هذا السلوك ؟؟ .

من الواضح أن عدم حصول حكم من الأحكام الأربعة التى عرضت فى نهاية القصة على أغلبية مطلقة لدليل على الحيرة التى شعر بها هذا الفريق ازاء الحكم على عمل الحاج مدبولى . ولعلنا لو شئنا أن نخلصهم من هذه الحيرة لأضفنا حكما خامساً الى مجموعة الأحكام الأخرى وهو ضرورة تعاون الأفراد لجمع المـال من أجل اقامة بيت الله بدلا من الالتجاء للحكومة كما اقترح أحد المحكمين . أما اجابة هـذا الفريق بالذات فقد انقسمت الى الفئات الآتية :

٤٧ ٪ ترى أن ناجاً للحكومة لتتولى تشييد المسجد مما يدل على أن حوالى النصف يأخذ بأيسر السبل لتحقيق غايته ويأتى البيوت من أبوابها . وهو الفريق المتروى الذى يصـدر فى أحكامه عن تعقل ولا يريد أن يتحمل المسئولية بنفسه فيوكل الامور الى غيره . تقابل هذه النسبة ٦٢ ٪ من فريق المحكمين .

٣٤ ٪ يمثل الجانب السلبى أى « يدع ما لقيصر لقيصر » فليترك الحاج مدبولى أمر بناء المسجد للظروف وليدع التفكير فى هذه المشكلة جانبا . ٪ تقابلها نسبة ٣٣ ٪ من المحكمين وهى نسبة تقترب كثيرا من نسبة المنتفعين .

١٣ ٪ تأخذ بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، فهى تقر سرقة الحاج مدبولى لأموال الناس فى سبيل بناء المسجد . وهى نسبة تمثل أنصار اللص الشريف الذى يتلخص مبدؤه فى سرقة أموال الأغنياء وتوزيعها على الفقراء. فى حين أن نسبة المحكمين التى توافق على هذا الرأى هى ٤ر٧٥ ٪ فقط .

وثمة قصـة أخرى ترددها جداتنا المعمرات وهى قصة الخطاف الذى كان

يلعب الدور الذى لعبه « روبن هود » فى « القرون الوسطى » . وقد شمله الله بعفوه ومغفرته بلسان نبيه موسى عليه السلام .

٢٦ر٥ ٪ استنكر بشدة تصرف الحاج مدبولى وسيلة وغاية ويرى أنه اذا كان ولا بد من بناء المسجد فليقم به الحاج نفسه مادام هو راغبا فى ذلك . لاشك أن هذا الفريق يشعر تماماً أن الدين روحا ومسلكا ، نية وعملا ، وأن استخدامناله لتبرير تصرفاتنا إنما هو خداع لأنفسنا وخداع للمجتمع . ما من واحد من المحكمين يوافق على هذا الرأى ، وهذه نتيجة متوقعة من ساكنى المدينة .

القصة الثانية عشرة :

مبادىء .. واموال!!

شعبان كان راجل غنى خالص ومحدش بيحبه فى البلد ، آم رشح نفسه فى الانتخابات قدام حسن الراجل اللى على قد الحال لكن كل الناس بيحبوه لأنه راجل طيب ومخلص.

شعبان صرف جامد ودفع للناس فلوس علشان ينتخبوه ، ولكن لما جه يوم الانتخابات ، الناس أعطوا أصواتهم لحسن .

الأحكام

(ا) أهالى البلد عملوا كويس اللى أخدوا فلوس شعبان وضحكوا عليه .

(ب) أهالى البلد كان لازم يرفضوا فلوس شعبان ويقولوا له : إحنا موش حننتخبك .

(ج) أهالى البلد كان لازم ينتخبوا شعبان علشان خدوا فلوسه .

(د) أهالى البلد ما كانش لازم يزعلوا الاثنين ولاينتخبوا لاشعبان ولاحسن.

التحليل

لقد احتلت الانتخابات فى حياة القرية وفى تكوينها السياسى ووعيها الاجتماعى مكانا هاماً . كذلك لعبت الرشوة دورا كبيراً وخطيرا فى توجيه عملية الانتخابات وجهات معينة وذلك بشراء أصوات الناخبين . وللفقر أثر كبير فى شراء الذمم والضمائر . فهل استطاع الرجل الريفى تقدير ماهذه العملية من أهمية وهل استطاع تقييم مالصوته كمواطن أثر فى تكييف حياته ؟؟ أى أن القصة تحكى لونا آخر من الصراع بين الغواية والضمير ذلك الذى يجرى فى نفس الفرد . وكل غواية مغرية إلى حد ما فما بالك بغواية المال ؟ ! أثر الغواية هنا أكبر وخصوصا على الشخص الذى لايملك شروى نقير ويحس بحرمان كبير . على أن المال ليس هو المسئول فقط عن الإغراء وإنما المسئول هو مايعتلج فى نفوسنا من رغبات تتصل بحاجاتنا الرئيسية ودوافعنا الأصلية . والمصلح الاجتماعى الذى يكتفى بمجرد الوعظ والإرشاد ، ورجل الدين الذى يظن أن خطبه وصلواته ستضع الأمور فى نصابها وستحيل أفراد المجتمع إلى قوم صالحين ، والمربى الفيلسوف الذى يظل فى برجه العاجى ويرسم خطوط مدينته المثالية . كل أولئك يخطئون إذا ماتناولوا الغواية على اعتبار أنها آتية من الخارج . فى حين أنه لايمكن أن تكون لأية غواية أقل أثر مالم تنجذب إليها رغبة من رغباتنا الداخلية التى تعتلج فى نفوسنا ونحاول قمعها بكل وسيلة ، مثلهم فى ذلك مثل من يسند أمر غواية حواء للرجل منذ بدء الخليقة حتى اليوم . وإذا كانت القصة تمس وتراً من أوتار نفوسنا . لهذا لم تحرز إجابة منها أغلبية ساحقة كبعض الإجابات التى رأيناها من قبل .

فهناك مثلا نسبة ٦٦ ٪ تشير إلى مقاومتها لهذا الإغراء ولو من الناحية الشكلية فترفض قبول نقود شعبان نظير إعطائه أصواتهم بل ترى التزود بالشجاعه فتصارحه بأنهم لن ينتخبوه . وإن أغلب المحكمين نسبة ٩٠ ٪ يوافقون على هذا الرأى .

هناك نسبة حوالى ٢٩ ٪ تمثل ذلك الفريق « الفهلوى » الذى يرى أن يلعب مع شعبان لعبة الثعلب الماكر ولا يرى بأساً من أن يأخذ نقوده ويعده ولا ينتخبه ويضرب بذلك عصفورين بحجر واحد . مثل هذا الفريق الذى يرى تبريرا لأعماله يوجد فى كل مجتمع من المجتمعات وهو قدير على كبت صوت الضمير بعلل ومبررات وحيل تجيز نوعا من السلوك لا يرتضيه المجتمع . لا يوافق فريق المحكمين الا بنسبة ٠٫٩٥ ٪ على هذا الرأى

٢٫٦٣ ٪ يرى بشجاعة عدم قدرته على مقاومة إغراء المال ولكنه أيضا يرى أن لابد من انتخاب شعبان مادام قد قبل نقوده « اللى ياكل عيش اليهودى يضرب بسيفه ! ! » مثل هذا الشخص الشجاع الذى أراد أن يواجه المعركة التى تدور رحاها فى نفسه مواجهة صريحة ويعترف بعجزه عن مقاومة قوة الإغراء. ومثل هذه النسبة ترى أن تقف موقفاً محايداً غير متحيز لهذا أو لذاك حتى لا تغضب أحدهما . هذا الموقف السلبى الذى يتمثل فى الاشتراك فى عملية الانتخاب هو نوع من الهروب الذى يلجأ إليه الكثيرون عندما تواجههم المشكلات والمواقف وهم يرون فيها أفضل حلول حتى يتجنبوا الصراع الذى يعتمل فى نفوسهم .

جهل .. وفقر

القصة الثالثة عشر

جهل . . وفقر ! !

الحاج أحمد كان عنده ثلاث أولاد صغيرين بيسعدوه فى الغيط . طلبت الحكومة منه إنه يوديهم المدرسة لغاية لما الواحد يبقى سنه ١٢ سنة . الحاج أحمد كان بيحاول التهرب من القانون علشان هوه محتاج لأولاده يساعدوه فى الغيط.

الاحكام

ا — الحاج أحمد له حق مدام محتاج لمساعدتهم فى الغيط .

ب — الحاج أحمد كان لازم يبعث اثنين من عياله للمدرسة ويخلى واحد بساعده .

جـ — الحاج أحمد ما كانش يقدر يعلمهم وهو جاهل .

د — الحاج أحمد كان يخليهم يساعدوه بعد ما يخرجوا من المدرسة .

التحليل

إلى أى حد يستطيع القانون الوضعى حل مشكلات جماعة من الناس ؟ ؟ فمشكلة الجهل والفقر مشكلة عويصة وليس من السهل أن يوجد لها المشرع الحل الحاسم حتى إذا فرض عقوبات رادعة على الخارج عن القانون . إن هذا لا يمكن أن يكون علاجا ناجعاً لجذور المشكلة لأنها لا تلبث حتى تعود فى أشكال جديدة ، مثلها كمثل الجرح الذى يخدع المعالج فيظن أنه نظيف فى الوقت الذى يضم فيه أشتاتاً من الجراثيم .

فالقائم على تنفيذ القانون بسلطانى الرهبة والرغبة ، سينكص ولا شك على عقبيه متى تراخت السلطة فى تنفيذ عقوباتها أو وعودها . ولقد ذكر علماء الاجتماع[١] .

أن القوانين وإن ساعدت على تثبيت العادات ، فهى لا توجدها وينبغى لكى يكون القانون مؤثراً أن يستوحى العادة لا أن يسبقها إذ أنه مهما تكن العوامل الأولى لتطور الأمة سياسية أو اقتصادية الخ . فهى لا تؤثر تأثيراً عميقاً إلا بعد أن تحول إلى عادات غير شعورية يعود البرهان غير مؤثر فيها .) على أن للقصة وجهاً آخر فطالما ربطت فكرة الخوف من السلطة بالجندية وبالتعليم الإجبارى منذ أن بدأ محمد على سياسته فى الاستغناء عن جيش المماليك[٢] . أى أن للمشكلة جذور تاريخية وأن خفت حدتها فى الريف الوجه البحرى هذا إلى أن محو

---

(١) جوستاف لوبون ص ١٤٤ فلسفة التاريخ ترجمة عادل زعيتر .

(٢) Ammar : Growing up in An Egyptian Village , Routledge & kegan paul. 1954 P 81

الأمية فى الريف واضطرار الفلاح للاعتماد على أولاده فى أعمال الحقل وما يتصل به يجعله متردداً فى الاستجابة لقانون التعليم الإجبارى وذلك مراعاة لمصلحته الحيوية التى تتصل بسد حاجته إلى الغذاء والكساء . . إنها مشكلة واجهت المصلحين التربويين منذ أقدم العصور فاقترحوا حلولا لها ، فقد اقترح « مارتن لوثر » المصلح البروتستانتى فى القرن السادس عشر حلا للمشكلة أن يعمل الأولاد نصف اليوم مع ذويهم فى مهنهم ويستفيدوا فى النصف الآخر بالدراسة ، وقد برهن بستالوتزى المربى السويسرى على إمكان نجاح هذه الفكرة بصورة عملية فى القرن التاسع عشر : كذلك قامت فكرة المدارس الإلزامية فى الريف المصرى على هذا الأساس ، أى على أساس نصف اليوم .

كذلك تحقق فكرة نصف اليوم بعض ما نادت به مبادىء التربية الحديثة ، كمبدأ الحياة عن طريق الحياة ومبدأ التعلم عن طريق العمل . وقد صادفت قبولا من أغلبية المنتفعين من قرية عمر شاهين بدليل أن ٦٣ ٪ قد وافقوا على هذا الاتجاه العملى . نال هذا الرأى موافقة تامة من المحكمين أى بنسبة ١٠٠ ٪ .

بيد أن نسبة تعد كبيرة ٣٤ ٪ رأت حرمان ولد واحد من التعليم ليتوفر على القيام بالعمل مع والده وأن يستمتع شقيقاه بالفرصة المتاحة لهما وهذا ما يحدث فعلا إذ يشجع الفلاح دائماً الأولاد المبرزين على الاستمرار فى الدراسة . وفى العادة نراه يحتفظ بأكبر أولاده سنا حتى يكون خليفته فى شئون الزراعة . هذه الفئة برهنت على أن هناك من يؤمن بسياسة أنصاف الحلول ولا ضير من أن يتحمل واحد الضرر ليتمتع اثنان . كما يدل على عدم إيمان نسبة كبيرة من الفلاحين بمبدأ محو الأمية .

وثمة فرد واحد أى بنسبة ٢ر٦٣ ٪ جهر بعدم مخاطرة الحاج أحمد وهو

الرجل الأمى بتعليمه أولاده حتى ينشأوا على غرار أبيهم (ومن شابه أباه فما ظلم) ! !

الإجابة التى لم تظفر بموافقة واحد من هذا الفريق هى موافقة الحاج أحمد على التهرب من تعليم أبنائه خشية أن يقع تحت طائلة القانون الأمر الذى يدل على بداية طيبة تتجه نحو محو الأمية بدليل أن المنتفع حسن أحمد عبد الرحمن الشيخ وعمره ٣٠ سنة وكان يعمل سائقاً قبل التحاقه بفوج المنتفعين قرر أن العلم أهم من أى شىء آخر ولابد من ذهاب الأولاد للمدرسة ويستطيع الوالد الاستعانة بآخرين من الأجراء .

الفصل الخامس

قياس التكيف الاجتماعى للنساء

(وصفه وتحليله)

الصورة (ـ)

على الرغم من إبعاد المرأة الريفية عن ميدان العلم والمعرفة، الأمر الذى تسبب فى إبعادها عن مفهوم التربية الحقة لأبنائها، إذ تربيهم تربية آلية تقليدية تلقتها عن الأجيال السابقة، وعلى الرغم من جهلها بأبسط قواعد علم الحساب إذ يمر بالمنازل الباعة الجائلون، فتقايضهم المرأة الريفية ببعض محصول الدار من أرز وقمح وذرة على الخيار والقثاء والفجل والترمس والجميز، على ما فى هذه المقايضة من خسارة مؤكدة إذ تكبدها أضعافا مضاعفة عن النقد[1]، فلقد حققت المرأة فى الريف المساواة بينها و بين الرجل تحقيقا طبيعياً وعمليا، فهى تشارك زوجها مشاركة فعلية فى حياته العملية و الاجتماعية، فهى معه فى المنزل وفى الحقل تشاركه آلامه وآماله. ولقد سبقت أختها ساكنة المدينة التى انفصلت تماماً عن الرجل أجيالا طويلة فأصبحت وكأنها غريبة عنه على الرغم من اشتراكها معه فى العمل والمنزل والجامعة. ذلك لأن مشاركة الريفية كانت أن طبيعية لم تكن وليدة حركة لرجال و نساء نادوا بها وهم مؤمنون بمبادى حرية المرأة مثل قاسم أمين وهدى شعراوى ولبت نداءهم الحكومات فى صورة تشريعات فجاءت المشاركة وكأنما فرضت ولم تنبع من الداخل فكانت صناعية إلى حد كبير. من أجل هذا لم تخرج الصورة (ب) عن الصورة (ا) فى المشكلات التى عرضت على السيدات المنتفعات فى « قرية عمر شاهين ». فماذا كانت النتيجة ؟ ؟

لنتأمل إجاباتهن على القصص الثلاث عشر[2] :

---

(١) إلى القرية — المرجع السابق ص ٥٩ .

(٢) صورة القياس . ملحق رقم واحد .

قتل .. وثأر

القصة الأولى :

قتل .. وثأر !!

محمد كان بيصطادعصافير، طلع عيار نار قتل شعبان ابن جاره الصغير . أبوشعبان مارضاش يقول للبوليس ، وكتمها فى نفسه علشان ياخد بثأر ابنه ، وفى ليلة كانت سودة خالص قام أبوشعبان استخبى فى الدرة وقتل جاره محمود .

الأحكام

ا — أبو شعبان كان عنده حق فى قتل محمود علشان ياخد بتار ولده .

ب — أبو شعبان كان لازم يبلغ البوليس علشان قتل ولده .

ج — أبو شعبان كان لازم يسامحه لأنه ما كانش يقصد قتل ولده .

د — أبو شعبان كان لازم يقتل ابن محمود زى أبو شعبان ما قتل ولده .

التحليل

تعرض هذه القصة إلى نوع آخر من أنواع الجرائم التى يرتكبها الأفراد . فلقد تأصلت عادة الأخذ بالثأر فى نفوس كثير من الناس ومازالت تظهر بوضوح فى الريف أكثر من الحضر وفى الصعيد أكثر من الوجه البحرى ، مما يدل على أن للبيئة دخلا كبيرا فى تأصلها وأن القانون الوضعى كثيرا ما يعجز عن اجتثاث هذه العادة .

وكان لتقديس جرائم الثأر أثره فى حياة القرية الآمنة ، فالثأر ليس عارا عند أهل الريف إذ أنه يرتكب لأسباب يعتقد صاحبه أنها شرعية ونبيله تدعو إلى الزهو والافتخار وما فتئت الأم تردد على صغيرها عبارة الأخذ بالثأر ، وهى تذكره دائما بالدم المسفوك وتقول له عند تناول الطعام والشراب : إن هذا الطعام سيقوى بدنك وستصبح رجلا قادرا على حمل البندقية وأخذ الثأر لدم أبيك (١) أو أخيك ، وللايحاء تأثيره ولاسيما فى مرحلة الطفولة ، وكل طفل — لاسيما فى القرية — يتطلع إلى أن يصبح رجلا قبل الأوان ، وكل طفل يتطلع إلى أن يصبح ذى شأن بهذا يرفع رأس عائلته و يدفع الظلم الذى وقع على أمه بقتل الزوج أم الإبن أم الأخ . . هذا إلى أن حديث الثأر يدور على ألسنة الريفيين من الرجال فى السمر وفى غيره حتى تصبح هذه الفكرة عقيدة تستبد بأصحابها استبدادا طاغيا .

بل لقد كان لتقديس جرائم الثأر أثره فى حياة القرية إذ خلفت طائفة من المحترفين الذين يقتصون للمنكوبين لقاء مال معلوم (٢) .

ويهم المربى الاجتماعى أن يتقصى هذه العادة و يرجعها إلى أصولها ، فمن خصائص العادات الثابتة التلقائية أنها تصدر عن الدوافع اللاشعورية وهى تستمد فى الغالب

---

(١)، (٢) إلى القرية — المرجع السابق ص ١٨ — ٢ .

من مصدرين هما : العقد والاتجاهات . فالعادات الفاسدة كالشراسة والانحرافات والأخذ بالثأر والانتقاص من الذات تراها بعض مدارس التحليل النفسى عقداً مرضية مكبوتة يكمن وراءها انفعال وإن إثارة هذا الانفعال المكبوت يعمل على إثارة هذه العادة . إذاً عادة الأخذ بالثأر تعتبر تعبيرا عن رغبات مستكنة كالرغبة فى المقاتلة[١] .

ولقد سبق لنا أن تعرضنا إلى كيفية معالجة العادات الفاسدة فى تحليلنا لإجابة صورة (١) .

القصة هنا أرادت أن تبرىء محمود من مسئولية قتل شعبان مع سبق الإصرار والترصد لأنها شاءت أن تختبر تقدير المجتمع لحسن نية محمود الأمر الذى يخفف من مسئوليته الإضافية وإن اعتبره القانون مسئولا عن إهماله . ولقد شاءت حوالى ٥٣ ٪ ضرورة إبلاغ البوليس بقتل الولد . فالمرأة المسالمة تأبى أن تأخذ بثأر من قتل خطأ وفى نفس الوقت لا ترى أن يعفى محمود من المسئولية . أى أن هناك صعوبة فى أن يحوز أحد هذه الأحكام الأربعة بأغلبية ساحقة . وإن رأى نصف المجموع احترام المجتمع للسلطة الحاكمة وإدراكه فهم وظيفة هذه السلطة ، الأمر الذى يدل على تطوير الوعى المدنى فى البلد . ترى هل كانت هذه النية تظل ثابتة لو أن محمود قد قتل شعبان عمدا ؟ ؟

تتفق نسبة ٦٢ ٪ من المحكمين مع هذا الرأى وهذا أمر طبيعى أن تزيد نسبة الأغلبية هنا ١٠ ٪ عن الأغلبية من المنتفعات لأن أهالى المدن يرون أن أسلم طريق للضرب على أيدى العابثين الالتجاء إلى السلطة .

---

(١) هادفيلد ص ٥٢ — ٥٥

كما رأت أقل من نصف الفريق نسبة ٤٥ ٪ ضرورة مسامحة القاتل لأنه لم يكن متعمدا القتل فهل هـذه إجابة منتظرة ؟ وهل إذا قتل لأم من هذا الفريق ابن لها أكانت قد سامحت القاتل بالفعل ؟ لقد عبر شـكسبير عن هذه الصعوبة صعوبة الوصول إلى التسامح والعفو عند المقدرة بقوله :

إن إرتـكاب الخطيئة صفة انسانية وان العفو سمة الهية[١] !

ولمدرسة التحليل النفسى رأيها فى هذا الفريق اذ ترى أن لمجاهرة فرد بالموافقة على أمر ما وتأييده لشخص تتمثل فيه الأمور التى حرمنا منها يدل على أهداف عليا يرون فى أحقيتها صعوبات فوق الطاقة . فدعاة السلام العالمى مثلا هم أولئك الذين خبت أضواء العطف والسلام فى نفوسهم بسبب مافى أعماقهم من ألوان الصراع . فأسقط السعى اللاشعورى الى السلام على العالم الخارجى[٢] . ترى أكان هذا ما يحس به هذا الفريق بالذات ؟ هل كان يشعر بعجز عن الفقران لمحمود وأن كل ما هناك أنه تمنى أن يصل الى حالة التسامح النفسية ؟ ترى وجوب العفو عن القتل الخطأ وهى نسبة تتفق الى حد كبير مع نسبة هذا الفريق من المنتفعات وهذا اتفاق غريب بين آراء أهل الريف وأهالى الحضر لا سيما اذا تذكرنا أن جماعة المحكمين جماعة على درجة كبيرة من الثقافة وحظ أكبر من المبادىء الخلقية التى تحض على التسامح والمسالمة .

برهنت المرأة هنا على مرونة فى تفـكيرها ، الأمر الذى يجب أن يضعه المربى الاجتماعى نصب عينيه ، لأن أى إجراء للقضاء على جريمة الثأر ، لا يمكن أن ينجح بتشريع قانونى ، أو بتـكوين لجنة المصالحات من أعضاء الاتحاد القومى .

---

(1) To sin is human, to forgive is deivne.

(٢) هادفيلد ص ٤٨ — ٤٩ :

وإنما بمن ترضع الطفل لبانه منذ طفولته ، فتنفث سموم الحقد فى صدره . . فعلينا عدم إهمال دور المرأة فى تربية الشعب الريفى . . ليس من عجب إذن أن نرى أنه على الرغم من القتل الخطأ تصر ٥و٢٪ فقط لا تتفق مع هذا الرأى بتاتاً ، وترى أن يقتل ابن الرجل القاتل حتى يثأر الوالد لابنه المقتول . نفس هذه النسبة رأيناها تؤيد عوضين عنـــد ما ضرب رمضان من أجل سرقة المياه (القصة العاشرة صورة « ب ») . ما من واحدة اتفقت مع الحكم الأول ، وهو أن شعبان كان له حق فى الأخذ بثأر الابن .

معنى هذا أن المنطق قد يتنافى مع الواقع . فقد تأخذ بالثأر وأنت لا تقر مثل هذا المسلك . وحيث أن هذه الإجابة تتفق إلى حد كبير مع الإجابة الثالثة ، فمن الممكن أن تستبدل بالتعويض المالى ، وهو اقتراح جدير بالأخذ به ، لأنه قد أقرته الشريعة (فدية مسلمة إلى أهله) .

الخلاصة : أن عدم حصول أحد الأحكام على أغلبية مطلقة بالنسبة لفريقى المنتفعين والمحكمين تحدونا إلى تعديل بعض أحكامها حتى تصبح صالحة للتطبيق من الوجهة الإحصائية التى تتطلب الحصول على تلك الأغلبية — كما تدل على تأصل جريمة الثأر فى النفس وتسببها فى شعور الفرد بصراع نفسانى عنيف .

القصة الثانية :

ذمـــة .. ومال !!

كان الشيخ أبو حـين عنده كلاب كثيرة . بتحرس له الغيطان بتاعته . وكان له جار اسمه شحاته عنده حتة أرض بيزرعها قطن ، وفى يوم جه الجار يشتكى من كلاب الشيخ أبوحسين . قام قال له والله يا شحاته إنت عندك حق ، خد العشرين جنيه دول تعويض لك عن الخسارة السنة دى ، ولمـا جنى شحاته القطن لقى إنه بدال ما يخسر كسب مكسب عظيم جداً .

الأحكام

ا — كان لازم شـحاته يحتفظ بالعشرين جنيه ما دام الشيخ أبو حسين أعطاها له .

ب — كان لازم شحاته يرجع العشرين جنيه لصاحبهم الشيخ أبوحسين .

حـ — كان لازم شحاته يصرف المبلغ على المسا كين ، لأن الشيخ أبوحسين رجل ميسور .

ء — كان لازم شحاته يشترى جاموسة يشارك عليها الشيخ أبوحسين .

التحليل

مرة أخرى نعرض قصـــة تبين الصراع بين الغواية والضمير ولا نتعرض هنا إلى حقيقة هذا الصراع إذ سبق أن حللناه بتفصيل عند ما حللنا القصة الثانية عشر فى صورة (ا) الفرق هنا بين القصتين يتلخص فى أن شحاته هنا كان واقعاً تحت تأثير إغراء المال فى حين أنه فى القصة التى سلفت الإشارة إليها نرى أن القرية كلها هى الواقعة تحت تأثير إغراء المال فماذا كانت إجابة النسوة ؟.

من جديد نرى أن أغلبية ملحوظة تمثل ٥٥ ٪ أى فوق النصف بقليل ترى ضرورة إرجاع العشرين جنيهاً لصاحبها الشيخ حسن ما دام لم يستهدف الخسارة . ورأى المحكمين هنا يتفق بأغلبية ٧٦ ٪ على ضرورة إرجاع المال لصاحبه وهو رأى يقره العقل والقانون الوضعى والأخلاقى والدينى . (لا تأكل من طعام ليس لك فيه حق . بئس الطعام الحرام)!!

إذا ما قارنا نسبة الأغلبية بين الرجال الذين رأوا مقاومة الرشوة ٦٥ ٪ فى الصورة (ا) و بين النساء هنا ٥٥ ٪ ليدل على أن المرأة فى هذه الفئة بالذات أقل حساسية بالواجب و بما يمليه القانون الأخلاقى بل لعلها أكثر صراحة من الرجل فى التعبير عن عجزها عن مقاومة إغراء المال .

إن نسبة ٢٥ ٪ من الفريق ترى صرف المبلغ على الفقراء طالما أن الشيخ أبو حسين رجل ميسور وليس فى حاجة إلى هذا المبلغ .

لا شك أن فى هذا تعبيراً عن حيلة من الحيل اللاشعورية التى يلجأ إليها الفرد لتبرير عمل من الأعمال . وما دام قد استطاع أن يبرر الاستيلاء على المال أمكنه بالتالى أن يبرر طريقة صرفه فى الوجوه التى يراها .

إن ٥و٩٪ من المحكمين رأت هذا الرأى أيضاً و ٥و١٧و٪ ترى أن يقتسم

الرجلان المال ، الأول نظير أمانته ، والثانى لأنها نقوده ! فلماذا لا يشتركان فى شراء جاموسة ؟ هذا الفريق أراد أن يرضى الذات العليا تلك التى تأبى الاستيلاء على المال كله ، وفى نفس الوقت ترضى الأنا التى تعمد إلى تبرير الاستيلاء على المال .

١٤ ٪ من المحكمين يرون هذا الرأى أيضاً .

٢٥و٥ ٪ يرون أن المال أقوى إغراء من الأمانة والشرف ولعل هذه المرأة كانت أكثر شجاعة من بقية الفريق ، فعبرت عن رغبتها فى احتجاز المال لنفسها طالما أن الشيخ أبو حسين رجل ميسور الحال .

نفس هذه النسبة رأيناها فى القصة الثانية عشر من الصورة (أ) لمن صرح بأنه عاجز عن مقاومة إغراء المال .

تعتبر هذه القصة جيدة لأن أحكامها ظفرت بنسب مختلفة . كما أن حكما منها قد نال أغلبية كبيرة من رأى المحكمين .

جريمة .. وعقاب!!

القصة الثالثة :

جريمة .. وعقاب ! !

عمر راجل مزارع . وهو ماشى لقى واحد حرامى بيقطع قناديل درة من زرعه ويشويها ويأكلها . عمر مسك الحرامى قال ارحمنى ربنا يرحمك ، أنا قطعت القناديل علشان جعان بقالى تلات أيام ما أكلتش . الفلاح صعب عليه وقال له : طيب معلهش بس أوعى تعمل كده تانى .

الأحكام

ا — عمر كان لازم يوديه للعمدة علشان يحبسه .

ب — عمر كان لازم تترك عليه الأولاد الصغيرين علشان ينادوا عليه «ياحرامى»

حـ — عمر كان لازم ترك الحرامى علشان ما سرقش إلا لأنه جعان .

د — عمر كان لازم شغل الحرامى فى غيطه علشان يخليه راجل أحسن .

التحليل

تشبه هذه القصة إلى مدى بعيد القصة الثانية فى صورة (١) ، الفرق هنا هو أن الحرامى ضبط وهو يسرق . أما هناك فقد تطوع هو نفسه بالاعتراف بالسرقة .

نسبة ٥٠ ٪ من هذا الفريق ترى أن يترك السارق طالما كان شاعراً بالجوع عند ما سرق . فى حين أن ١٤ ٪ من المحكمين فقط يرون هذا الرأى لأن معالجة الحرامى تتطلب أكثر من العفو عنه ، أى أن هذه النسبة تصور لنا القسيس فى قصة «البؤساء» لفيكتور هوجو ، كما أن الشريعة الإسلامية تعفو عن هذا الرجل . وراعى القانون الوضعى أيضاً التخفيف من مسئولية الرجل .

٣٧و٥ ٪ أكثر استعداداً لمواجهة المشكلة مواجهة عملية إذ تعطى اللص فرصة للتوبة وتعمل على القضاء على أسباب الجوع وبالتالى على أسباب السرقة . هذا الفريق يدل على نضج اجتماعى كبير . يلاحظ أن أغلبية المحكمين حوالى ٨٦٪ تتفق مع هذا الرأى .

١٢و٥ و ٪ ترى رغم جوع اللص أن لا بد من تأديبه . يمثل هذا الفريق الرأى القانونى الجامد الذى يقول إن المذنب مذنب مهما كان الدافع له على ارتكاب الذنب ، وإن راعى المشرع ظروف هذا السارق فاكتفى بتغريمه ٢٥ قرشاً .

الإجابة التى لم تظفر بموافقة فرد واحد هى الفضيحة الاجتماعية .

فتصايح الأولاد أمر له خطورته إذ أنه سيدفع اللص إلى التمادى فى السرقة طالما أحس أن المجتمع قد قسا عليه فى حكمه فاندفع ينتقم منه . ولما كان العرف والتقاليد أقسى حكما على نفس الفرد من القانون الوضعى ، فإن الفرد يحسب لها ألف حساب . نفس هذه التقاليد هى التى أملت على فريق الرجال فى الصورة (١) عدم موافقة الست مبروكة بالتظاهر بالعفو عن السارق وشكواه للعمدة من وراء ظهره . وهذا السلوك ينم عن لون من ألوان النفاق الذى لا يقره القانون الأخلاق .

القصة الرابعة :

معظم النار من مستصغر الشرر !!

محمد وأحمد أولاد الحاج مبروك اتخانقوا مع سيد وعمر أولاد الحاج فرحات ، وبعدين الحاج فرحات خد بعضه وراح ضرب ولاد الحاج مبروك ، وبعدين قامت خناقة بين العائلتين ماخلصهاش إلا العمدة والخفراء .

(ا) ياترى كان أحسن الحاج فرحات يضرب ولاد الحاج مبروك ؟

(ب) ياترى كان أحسن الحاج فرحات يشتكيهم للعمدة علشان يخلص تار عياله ؟

(ح) ياترى كان الحاج فرحات يشتكيهم لأبوهم الحاج مبروك علشان يؤدبهم؟

(د) ياترى كان يسيب الأولاد يلعبوا مع بعض ومايتدخلش الكبار بينهم وبين بعض ؟

التحليل

استمرت حرب البسوس مدة أربعين عاماً بسبب قتل ناقة ، مما يدل على تضخيم أفراد المجتمع للمشكلات التى تواجههم الأمر الذى يدل على عجزهم عن وضع الأمور فى إطارها الصحيح وقياس المشكلات بميزانها الدقيق . كما أن اندفاعهم يؤدى إلى استفحال الأمور ، وإذا كانت الاتجاهات لايمكن أن تنطلق فى فراغ ، ولكن لابد أن تنشأ فى حدود زمانية مكانية ثقافية ، كما لابد من خضوعها لعلاقات اجتماعية قائمة[١] ، فإن الدوافع أو الغرائز تكون المادة الأساسية لمثل هذه الاتجاهات ، أى أن امتزاج العوامل البيئية بالدوافع الموروثة أمر جوهرى لحدوث الخبرة[٢] فهل من الممكن حدوث تكيف مابحيث يتفق مع الأوضاع الاجتماعية المثالية ؟ أى هل يمكن مثلا القضاء على الرغبة فى المقاتلة وهى رغبة كامنة فى نفوس الكثيرين منا ؟؟ إذاً ، فما بال كبارنا ينتهزون فرصة مشاحنات الصغار ، (وهو أمر طبيعى يلائم مرحلة نموهم النفسى) فيضخمون المشكلة ويعملون من « الحبة قبة » ويتخذون من أمر هذه المشاحنات سبيلا للتنفيس عن رغبات مكبوتة ؟ ليس من شك فى أن تدخل الكبار فى مثل هذه الأمور ضرورى على أى حال . ولكن ترى ماهو الشكل المقبول اجتماعيا الذى يجب أن يتمثل به الكبار عندما يحاولون فض مشاحنات الصغار ؟

إن قصة أولاد الحاج مبروك وأولاد الحاج فرحات تضع الكبار فى الريف موضع الاختبار .

إن أكثر من نصف الفريق (٥٥٪) يرى أن يترك الصغار يحلون مشاكلهم بأنفسهم دون تدخل الكبار ، ذلك لأن عالم الصغار وقف عليهم .

---

(١) علم النفس الاجتماعى — فؤاد البهى السيد المرجع السابق ص ٢٨٧ .

(٢) هادفيلد — المرجع السالف ص ١٥ .

٧١٪ من المحكمين يرون هذا الرأى أيضا ، وطبيعى أن المدنية والثقافة لها دخل كبير فى التخلى عن العصبية التى تكمن وراء الكثير من المنازعات بين أهالى الريف. هذه العصبية تعتبر ضرورية فى المرحلة الأولى من مراحل تقدم المدنية.

فى حين أن ٣٠٪ من الفريق يرى استعانة الحاج فرحات والد المعتدى عليهم بالحاج مبروك والد المعتدين ليقوم بتأديبهم . أى أن هذا الفريق يرى ضرورة استخدام نفوذ الوالد حتى يضع حدا لاعتداء الصغار . فى حين أن ٢٤٪ من المحكمين يشتركون مع هذا الفريق ويعتبر هذا الحل أنسب حل للمشكلة بعد الحل السابق .

١٥٪ من الفريق يرى ضرورة الالتجاء إلى ممثل السلطة القانونية فى القرية ، مثله فى ذلك مثل الفريق الذى أراد أن يشكو السارق للعمدة . فى حين أن ١٥٪ فقط من المحكمين يلجأون لهذا الحل .

مامن واحدة وافقت على قيام الحاج فرحات بضرب أولاد الحاج مبروك ، وكذلك المحكمون ، وهذا يدل على أن إجماع الرأى على أن الكبير يجب ألا ينزل بتفكيره وانفعالاته إلى مستوى الصغار ، بل لابد وأن يكون عقليا واجتماعيا وانفعاليا أكثر تطورا وأكثر قدرة على وضع الأمور فى نصابها .

معنى هذا أن حوالى ٨٥٪ من هذا الفريق يرى التمسك بحلول سلمية منعا لتضخم المشكلات الأمر الذى يبين مدى مرونته الاجتماعية .

كل غريب للغريب نسيب !!

القصة الخامسة

كل غريب للغريب نسيب !!

فى يوم من الأيام واحد غريب عن البلد نزل على السكان ، وطلب منهم أنه يساعدهم فى العمل علشان يعيش منه ، ور بنا يبارك لهم فى عيالهم — خافوا لبعدين يكون حرامى ، فقالوا له : إحنا ما عندناش شغل وطردوه من البلد .

الأحكام

ا — أهل البلد كان عندهم حق ، لأنهم ما يعرفوش أخلاق الرجل كويس .

ب — أهل البلد كان لازم يعطوا له فرصة ويجربوه ويشوفوه إذا كان كويس ولا وحش .

حـ — أهل البلد كان لازم يسألوا عنه العمدة علشان يبحث عن ماضيه ، وعن سلوكه قبل مايقبلوه فى بلدهم .

ء — أهل البلد كان لازم يثقوا فيه على طول ، ويقبلوه من غير قيد ولا شرط .

التحليـــل

هؤلاء المنتفعون الذين جاءوا من كل حدب وصوب ، هل هم مستعدون لفتح صدورهم لكل غريب يأوى إلى وطنهم الجديد ، وقد استقروا فيه وارتبطوا به برباط المصلحة المادية والاجتماعية ؟ هل للظروف المشتركة التى جمعتهم فى هذا الوطن الجديد تأثير على اتجاهاتهم نحو غريب جاء يطرق بابهم يريد مأوى وعملا ؟ إن الدول تضع حدوداً لمنح جنسيتها للراغبين فى الاستيطان بها . ويحدثنا التاريخ أن روما كانت تعقد جلسات قضائية لتقرر أى الأفراد الذين يمكن أن تمنحهم جنسيتها . ومن هنا جاءت كلمة « prejudicum »[1] كما تحرص الولايات المتحدة على أن يمر الفرد بعدة اختبارات حتى تقرر قبوله كفرد من الجماعة يتمتع بما للأفراد الآخرين من حقوق وواجبات .

والواقع أن هناك نوعاً من عدم الثقة ، والنظر بعين الحذر لشخص لم يكن للمجتمع به معرفة سابقة إذ من يدرى ؟ فقد يكون عدواً أو جاسوساً متخفياً ؟ ؟ وقد لا يكون مستعداً للاندماج فى الجماعة بسهولة ويسر . ومن الثابت أن التعصب ضد فرد من الأفراد يختلف فى الجنس ، أو فى اللون ، أو ينتمى لجماعة أخرى ، أو ثقافة أخرى ، أو مهنة أخرى ، أو ديانة أخرى[2] يرجع إلى أسباب غريزية فطرية . فلقد دلت أبحاث مورينو[3] على أن الطفل الأمريكى أن الأطفال يلعبون مع الزنجى

---

(1), (2) Kimble young ; Handbook of SociaL psychology London Routledge & Kegan paul Ltd. Broadway House , 68 — 74 Carter Lane E. C. 4. p. 1948

صفحات ٢٥٧ — ص ٢٨١

(3) Moreno , J. L. Who Shall Survive ? A new Approach To the problem of human interrelations , 1934 .

دون غضاضة أو تهيب . ولكن سريعاً ما تتكون اتجاهات جديدة ضد هؤلاء بتأثير من الكبار ومن البيئة التى يعيشون فيها . أى أن الطفل الأبيض الصغير لم يكن وهو يلعب مع الطفل الزنجى ، قد امتص بعد التعصب العنصرى الذى يطبع المجتمع الأمريكى .

وليس من شك فى أن قدرة المجتمع على امتصاص العناصر الغريبة عنه تدل على مقدار مرونته وأصالة ثقافته ورقيه . كما أن اندماج الأفراد الجدد فى الإطار القائم والمعايير والقيم الموجودة لما يدل على مرونة الفرد .

ولقد دلت الأبحاث المختلفة على أن الاتجاهات تنشأ عند الأطفال فى سن مبكرة جداً ، كما أنها تتأثر فى نشأتها بالنظام الثقافى القائم وبالبيئة الخاصة النوعية التى تتمثل فى[1] الأسرة . فالطفل يمتص من أمه وأبيه اتجاهاته الأولى .

وكلما زادت الفروق الاجتماعية القائمة بين طبقة وأخرى كلما ازدادت فرص الطفل لاكتساب بعض اتجاهاته وألوان تعصبه . والتعصب فى مظاهره الاجتماعية المختلفة يدل على اختلال التبادل الاجتماعى القائم بين الأفراد .

لهذا لم يكن غريباً أن حوالى ٥٨ ٪ من فريق المنتفعات اللائى لم يمضين إلا أياماً معدودات فى وطنهن الجديد يتشككن فى أمر هذا الغريب ويطالبن بضرورة البحث والاستقصاء عنه . وكما رأينا أن مثل هذا الاتجاه ليس بغريب فإن الدول تلجأ إلى التروى بل إلى وضع شروط عديدة لمنح جنسيتها لمن استوطن بها عددا طويلا من السنوات . فما بالك برجل قد وفد على الوطن الجديد بدون معرفة سابقة ؟ ؟

---

(2) Horowitz, E. L. The Develompment of Attitude towards the Negro , Arch . Psycho . 1936 . No .194 .

نرى أن ٤٨ ٪ من المحكمين تأخذ برأى هذا الفريق مما يدل على وحدة الاتجاه بالنسبة لهذه المشكلة .

بل أن هذا الاتجاه يعتبر أمراً طبيعياً من أناس عرف عنهم المحافظة وقوم لم يقبلوا فى مديرية التحرير إلا بعد التحرى الدقيق والمعرفة الوثيقة .

بل إن ١٠ ٪ من هذا الفريق يرى وجوب طرده من البلدة، وهذه نسبة تمثل الفريق الجامد المحافظ الذى يبالغ فى الخوف من الفروق القائمة بين جماعات الناس كما يبالغ فى إسقاط الصفات الرديئة فى الجماعة الخارجية .

إن ٧٦و٤ ٪ من المحكمين تشارك هذه الفئة .

غير أن نسبة لا بأس بها من الفريق عبارة عن حوالى ٥ و٣٢ ٪ ترى وجوب إعطائه فرصة ليعمل معهم ، وتترك للأيام الكشف عن حقيقته عملا بقول الشاعر :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود ! !

* * *

ومهما تكن عند امرء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم ! !

هذا الفريق مع ٤٨ ٪ من المحكمين يمثل الفريق المرن الذى يعمد إلى التجربة ليرى بوضوح كيف يكون سلوك الرجل وتصرفه . وبذلك يبرهن على أنه أكثر استعدادا لامتصاص العناصر الغريبة عنه .

مامن واحد من الفريقين وافق على أن يقبل الرجل بلا قيد أو شرط وهو أمر متوقع وطبيعى .

القصة السادسة

فقر وشخصية ! !

بهية بنت شيخ كبير من الأعيان ، طلب إيدها ابن عمها الرجل الغنى ، بهية فضلت تتجوز راجل فقير لأنه أخلاقه كويسة ورفضت ابن عمها لأنه رجل أخلاقه غير مضمونة .

الأحكام

(ا) بهية لها حق فى رفض إيد ابن عمها .

(ب) بهيـــة كانت تتجوز ابن عمها وتحاول إصلاح أخلاق ابن عمها .

(حـ) بهية كانت تتجوز الفقير وزى ما تيجى تيجى .

(د) بهيـــة مالهاش دعوة بالاتنين وتستنى واحد تانى .

التحليل

ونحن نتذكر قصة الرجل الذى أراد أن يزوج ابنته الجميلة لمن يدفع لها مهراً قدره ٢٠٠ جنيه . مشكلة أخرى من هذا النوع عرضت على فريق السيدات . بيد أن الذين طلبوا يد بهية وفى هذه القصة هما ابن عم واسع الثراء ورجل فقير لا يملك شروى نقير وإن اشتهر بأخلاقه الكريمة العالية . وفى هذه المرة تقوم بهية برفض يد ابن عمها . ترى هل كانت مصيبة أم مخطئة ؟ ما حكم المرأة على المرأة فى هذه المسأله ؟ هل ستدرك حقوقا منحتها لها الشريعة ؟ وجعلت من حقها أن ترفض من لا تريد أم ستخضع لتقاليد وقيود ؟ كادت تمحو هذا الحق ؟ إلى حد أن وصل التعصب فى بعض القرى ضد من تبدى رأيها بصراحة فيمن تريد الزواج به إلى حد التهديد بالحرمان من حقوقها فى المال والحياة. هذه القصة يراد بها الكشف عن مدى التحرر الذى وصلت إليه المرأة فى هذا الصدد فأبدت رأيها بشجاعة .

إن نسبة (٦٠ ٪) من هذا الفريق ترى أن تتزوج بهية بالفقير ما دام على خلق حسن . وهذه النسبة تقترب كثيرا من نسبة الرجال فى الصورة (١) (٦٣٪) الذين فضلوا الأخلاق على المال .

٥ر١٧ ٪ رأوا أن تتزوج بهية ابن عمها وتحاول إصلاح أخلاقه . الواقع أن هذا الفريق يؤيد فى قرارة نفسه موقف الوالد من ابنته فهو يؤيد الرأى الشائع فى الريف (ابن عمى أولى من الغريب . . ابن عمى يعول همى فهو من لحمى ودمى) ! ! هذا ما رددته منتفعة من المنتفعات متزوجة من ابن عمها . وهذا تقليد غير غريب عليها ، فكم من مآس حدثت بسبب المغامرة فى تجربة غير مأمونة العواقب بسبب نوع من التعصب أو إندفاعنا وراء التعصب للدم .

١٤٪ من فريق المحكمين يرون هذا الرأى .

٥ر١٢٪ يتهرب من مواجهة المشكلة القائمة مواجهة إيجابية ، ولهذا فهو يتركها للظروف ؛ فلتنتظر بهية حتى ينزل الغيث وتكتفى برفض الاثنين وانتظار الفارس المجهول وهكذا حتى لا تثير حقد أحدهما . من الغريب أن ٣٣٪ من فريق المحكمين يرون هذا الرأى أيضا ١٠٪ من الفريق يؤيد بهية فى استخدامها حقها فى رفض ابن عمها ولكنها لم تضف شيئا ، هل تنضم إلى الفريق الأول وهو أن تتزوج الفقير أم إلى الفريق الثالث وهو أن ترفض الاثنين . الواقع إن ٤٣٪ من المحكمين يرون أيضا هذا الرأى . يظهر أن القصة لم تحقق الغرض المقصود ؛ ذلك لأنها لم يحرز حكم منها أغلبية .

الواقع أن نسبة ٥٢ر٩٪ من فريق المحكمين قد أيد بهية فى زواجها من الفقير ومعنى هذا أنه لا مناص من تغيير بعض الأحكام فمثلا يمكن أن يغير الحكم (ا) بما أنه يتفق إلى حد كبير مع الحكم (ج) .

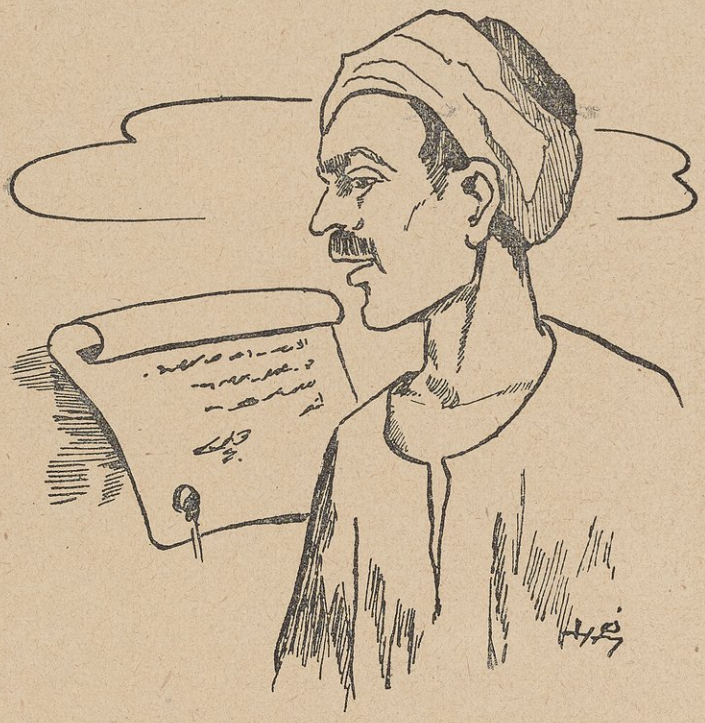

المرأة والإصلاح الزراعى

القصة السابعة :

المرأة والإصلاح الزراعى

استولت الحكومة فى سنة ١٩٥٣ على أراضى أسرة الملك السابق ووزعتها على الفلاحين اللى ما كانوش يملكون أرضا من قبل .

الأحكام

(ا) الحكومة كانت على حق لما عملت العمل ده .

(ب) ما كانش فى العمل ده نتيجة كبيرة تعود على دخل البلاد بالنفع .

(جـ) الحكومة كانت غلطانة لأنها ظلمت أسرة الملك السابق .

(د) الحكومة كان لازم تعمل كده لو كان فى العمل ده سعادة أكبر عدد من الفلاحين .

التحليل

ماهو المدى الذى وصل إليه إدراك المرأة الريفية للتطور السياسى وللأحداث التى تمر بها البلاد وهل شاركت الرجل فى اتجاهاته العامة مشاركة فعلية ، وهل قدرت التغيرات التى تقوم بها حكومة الثورة من أجل الشعب ؟ إن وراء الاستيلاء على أملاك أسرة الملك المخلوع أكثر من دافع ، فهل قدرت المرأة الريفية كل هذه الدوافع ؟ إن ٦٠ ٪ تؤيد الحكومة دون قيد أو شرط . ونسبة ٣٥ ٪ تنضم لهذه الأغلبية وإنما يريد أن تبرهن على عمل الحكومة فترى أنه مادام فى هذا العمل سعادة أكبر عدد من الفلاحين ، كان على الحكومة أن تقوم بهذا العمل . فكانت بهذا نسبة الذين يؤيدون الحكومة ٩٥ ٪ وهذه النسبة تتفق مع المحكمين (٧٦ ٪) ، وهى تؤيد عمل الحكومة لنفس السبب المذكور . واحدة فقط من الفريق ترى أن هذا العمل لايعود بفائدة كبيرة على البلاد . وواحدة أخرى ترى أن فى هذا العمل ظلما لأسرة الملك .

يتضح مما تقدم أن ٩٨ ٪ مستعدة للتكيف والتطور ومسايرة حركة التجديد فى نظم البلاد السياسية والاجتماعية .

القصـة الثامنة :

استقلال وتعاون !!

واحد مرابى كان بيسلف الناس نظير رهونات على مصوغاتهم ، فى يوم أهالى البلد أتغاظوا منه وحرضوا واحد منهم علشان يسرق فلوسه ويفرقها على فقراء البلد .

الأحكام

ا — أهل البلد كانوا على حق فى اللى عملوه .

ب — أهل البلد كان لازم يطردوا المرابى من البلد .

جـ — أهل البلد كان لازم يشتكوا المرابى للعمدة لأنه راجل بيستغلهم .

د — أهل البلد كان لازم يعملوا جمعية تعاونية تساعدهم على التخلص من ديونهم وترد لهم مصوغاتهم .

التحليل

قصة المرابى الذى استغل الناس أسوأ استغلال ، فاندفع واحد منهم يريد الانتقام ، فسرق نقوده و برر مسلكه تبريرا يرضى ضميره ، فيوزع النقود على فقراء البلد ، و بذلك يحقق خدمة اجتماعية جليلة فضلا عن إحساسه بأنه إنما يقوم بدافع من الوازع الدينى . فالقرآن يحرم الربا ، بل إن الدكتور[١] حامد عمار يسند إلى تغلغل هذه التقاليد الدينية فشل « بنك التسليف الزراعى » فى مهمته فى قرية « سلوى » وهى قريه من أعمال مديرية أسوان ...

كما يرد آخرون[٢] فشل بنك التسليف بفرعيه :الزراعى والعقارى . ذلك الذى جاء على أساس واحد ، وهو تحرير المزارع من ربقة الاستعباد لطائفة المرابين ، وتجار النقود ، ويستهدف تخفيف العبء من ميزانية المزارع المسكين إلى انقلابه إلى أداة مرهقة فى إجراءاته ومعاملاته . المشكلة القائمة وجود شخصية المرابى ، أو تاجر النقود ؟ فما حكم المرأة على من سرق نقوده ليخلص الفلاحين من ظلمه . . ؟ فالمشكلة كما ترى تمثل الصراع بين القانون الوضعى و بين القانون الأخلاق . ففى الوقت الذى لا يترك القانون الوضعى السارق الذى يسرق أموال المرابى مهما كانت دوافعه . فالقانون الأخلاق يبرر نية السارق و إن أدان وسيلته فى تحقيق أهدافه . وأن الغالبية العظمى ٨٠ ٪ ترى ضرورة اتحاد أهل القرية ، واتخاذهم خطوة إيجابية ضد المرابى ، لا تقر سرقته كما لا تقر شكواه لدى العمدة . ولا تقر طرده من البلد ولا يملكون دليلا كافياً يقدمونه به للمحاكمة. هن يتفقن مع السارق فى أهدافه و إن خالفنه فى الوسيلة . إن تأسيس جمعية تعاونية تساعدهن على التخلص من ديونهن ، وترد إليهن مصوغاتهن المرهونة أسلم وسيلة للتخلص من مشكلاتهن .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٢ .

(٢) إلى القرية المرجع السابق ص ٧١

والنسبة تزيد قليلا عن نسبة المحكمين لأن ٧٦ ٪ من المحكمين يتفقون مع هذا الرأى . وهذا يدل عل تقدير للتعاون بين الأفراد فى سبيل مصلحة الجماعة .

غير أن ١٥ ٪ تقف إلى جانب القانون الوضعى ، وترى أن الحل الوحيد هو شكوى المرابى للعمدة حتى يتولى إنقاذهن منه .

هذه النسبة ترى فى العمدة ممثلا للسلطة القانونية وعلى الأفراد أن يلتزموا حدودهم (دع مالقيصر لقيصر) !

١٩ ٪ من المحكمين يرون هذا الرأى . وفى هذا تقارب جدير بأن نلفت إليه النظر .

٥ ٪ ترى ضرورة طرد المرابى من البلد مادام يقوم باستغلالهن .

فى إجماع البلد على نبذ المرابى و إقصائه دليل على سخطه عليه لخروجه على قوانين الجماعة المعترف بها . وفى هذا معنى للتضامن والتعاون على احترام قوانين الجماعة . يلاحظ أن الاتحاد هنا سلبى و إن كانت عملية الطرد تتخذ طابعاً إيجابيا . هذه النسبة لم تفكر فى عقبة إيجاد وسيلة لطرد المرابى والسبيل إلى ذلك . مامن واحد من المحكمين يقف هذا الموقف . ربما لأنه حل غير عملى . مامن واحد أيضاً يتفق مع السارق فى العمل الذى قام به . هذا على الرغم مما يظهر أنهم متفقون على ضرورة التخلص من المرابى وهذا يدل على ما للضمير من سلطان وما للوازع الأخلاقى من سلطان عند أهل الريف ومن أثر فى تكيف سلوكهم تكييفا يقره الشرع والقانون الوضعى . فالأمانة معيار اجتماعى ثبت واستقر فى نفس الجماعات واكتسب صبغة انفعالية راسخة مقننة (فالجريمة لاتكافح بجريمة) .

ومن الغريب أن حوالى ٥ ٪ من المحكمين تؤيد عمل السرقة. غير أن الاتجاه العام يدل على سداد تفكير الجماعة واتجاهها الوجهة الطبيعية . مما يدل على هذا الاتجاه العملى ، اقتراح بعض المنتفعين اقتراحا جديراً بأن يؤخذ به . فقد شاءوا جمع نقود من أهل البلد وتقديمها للمرابى حتى يستطيع أن يعيش بعيدا فى مكان آخر .

دنيا.. ودين

القصة التاسعة :

دنيا ودين

كان الشيخ مبروك تقى صالح ، بيصوم و يصلى ، فضل إنه يبنى جامع لأهالى البلد ، بدل أن يشترك فى جمعية تعاونية تساعد الناس الفقراء .

الأحكام

(ا) الشيخ ده كان له حق فى العمل اللى عمله .

(ب) احنا مالنا نحكم عليه ، هو وشأنه يعمل اللى عايزه .

(جـ) الراجل ده صالح ونفسه يدخل الجنة .

(د) الجمعية التعاونية أثرها أكبر لسعادة الفلاحين .

التحليل

أى العملين أفضل للجماعة ؟ العمل الذى يؤدى للسعادة الأخروية أم للسعادة المادية ؟ أيبنى الرجل جامعاً أم يؤسس جمعية تعاونية ؟ نفس هذه المشكلة قد عرضت فى صورة « ا » وإن اتخذت طابعاً فرديا . لقد انحصرت مشكلة الشيخ عبد الله فى اختيار أداء الفريضة أو التوفر على مصلحة الأسرة وتربية الأبناء ؟

يظهر أن هذه المشكلة تمس وترا حساساً فى نفوس أهل الريف ذلك لأن ٥٢ر٥ ٪ تؤيد الشيخ مبروك فى بناء الجامع . وهذا يدل على أن الوازع الدينى لدى المرأة الريفية أكثر وضوحا لدى الرجل الريفى (أنظر تحليل القصة السادسة صورة « ا ») .

كذلك تدل هذه النسبة على عدم فهم أكثر من نصف الفريق للهدف الذى يكمن وراء تأسيس الجمعيات التعاونية التى تعتبر تجربة حديثة وتحتاج إلى زمن طويل حتى تتشرب الجماعة روحها وتتشبع بها . كما أن هذه النسبة تدل على أن المعيار المادى لم يسيطر بعد على نفوس الأفراد فى الريف ، فى حين أن المعيار الدينى قد ثبت واستقر واكتسب صبغة انفعالية راسخة مقننة ليس من السهل استبدالها بمعيار آخر فى وقت قصير ، بل إن هذه المعايير يزداد تأثيرها قوة حينما يضفى عليها الأفراد ألوانا عاطفية مختلفة وحين يخضعون لها خضوعاً مباشراً يهيمن على حياتهم من قريب أو من بعيد .

وما أوسع الفرق بين أهل المدن وأهل الريف فى هذه الناحية . إن ٤ر٧٦ ٪ من المحكمين يؤيدون الشيخ مبروك فى بناء الجامع ويظهر أن المستوى المادى وارتفاعه فى المدينة له دخل كبير فى تقدم الوعى الاقتصادى بدرجة تفوق مثيله فى الريف .

غير أن نسبة ٣٧ر٥ ٪ ، وهى نسبة تعد لا بأس بها . لاتتفق مع الرأى السابق ، إذ ترى أن فى إنشاء الجمعية التعاونية سعادة الفلاحين ، وهذا الفريق بدأ بالفعل تكوين معايير جديدة تتفق مع روح العصر الذى يعيش فيه . بل لعله أدرك روح الدين الإسلامى ، وعمل بالحديث القائل : [إطعام جائع خير من بناء جامع] ! !

٨١ ٪ من المحكمين يتفقون مع هذا الرأى .

إن نسبة ٧ر٥ ٪ هم من أنصار سياسة الترسل ، لا ترى أن لها الحق فى إبداء رأى فى تصرفات الشيخ مبروك (دع الخلق للخالق) ! ! .

هذا الفريق يعيش على هامش الإطار الجماعى ، فهو لا يريد أن يورط نفسه فى الحكم على معيار استقر فى نفوس الجماعة منذ عهد بعيد ، وتجربة جديدة تتطلب من أفراد الجماعة الاشتراك فيها اشتراكا فعلياً حتى تتمكن من نفوسهم ، وتكون معياراً جديدا .

٧٦ر٤ ٪ من المحكمين يرون هذا الرأى أيضاً .

امرأة واحدة من هذا الفريق تحكم على الشيخ مبروك بأنه رجل صالح ، وله رغبة فى أن يدخل الجنة ! ! أى أنها لاتحكم على العمل الذى قام به ، بل تحكم على خلجات نفسه وما يعتمل فيها من شعور دينى . واحد من المحكمين يشترك مع هذه المرأة فى الرأى القائل : (من أقام بيتاً لله أقام الله له بيتاً فى الجنة ! !) .

القصة العاشرة :

طب .. وشعوذة !!

زنوبة كانت ست حظها مش كويس ، كل ما تولد بنت ولا ولد يموت ، وبعدين فاطمة صاحبتها قالت لهـا يا أختى الشيخ الغرباوى سره باتع قوى . تعالى اندرى له ندر لمـا ابنك يعيش ويعطيك حجاب يحرسه من العين .

الأحكام

ا — زنوبة كان لازم توافق على رأى صاحبتها فاطمة .

ب — زنوبة كان لازم تسيبها على ربنا .

حـ — زنوبة كان لازم تعرض ابنها على الدكتور علشان يوصف له دواء .

ء — زنوبة كان لازم تعرض نفسها على الدكتور قبل ماتولد ابنها علشان ينزل صحته أقوى .

التحليل

هذه القصة تعرض مشكلة شبيهة لتلك التى رأيناها تتناول مشكلة الزار فى الصورة(١) من هذا القياس. غير أنها تتضمن أمرين آخرين على غاية من الأهمية .. أولهما أن موت الأولاد يسبب قلقلة وعدم استقرار فى الحياة الأسرية ، كما تؤدى إلى نزاع دائم بين الزوجين ، الأمر الذى يجعل جوها يسوده الوجوم والحزن ، والتطلع إلى أن يكون لهم أبناء كبار . الأمر الذى يدفع بعض أرباب هذه الأسر إلى الإلتجاء للأطباء . وآخرون يلجأون إلى الوصفات البلدية والسحر والشعوذة والبخور والأحجبة[١] و إلى الأدوية الشعبية[٢] ، فالفلاح شديد الاعتقاد فى قدرة الولى أو الشيخ على فعل أشياء شبيهة بالمعجزات ، فهو يستغيث به فى كل أزمة من أزمات حياته الطارئة ؛ فالفلاح الذى أحس فى نومه حركة مريبة فهب من نومه مذعورا و إذا به يرى اللص يحمل فوق كتفيه جوال الخيار وهو يجد السير هارباً . فينطلق المزارع خلفه . ثم يصيح « قيده يا متولى ؛ فيقع اللص على الأرض ويقبض عليه » ما يزال لا يؤمن تماماً برسالة الأطباء والمستشفيات . وهو فى هذا معذور طالما[٣] فشل الجهاز الطبى المسيطر على المستشفى عن ضبط المرض وشفائه ؛ ففريق كبير من الأطباء لا يبغون الخدمة فى الريف ؛ وهم لهذا ينتظرون الفكاك منها ، فإذا ما استقر طبيب فى القرية فإنه يؤدى رسالته بعيدا عن روح الفن ، ويسعى جاهداً للثراء السريع أو هو يسعى ليتخذ من سكان القرية

---

(١) مشروع الخدمة العامة . المرجع السابق ص ١٨٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٦ .

(٣) إلى القرية . المرجع السابق ص ٤٧ ، ص ٤٩ .

معملا لتجار به كما يشكو الأطباء من المرضى أنفسهم إذ أنهم يحصلون على الدواء بالمجان ثم يعمدون إلى بيعه إلى الأغنياء أو مخازن الأدوية القريبة منهم أو إلى عملاء تخصصوا فى هذا العمل[١] .

ما رأى فريق النسوة ، من المنتفعات بالنسبة لهذه المشكلة المتصلة بحياتهن أوثق اتصال التى قيل تعليقاً عليها ، « إن ما تنفقه القرية على موالد أولياء الله الصالحين يكفى وحده للقضاء على الفقر والعوز اللذين يحسهما الذين لم تكتب لهم الميسره[٢] »

حوالى نصف الفريق (٥٠ ٪) يظهر تحررا من الاعتقاد فى الأحجبة والتمائم بل يذهب إلى أنه كان ينبغى على زنوبه أن تأخذ نفسها بالعلاج وهى حامل حتى تضع مولودها قويا سليما حتى يصبح قادرا على مقاومة الأمراض أخـذا بمبدأ : (الوقاية خير من العلاج) .

٩١ ٪ من المحكمين يرون هذا الرأى .

ونسبة ٣٥ ٪ من نفس هذا الفريق وهى نسبة مرتفعة ترى ان تترك زنوبه أمرها لله فإذا شاء أطال فى عمر ابنها وإلا فقضاء وقدر ! ! إنها الفئة القدرية . وهى التى تخشى مواجهة المشكلات مواجهة صريحة فتحاول التهرب منها وإرجاء حلها للظروف .

مامن واحد من المحكمين يتفق مع هذا الرأى إطلاقا .

١٠ ٪ من الفريقين يرى وجوب عرض الابن على الطبيب بدلا من ذهابه إلى الشيخ . هو إذاً يؤمن بالطب ولكنه لا يتصف بنفس النظرة البعيدة التى تحتاط للمستقبل كما فعل الفريق الأعم .

---

(١) المرجع السابق ص٥٨

(٢) المرجع السابق ص ٥٩

نسبة ٥ ٪ من المنتفعات لا تزال متأثرة بالاعتقاد فى الأحجبة والتمائم . وليس من شك فى أن الكثيرات يشتركن فى الرأى مع هذا الفريق وإن لم يجاهرن برأيهن لأنه يخالف الرأى المنطقى الذى ينادى المجتمع المتمدين به .

الخلاصة أن هذه القصة تبين أنماطا مختلفة من الناس فهناك فئة تحتاط للمستقبل وتستفيد بالتجارب وتأخذ من ماضيها عظة وعبرة لمستقبلها . فتعدد موت الأبناء يدل على أن الأم فى حاجة الى رعاية صحية حتى تنجب أبناء أصحاء .

وثم فئة أخرى تعيش لحاضرها دون نظر للمستقبل .

وفئة ثالثة لا تريد أن تكلف نفسها عناء التفكير فى الحاضر أو المستقبل .

وفئة رابعة لا زالت تعيش بعقلية القرون الماضية .

وطنية .. ووالدية !!

القصة الحادية عشر

وطنية .. ووالدية ! !

كان لابراهيم عطوه ولدان : واحد منهم حب يبقى مزارع والثانى حب يبقى عسكرى فى الجيش . ابراهيم عطوه قال : يا ابنى أنا محتاج لك فى الغيط انت وأخوك ، وأنا راجل كبرت والجيش موش معقول يحتاج لواحد زيك .

الأحكام

ا — ابراهيم عطوة كان عنده حق علشان الغيط بتاعه ما يخسرش .

ب — ابراهيم عطوة كان لازم يسيب لابنه حق اختيار المهنة اللى عاوزها .

ج — ابراهيم عطوة كان لازم يفكر فى جيش الوطن قبل ما يفكر فى عطية ،

د — ابراهيم عطوة كان لازم يستعين بفلاح تانى علشان يساعده فى الغيط .

التحليل

عندما كان المجندون يساقون سوق الأغنام وكان ذووهم يعتبرونهم فى حكم المفقودين : (الرايح مفقود والراجع مولود) ! ! .

ولكى يتخلصوا من الجندية كانوا يعمدون إلى إحداث عاهات بأنفسهم كانت تصل بأحدهم إلى أن يفقأ إحدى عينيه أو بتر أصابعه حدث هذا منذ أن بدأ محمد على سياسة التجنيد بين الفلاحين . فعمت الرشوة وتعطلت أعمال الزراعة[1] أما القادر مالياً فقد كان يستطيع دفع الفدية التى كانت مقررة وقتذاك وتعرف باسم (البدلية) ! ! .

واليوم وقد تساوى الجميع فى شرف أداء خدمة الوطن عن طريق ضريبة الدم . فما موقف نساء الريف من هذه المشكلة ؟ إن ٦٠ ٪ من مجموع الفريق ترى استعانة ابراهيم عطوة بفلاح آخر يساعده بدلا من ابنه وهكذا رأت الأغلبية التوفيق بين ذهاب الولد للجندية وعدم الإضرار بمصلحة الرجل . وهذا الرأى يتفق مع العقل والمنطق ورأى أكثر المحكمين بنسبة ٧١ ٪ . فى حين أن ٢٧ر٥ ٪ ترى إعطاء الحرية للابن حتى يختار المهنة التى يريدها ، فليس لأبيه الحق فى أن يفرض عليه رأيا ضد رغبته والرغبة هنا هى أن يصبح جنديا فى الجيش . أى أنه من الممكن القول بأن ٣٥ من ٤٠ من النسوة توافق على أن يصبح الابن جنديا وإن اختلفت الأسباب .

---

(١) تقرير Report on Egypt & Candia John Bowring ترجمة الدكتور محمد فؤاد شكرى وغيرة فى بناء دوله محمد على مطبعة ونشر دار الفكر العربى سنة ١٩٤٨ ص ٣٨١

٢ ٪ يصم إبراهيم عطوة بالأنانية عندما يفكر فى حقلة ويفضله على جيش الوطن . وإذا اعتبرنا أن هذا الفريق يذهب فى تأييده فكرة انخراط الابن فى الجيش إلى أبعد مدى تتجمع لدينا أغلبية مطلقة ترى هذا الرأى (٣٩ امرأة من ٤٠)

١٩ ٪ من المحكمين فى الواقع يتفقون فى وصم الرجل بالأنانية واحدة فقط ترى أن إبراهيم عطوة على حق . إذ أنه لا بد أن يفكر فى غيطه قبل كل شىء . ولقد كانت أصرح من كثيرات غيرها . كما يتفق واحد من المحكمين مع رأيها .

القصة الثانية عشرة :

أفراح .. وماتم ! !

اسماعيل حب يتجوز بنت عمه وفى ليلة الفرح ضرب عيارات نار فى الهواء علشان مبسوط وقرايبه كانوا بيرقصوا و يغنوا طلع العيار غلط وقتل أبوه .

الأحكام

ا — اسماعيل لازم ينحبس علشان موت أبوه .

ب — اسماعيل كان لازم ما يستخدمش نار فى الفرح .

حـ — اسماعيل كان لازم يورى ابتهاجه للناس بضرب العيار .

د — اسماعيل راجل شجاع ومش لازم ينحبس .

التحليل

ما حكم المجتمع على أفراد متهورين يبالغون فى إظهار ابتهاجهم فيعمدون إلى إطلاق الأعيرة النارية فيعرضوا حياة أهل القرية لخطر جسيم . إن هذا العمل الذى يحرمه القانون كثيراً ما يتخذ منه بعض الناس فرصة للتخلص من أعدائهم . ذلك لأنهم يعلمون أن عقوبة القتل الخطأ أهون من عقوبة القتل المتعمد . على أن مما يزيد الأمر تعقيدا أن الطلقة قد تصيب أقارب ذلك المتهور كما حدث فى هذه القصة إذ أصابت والده فى مقتل فمات فى الحال .

ما موقف النسوة من هذه المشكلة ؟ إن ٦٥ ٪ من الفريق يعارض استخدام النار و يستهجن هذه العادة . وليس من شك أن للمجتمع دوره فى مقاومة العادات السيئة ، فإذا ما استقر الرأى على استهجان عادة من العادات المتأصلة صار من السهل نزعتها و بالتالى اجتثاثها .

٩٠ ٪ من المحكمين ترى هذا الرأى .

١٧٫٥ ٪ تصف اسماعيل بالشجاعة ولا تقر سجنه على الإطلاق . ما من واحد من المحكمين يرى هذا الرأى أو يوافق عليه .

فالشجاعة شىء غير التهور ! ! وقديماً طالعنا أرسطو بنظرية الأوساط التى تضع الشجاعة بين التهور والجبن .

١٠ ٪ يتفق مع اسماعيل فى ضرورة إظهار ابتهاجه بإطلاق النار معنى هذا أنه يوافق الرأى الثانى و بهذا تصبح النسبة ٢٧٫٥ ٪

٢٫٥ ٪ يقسون على اسماعيل فى حكمه و يرى ضرورة حبسه لقتله أبيه .

٤و٧٦ ٪ من المحكمين تتفق مع هذا الرأى .

و يمكن أن نقول بصفة عامة إن الأغلبية تتفق مع المثل السائر : (هوه موت وخراب ديار ؟ !) ولقد عبرت عن ذلك المنتفعة هانم بقولها : لقد قتل والد اسماعيل دون قصد فكيف يمكن سجنه ؟ (والحى أبقى من الميت !!) .

وطنية .. وإنسانية

القصة الثالثة عشر

وطنية .. وإنسانية ! !

لما هاجم اليهود سوريا قامت سوريا هجمت على اليهود علشان تدافع عن نفسها .
اتقتل كتير من الأطفال والنساء من الجانبين .

الاحكام

ا — سوريا كان لازم تدافع عن نفسها .
ب — كان حرام إن الأطفال والنساء يتقتلوا من الجانبين .
حـ — سوريا كانت لازم تشتكى للدول المسالمة قبل ما تحارب .
د — سوريا كان لازم تصالح اليهود .

التحليل

كلنا يتذكر هجوم إسرائيل الغادر على قرية التوافيق فى يناير ١٩٦٠ وقد وضعت هذه القصة فى أغسطس ١٩٥٧ وكأنما كانت نبوءة سبقت هذه الأحداث بثلاثة أعوام . ترى ما موقف المرأة الريفية من هجوم إسرائيل على سوريا التى لم تكن قد صارت جزءاً من الجمهورية العربية المتحدة ؟ هل تستطيع أن تضع نفسها مكان السوريين فتتحدث بشعورهم .

٦٥ ٪ من الفريق يقابل ٨١ ٪ من المحكمين يرى شرعية دفاع سوريا عن نفسها (السن بالسن والعين بالعين والبادى أظلم) ! ! .

وهذا حكم تضمنته التوارة كما تضمنه القرآن . والوطنية إلى جانب هذا تتطلب من سوريا أن تدافع عن نفسها .

٢٧ر٥ ٪ يقابله ١٤ ٪ من المحكمين ترى الموافقة على الطريق الأسلم فتبادر سوريا بالشكوى للدول المسالمة قبل الحرب وقد نسى هذا الفريق أنه ما زالت شريعة الغاب هى السائدة وأن الحكم للأقوى وإن لم يغفل مهمة هيئة الأمم المتحدة التى تقوم بالفصل فى مثل هذه المنازعات .

٢و٥ ٪ تستنكر قتل الأطفال والنساء من الفريق .

تقابلها نسبة ٤و٧٦ ٪ من المحكمين .

نسبة ضئيلة ترى ضرورة إيجاد حل سياسى مع إسرائيل (٥ ٪) .

الخلاصة : يتبين من هذا أن قياس التكيف الاجتماعى بصورتيه قد حقق بعض أهدافه . وأن أكثر من قصة قد وجدت استجابة من فريق المنتفعين

والمحكمين . فاتفاق آرائهم فى أغلب أحكام الصورتين ليدل دلالة واضحة على صلاحية القياس لتطبيقه فى المواقف الاجتماعية المختلفة التى ترمى إلى معرفة مدى التكيف الجماعى .

و إذا اتخذنا اتفاق أغلبية المحكمين على حكم من الأحكام دليلا على صحة هذا الحكم من الوجهة القياسية نرى أن من الممكن الاحتفاظ بعشر قصص بلا تعديل فى الصورة (ا) وعشر قصص أخرى فى الصورة (ب) . وتتراوح النسب بين ١٠٠ ٪ و ٦٢ ٪ للحكم الأعم . فإذا حذفنا القصة السادسة والقصة التاسعة والحادية عشر من الصورة (ا) مع إحرازها نسبة تتراوح بين ٦٢ ٪ لـ ٦٦ ٪ يمكن اعتبار القياس قياساً صالحاً للاستعمال .

فى حين أن الصورة (ب) يمكن حذف القصة الأولى و الخامسة و السادسة لعدم إحراز الحكم الأغلب للنسب المطلوبة و هى أكثر من ٦٥ ٪ .

وقد تبين من تحليلنا لهذه القصص تحليلا إحصائيا نجاح قياس التكيف الاجتماعى فى إظهار الفروق بين مستويات مختلفة من فريقى المنتفعين و المحكمين .

وفيما يلى سنتناول بالإيضاح أنماطا مختلفة من السلوك . الفردى كما تجلت بوضوح خلال تطبيق قياس التكيف الاجتماعى ومقارنته بإجابات بعض المنتفعين

الفصل السادس

تحليل لمواقف بعض المنتفعين

من قياس التكيف الإجتماعى

يعتبر القياس جيداً إذا ماحقق الأهداف التى وضع من أجلها ، ونجح فى إظهار الفروق الفردية و الجماعية ، كذلك يمكن اعتبار تطبيقه وكأنه موقف من المواقف التى تواجه الفرد وتتطلب منه استجابة ما ، لأنه فى هذه الحالة يكون واقعا تحت تأثير عوامل ذاتية بعضها متعلق بصفات أخلاقية ، وبعضها يتصل بمزاجه[1] . فهل من الممكن الكشف عن هذه و تلك بواسطة قياس كقياس التكيف الاجتماعى ! !

إذا كان خلق الشخص يخضع لعوامل بيئية و لظروف اجتماعية معينة ، فمن الممكن أن يكشف عنه بالقياس بطريق غير مباشر . وفى حالة القياس الحالى ، عن طريق اختيار هذا الشخص لحكم من الأحكام الأربعة التى تلى كل قصة و تعرض حلا معيناً للمشكلة التى تتناولها ، هذا مع اعترافنا ضمناً بما فى القياس من عيوب ، تعانى منها جميع القياسات المختلفة التى يدخل فى تقدير أحكامها العنصر الذاتى .

أما الصفة المزاجية ، وهى التى ترتبط بانفعالية الفرد ، و تطبع مظاهر استجاباته وأساليب نشاطه الانفعالى ، فمن الممكن ملاحظتها فى سلوك الفرد أثناء تطبيق القياس . مثلا — مامدى استعداد الفرد للتفاعل مع الموقف الجديد ؟ ما مدى تركيز انتباهه فى موضوع القصة؟

نستطيع بهذا أن نحدد ميل الشخص نحو الاختبار ونوع اتجاهه ، وذلك بفضل الملاحظات التى يدونها المطبق للقياس أثناء التطبيق أو بعده مباشرة . من أجل هذا ، لابد من أن تكون العلاقة بين الباحث والممتحن وثيقة الصلة حتى يمكن

---

(١) علم النفس التربوى — أحمد ذكى صالح — ص ٣٠٦ — ٣٠٨

دراسة لبعض مواقف السيدات !!

المنتفعة بسيمة عطية

السن ٢٢ سنة من شبرا اليمن

تصف الباحثة « فيولا زكى » استجابة هذه المنتفعة فتقول : « لقد امتازت بقدرة على فهم القصص ، و بسرعة البديهة ، كما تأثرت بأحداث القصة ، فأحست بها وانفعلت بها ، كذلك استطاعت أن تضع نفسها مكان الشخص القائم بالدور الرئيسى فيها حينا ، وموضع الحكم حينا آخر ، كما كانت كثيرة التمثيل للقصة بقصة أخرى ، كما حدثت فى بلدتها قبل أن تغادرها ... لكم استمتعت بالتجربة لدرجة أنها صاحت قائلة بعد الانتهاء من الاختبار : « ياخسارة ! . . . أنا عايزة كمان ... لأننى مبسوطة من القصص ! ! » كذلك رسمت لنا صورة للصفات المميزة لبسيمة فقالت :

« لقد كانت بسيمة وطنية متحمسة ، متفائلة بكل شىء ، تحس بوجودها ، معتزة بشخصيتها، واثقة من نفسها ، معتزة بمقدرتها ... لقد استطعت أن أدرسها عن كثب بعد توثيق صلاتى بها . فرأيت مدى نجاحها فى إدارة بيتها ، ومدى امتيازها على غيرها بأفكارها المتقدمة ، وكيف كانت لاتقوم بعمل من الأعمال مالم تكن مقتنعة بضرورة القيام به .

هكذا لم تجد الباحثة صعوبة مع « بسيمة » ولم يتسرب إليها ملل بل تمنت كما تقول أن أحكى لها مزيدا من الحكايات وأن أقوم ببحث آخر معها !! » . فإذا ماحللنا إجابات بسيمة لنرى إلى أى حد يتفق الرأى الشخصى للباحثة مع النتائج الموضوعية ، نجد أنها تحترم القانون الوضعى إلى حد كبير . نستنتج هذا من تفضيلها

إبلاغ الشرطة عن القتل الخطأ ؛ كما نراه فى تأييد الحكومة فى استيلائها على أملاك أسرة الملك السابق ، كما نلمحه فى إشارتها باستشارة العمدة فى أمر الغريب الذى حل ببلدهم حتى يستقصى أخباره و يعرف أصله وفصله . . وفى تفضيلها رد الأمانات إلى أهلها . . كما نراها تستنكر بشدة ضرب الأعيرة النارية وما يشبهها !! وهى أيضا تمتاز بطابع إنسانى فى أحكامها إذ تقترح أن يمنح السارق فرصة يتمكن فيها من أن يصلح من شأنه وأفعاله وعاداته عن طريق العمل الشريف . . كما تفضل تكوين جمعية تعاونية للتخلص من استغلال المرابى . ومما يدل على أنها تمتاز بعاطفة وطنية قوية نراها تفضل للابن أن ينخرط فى سلك الخدمة العسكرية . . كما تؤيد سوريا فى حقها فى الدفاع عن نفسها .

وتتجلى روحها التقدمية فى نصيحتها لزنوبة بعرض نفسها على الدكتور ليتولى علاجها حتى بعد أن أعياها التعب من كثرة ترددها على العيادات . وتفضيلها زواج بهية بالرجل الفقير بدلا من ابن العم الغنى المطعون على أخلاقه . . هذا إلى جانب شعورها الدينى المسيطر على أفكار الجماعة . . إذ تؤيد الشيخ فى بناء الجامع بدلا من إنشاء الجمعية التعاونية .

المنتفعة عزيزة حسن الجمل !!

السن ١٩ عاما

من بلدة سند بسط

وتصور لنا الباحثة نفسها ، نمطا آخر من المنتفعات ، يكاد يكون على النقيض من النمط السابق .

صفات عزيزة المميزة

« إن عزيزة من النوع الانطوائى ، ذلك النوع الذى لا يكاد يرى إلا فى عقر داره . . . تتخذ من جدرانه أسوارا تقيها فضول المجتمع . وترهب الإقدام على أى شىء جديد وتتردد فى الإقبال على تعلمه . . قليلة الخبرة والتجربة اللهم إلا فيما يتعلق بحاجاتها اليومية فهى تقوم بواجباتها كأية أم أخرى تدرك مسئولياتها تجاه زوجها وأولادها ومنزلها . فكيف تفاعلت عزيزة مع الموقف الجديد الذى أتاحه لها الاختبار ؟ تقول الباحثة :

« لقد أخذت تنتحل شتى الأعذار للتخلص من موقف تخشاه ، فهى آنا تعتذر بمسئوليتها وآناً بإحساسها بصداع وتارة بمرض ولدها . فإذا ما قامت الممتحنة بملاطفتها وتهدئتها ، همست عزيزة لها بمخاوفها . . . وتساءلت إذا كان من الممكن أن تعفى من هذا الموقف ! .. فإذا ما أكدت لها الباحثة أن هذا الاختبار لن يترتب عليه ضرر ما ، أسرت لها بآمالها فى النجاح فى هذا الامتحان !! .

لا شك فى أن من الأسباب التى أدت إلى وقوفها موقف المتردد الخائف لا يرجع إلى إتجاهات عزيزة فقط ولكنه يرجع أيضا إلى الشائعات وتأثيرها فى تحويل

إتجاهات الجماعه لاسيما إذا امتازوا بالبساطة كهؤلاء القوم . كما تهامست جارات عزيزة بمخاوفهن من صعوبة الاختيار ، الأمر الذى أدى إلى ازدياد إحساس عزيزة بالرهبة من الموقف ، ومن ثم كان انكماشها خشية اتهامها بالغباء ! .. أليس الستر فى منزلها أفضل لها من الفضيحة ؟ .

وهكذا نرى أن سلطان المجتمع يؤثر على سلوك الفرد فيبعث فى نفسه الرهبة . وفى ظروف كثيرة يشيع فيه الخوف بدلا من الاطمئنان حتى يصبح الفرد قليل الثقة فى نفسه لقلة ثقته بالمجتمع .

فإذا ما حللنا إجاباتها نجد اختلافا كبيراً بينها و بين إجابات المنتفعة بسيمة ، و إن دلت على أنها أكثر ميلا للمسالمة . فهى ترى مثلا ضرورة قيام سوربا بشكوى اليهود للدول المسالمة قبل اندلاع الحرب . . كذلك ترى أن الطريق القانونى أسلم طريق لحل المشكلات . معنى هذا أن ما كان يؤثر على موقف عزيزة ليس العجز عن الإجابة بقدر ما كانت رهبة الامتحان والخوف من نتائجه !

وكأنى بالايام القليلة التى أمضاها الفريق فى القرية ، وما مر عليهم من تغيير فى نظام حياتهم اليومية ، واشتراكهم فى نشاط غير مألوف لديهم ، وإحساسهم بجو غريب عليهم ، خلق فى أنفسهم صراعا بين القديم والجديد ، بين ما أخذوا أنفسهم به منذ زمن طويل ، وما شاهدوه من تغير كبير وانتقال مفاجىء . . ولشدة رغبتهم فى أن يحوزوا الرضا و يتم اختبارهم لتوزيعهم على القرى السكنية ، خشوا أن تكون لسلسلة الاختبارات المعطاة لهم شأن كبير فى تقرير مصيرهم ومن أجل هذا ازدادوا شعورا برهبة الامتحان على الرغم من محاولة الباحثات عقد أواصر الصداقة بينهم وعلى الرغم من تبسطهم معهم .

وكانت هذه الظاهرة أوضح فى السيدات منها فى الرجال . وهذا أمر بدهى ، لأن المرأة الريفية أكثر محافظة ورجعية من الرجل ، كما أن خبراتها وتجاربها أقل من خبرات الرجل وتجاربه ، بدليل أن عزيزة لم تنفرد على الإطلاق بهذا الموقف .

نجاة الدسوقى

السن : ١٩ سنة من قرية ششتا

ونرى المنتفعة نجاة الدسوقى ، على الرغم من توثيق الممتحنة لصلتها بها من قبل ، قد ظلت تخشى الإجابة وتقول : « موش فاهمه . . ولن أفهم ! ! . . » وكلما قرأت الباحثة القصة عليها وأفهمتها أن المطلوب منها هو الاستماع إليها والإدلاء برأيها فى الأحكام أبدت أسفها على أنها لاتعرف القراءة والكتابة حتى يمكنها الإجابة . أرأيت إذاً كيف تتأثر الإجابات فى مثل هذه القياسات بعوامل كثيرة ذاتية وخارجية ؟ ؟

نجاة محمد الجمال : السن ٢١ عاما

نمط آخر من السلوك تقدمه إحدى الباحثات فى صورة « نجاة محمد الجمال » البالغة من العمل ٢١ عاما ولديها من الأطفال ثلاثة ، صناعتها الخياطة قبل أن تفد على القرية ، وزوجها فلاح فى الثلاثين من عمره . يتمثل فيها نفس الطابع الذى يتأرجح بين القديم والجديد . . كما تمثل الطابع المسالم الذى يدل على شعور بالمشاركة الوجدانية ، فهى تفكر مثلا فى صرف العشرين جنيه على المساكين ، كما تقترح العفو عن السارق لأنه شعر بالجوع ، وترك الأطفال يلعبون دون تدخل الكبار .

كذلك يتمثل فيها الفرد المحترم للقانون الذى يرى الاتصال بالحكومة لتضع الأمور فى نصابها إذا حدث فيها اختلال ما .

كما تمتاز بروح تعاونية ، مثال ذلك رغبتها فى تكوين جمعية تعاونية لإنقاذ أهل البلد من المرابى .

وفى الوقت الذى تدل إجابتها على نضج التفكير الاجتماعى فهى بعيدة عن الأفكار السياسية الجارية ، ويفسر فى ضوء البيئة التى نشأت فيها وربما كان لمهنتها دخل فى هذا النضج الاجتماعى لاتصالها بالناس عن طريق حياكة الملابس .

كما أن للباحثة فيها رأى خاص ، فلقد وصفتها بأنها فريسة للصراع بين القديم والجديد على الرغم من امتيازها بالذكاء وقوة الشخصية وحب الاستطلاع .

من ذلك رغبتها فى أن تعرف الشىء الكثير عن الباحثة وعن شخصيتها ويستدل من رغبتها فى أن تعرف المشكلة التى تعرضها القصة دون التقيد بالأحكام الأربعة ، مما يدل على استقلال الشخصية .

وفيما يلى لقطات خاطفة لأنماط أخرى من السلوك ، راق لبعض الباحثات أن يصورنها لما تضمنته من طرائف شائقة .

فلم تكن « فاطمة محمد عساكر » مثلا تشعر بخوف أو رهبة ، بل كانت نافذة الصبر ، وهى تتطلع إلى نهاية الاختبار مرددة قولها : « موش كفاية بقى ؟ » . ونرى رغبتها فى التملك واضحة ، إذ كانت إجابتها على القصة الثانية : إنه من الأحسن أن تشترى جاموسة بالعشرين جنيه ، وتكون شركة بين الرجلين المذكورين فى القصة ، كذلك ، لوحظ من إجابتها أنها شديدة الاعتماد على الله ، وتقول : « كل حاجة يجيبها ربنا كويسه . . وسيبها على الله » كما فى القصة العاشرة . وفى نفس الوقت يظهر الصراع بين الاتجاهات القديمة والحديثة ، فهى تشير بإرسال الابن للدكتور للعلاج . . فكيف توفق بين ترك عوضها على الله . . وبلا دكتور ولا بتاع . . الشافى هو ربنا ! !

كيف نوفق بين الأوضاع القديمة ، وبين الأوضاع الجديدة ؟

وكيف تنصح لسوريا بوجوب الدفاع عن نفسها و بعمل جمعية تعاونية للتخلص من المرابى الأولى تعتش جوانب من تفكيرنا ، مطبوعة بالتقاليد والعادات الموروثة والثانية تقوم على التفكير الحديث وليد التقدم الحضارى .

كما نرى (وجيدة عبدالغفار النجار) التى تصفها الباحثة بأنها ذات شخصية قوية ، وأنها لم تجد معها صعوبات لافى المناقشة ، أو الشرح ، أو فى اختيار الأحكام بل كانت تجيب إجابات سديدة بسرعة ملحوظة ، ولم تحتج أن تعيد عليها لا القصة ولا الأحكام كما يحدث عادة مع غيرها . وهذه المنتفعة ابنة الربيع العشرين كان يحلو لها أن تعلق تعليقات طريفـــة على القصص والأحكام ، وأحيانا تتقمص شخصياتها ، وتقول مثلا : » يا حرام ! . لأ . . ما كانش يصح يعمل كده !! الخ . من استنكار أو تأييد واستحسان .

الخلاصة :

من الممكن تصوير انفعالات المنتفعات بالقصص ، تتراوح بين السرور والانقباض والرضاء والسخط ، بين الوهم ، وعدم الثقة والعزلة والخوف ، والاطمئنان والنفور ، كما يمكن أن نصور إدراكهن للقصة بين سرعة فهم و بطء فيه ، و بين التوسط فى الإدراك وفوق المتوسـط . أى بين الذكاء والفطنة والغباء والبلادة . وكان للمجتمع أثره الواضح فى تكييف هذه الشخصيات التى رسمت صورها فى أطواء إجاباتها .

دراسة لبعض مواقف الرجال

المنتفع عبد الباسط عيد عطية ٢٨ عاماً زوج بسيمة عبد الباسط

كان على العكس من زوجته ، فلم يرحب بالتجربة الجديدة ، كما عارض توجيه الأسئلة حتى من قبل أن يستمع إلى أولها . ولعله كان متأثراً بالاستفتاء الذى طبق عليهم [1] من قبل ، ذلك لأنه عند ما يستمع إلى القصص لم يلبث حتى أعجب بها ، لأنه وجد أنها من واقع الحياة . وكثيراً ما حدث فى قريته مثلها . لهذا كان يحلو له أن يقص عليها كيف كانوا يتصرفون حيال أمثال هذه المشكلات . كما كان يبدى انتقاده لبعض هذه القصص ويقترح تعديلا لها . وكانت السعادة تبدو عليه وهو يختار حكما وإن كانت هوايته أن يستمع إلى الأحكام أكثر من مرة على الرغم من معرفته للحكم الصحيح منذ البداية .

فإذا ما حللنا إجابته نراه رجلا يميل إلى التعاون ، إذ يقترح إصلاح أمر إسماعيل الذى أدمن الخمر وإطفاء النار قبل أن يستشرى أوارها ، والتفاهم مع رمضان على تقسيم المياه . كما يميل إلى استخدام من أخنى عليه الدهر فى العمل بالحقل لمعاونته على الحياة . كما نرى فيه طابع الأمانة إذ يرفض الرشوة التى يقدمها الغنى لشراء أصوات الناخبين ، وينصح الجزار بعدم ذبح بهيمته المريضة ، وترك عوضه على الله حتى لا يتسبب فى تعريض أهل القرية للمرض ، وهو يفهم الدين فهماً فيه وعى وإدراك لروحه ، فنراه يفضل للشيخ مدبولى أن يولى أولاده وأسرته عنايته ويؤثرها على قيامه بأداء فريضة الحج . كذلك نراه يرى أن يترك أمر بناء المسجد للظروف المواتية بدلا من الاستعانة على بنائه عن طريق سرقة بعض الأهالى . وإن تعاونه مع الحكومة أمر ملحوظ فى تفضيله مساعدة الأولاد لأبيهم بعد خروجهم من المدرسة ، وفى استغاثة مبروكة بالعمدة لتضع الأمور فى نصابها . كذلك نراه فى صراع بين القديم والجديد ، فى الوقت الذى ينصح خديجة بالتوجه للعلاج بالمستشفى بدلا من الزار ، ويفضل العريس الغنى ، لأنه يرى فى المال سعادة الفتاة .

(١) أعده الدكتور أحمد زكى صالح وعطية هنا وصيغ فى شكل أسئلة بطاقة قياس التغير الاجتماعى - مؤسسة مديرية التحرير مراقبة الشئون الاجتماعية — هيئة الخبراء النفسيين .

المنتفع السيد عامر الجمل

سن ٢٧ عاما

زوج السيدة عزيزة حسن الجمل

نرى أوجه الشبه بينهما متقاربة فى عدم الترحيب بالمواقف الجديدة ، وفى معارضته للاجابة على ما تلقيه عليه الباحثة من أسئلة ، وانصبت هذه المعارضة على صعوبة الاستفتاء الأول .

وقال إذا كانت مثل الأسئلة الأولى فأنا موش عايز لأنها صعبة خالص . غير أنه يمثل الرجل الريفى الذى يخجل من رد فتاة ردا غير مهذب ، فأقبل عليها مجاملا، بيد أنه لم يلبث مثل غيره من المنتفعين ، بعد أن اندمج فى جو القصص ، أن أعرب عن سروره ورضائه وإن احتاج فى الواقع إلى إعادة القصة والأحكام مما يدل على شدة حرصه على التأكد وبطئه فى الفهم .

وإذا حللنا إجاباته نرى أنه يمتاز فى بعضها عن المنتفع السابق ونراه متخلفا فى بعضها فمثلا هو يفضل شخصية العريس على المال ، كما يفضل عرض البهيمة المريضة على الطبيب البيطرى، ويقل عنه فى أنه يقترح التبرعات والصدقة كحل لمشكلة الفتى الذى أخنى عليه الدهر وحرمان ولد من الدراسة والاكتفاء بإرسال أخويه . كذلك هو يعتمد على الحكومة فى بناء الجامع ، وترك اللص دون التفكير فيما يترتب على ذلك . وهذا بالطبع يعتبر من الناحية الاجتماعية موقفا سلبياً . غير أنه يتفق فى الإجابات الأخرى مع سابقه مما يدل على روح التعاون لخدمة الجماعة كالمعاونة فى إطفاء الحريق ورفض الرشوة والتفاهم على قسمة المياه .

المنتفع عبدالرؤوف عبدالحليم

٢٧ سنة

زوج المنتفعة نجاة الدسوقى

على العكس من زوجته ومن المنتفع السابق نراه يقبل على الإجابة بصدر رحب ويناقش الأحكام ويدلى برأيه بسرعة .

ولقد وصفته الباحثة بأنه يمتاز بالذكاء بدليل أنه كان لا يحتاج إلى إعادة التلاوة مرة أخرى ، ولم يستغرق البحث معه سوى وقت قصير . كما أثارت أحداث القصص حب الاستطلاع والتساؤل من ذلك مثلا عندما تليت القصة العاشرة وهى التى تتناول حادثة سرقة المياه ، نراه يتساءل من أين كان مصدر المياه ؟ أكان بالساقية أم بالماكينة ؟ وكان تعليقه العام أحسن كده ! ! ، القصص دى حلوه . . موش زى التانى !! .. أناما كنتش مبسوط منه .. ولكن ده حلو . وأردف قائلا . مفيش قصص ثانيه ؟

وتعلق الباحثة على موقفه الإيجابى من القياس بقولها : إنه كان مسليا بالنسبة لها كما كان بالنسبة له .

وكانت إجابته تدل أيضاً على نضج اجتماعى، ينم على روح تعاونية كما ينم عن وعى صحيح ويتسم بالطابع العملى ، وإن دل فى بعض الحالات على التواكل فتراه مثلا ينصح بترك اللص . ويقترح الاعتماد على الحكومة فى أمر بناء المسجد ؛ كما أنه لا يقترح حلا لمشكلة الولد سوى نصح نجية بعدم الشفقة عليه فى حين أن الآخرين قد نصحوا بتسليمه للحكومة .

ونحن نقتصر هنا على هذا التحليل لأنه يشترك فى بقية الإجابات مع المنتفعين السابقين .

المنتفع محي أحمد حجازى

السن ٣٠ عاما

زوج الست نجاة محمد الجمال من كفر العرب

يتفق مع زوجته فى وصفه بالذكاء وقوة الشخصية وحب الاستطلاع وسرعة إجابته حتى أنه لم يستغرق سوى سبع دقائق فى عمل القياس . وهـذا أقل وقت استغرقه منتفع أو منتفعة .

ومن تحليل إجابته نراها تكاد تكون إجابة مثالية إذ أنها تتفق ورأى معظم المحكمين . فشخصية العريس عنده أهم من المهر . والطبيب البيطرى أحسن علاج لمشكلة البهيمة المريضة ، إلى إعطاء فرصة للأخوة الثلاثة للتعليم ؛ غير أنه يمتاز بمشاركة نجية مشاركة وجدانية إذ يتفق معها فى الشفقة على الولد .

وهو فى الواقع أب لولدين وابنة أى أنه رب أسرة كبيرة . من هذا نرى أنه قد تأثر بجو الأسرة و بشخصية زوجته التى تعاونه عن طريق حياكة الملابس .

وروح التفاهم والتعاون الواضحة بين الزوجين نستدل عليهـا من حرصه الشديد على نصح مدبولى بالالتفات لأسرته وتربية أولاده بدلا من التفكير فى الحج . غير أنه ليست هناك إجابة تعتبر كامله من جميع الوجوه فنراه قد أخطأ فى نزوعه إلى التواكل فيم يتعلق بمشكلة اللص وفى ترك بناء المسجد للظروف .

المنتفع عبد الخير احمد بلال

السن ٢٨ سنة — من دماص وزوج فاطمة محمد عساكر
كان مساعد سواق ، ولهما ابنة وابن

وصفته الباحثة بأنه « لمض » إذ لا يكتفى باختيار حكم من الأحكام . بل يحاول التدليل على صحة إجابته بالبراهين كما يستعين بالآيات والأحاديث والحكم والأمثال لتأييد وجهة نظره مهما كانت .

ونجمل تحليل إجاباته فى أنه لا يختلف عن الرجل السوى فى مجموعها وإن شذ فى عدم الأمانة وذلك فيما يتصل بمسألة الانتخابات إذ يبدو أنه يريد أن يقوم بدور ابن البلد الفهلوى فلا يرى بأساً من الضحك على شعبان فيأخذ نقوده ولا ينتخبه ، مع أنه يمتاز على الكثيرين من السابقين بأنه يشير إلى إصلاح أمر اسماعيل مدمن الخمر ومحاولة إصلاح اللص وذلك بنصحه بنفوذ شيخ المسجد الدينى كما تتفق هذه الإجابة مع المعاونة على إطفاء الحريق والتفاهم على قسمة المياه .

ولقد رأينا كذلك ، من تحليل ملاحظات الباحثات أنه كان لمعرفة القراءة والكتابة أثر فى سرعة الاستجابة والتفاعل مع مايتطلبه هذا الموقف الجديد من انتباه وسرعة خاطر ، هذا ما قررته إحدى الباحثات بأن المنتفع أحمد أبو الغيط وكان يجيد القراءة والكتابة ، ويمتاز برجاحة العقل وسرعة الفهم ودقة الإجابة .

ومن الطريف أن نشير إلى أن هذا الرجل امتاز على سابقيه بنصحه للفتى الذى أخفى عليه الدهر بأن يرحل لمنطقة أخرى الأمر الذى يدل على تطور فى نظرته لمسقط الرأس والالتصاق بها . ونلمح تناقضا واضحا يبين أيضا أنه موضوع صراع بين القديم والجديد ، وليس أدل على ذلك من نصحه للسيدة بأن تنذر النذور بدلا من

الأخذ بوسائل العلاج الحديثة . هذا بينما نراه ينصح بوجوب عرض البهيمة المريضة على الطبيب البيطرى .

كما ينصح — وهو القارىء الكاتب — بحرمان أحد الأبناء الثلاثة من تلقى نصيبه من الدراسة ليعاون والده فى الحقل !

كما كان لاشتغال المنتفع بالخدمة العسكرية أثر فى وصفه من الباحثة بأن أفكاره متقدمة . فهذا المنتفع عزب إمام السويسى الذى أمضى ست سنوات فى خدمة الجيش قد امتاز عن غيره بسرعة الفهم الأمر الذى جنب الباحثة الكثير من العناء .

ومما هو جدير بالذكر أن الزوجين كثيراً ما استمع كل منهما إلى إجابة الآخر على « صورته » وكانت الباحثة تطلب إلى الزوج ألا يتدخل فى إجابة زوجته فيحترم رأيها. وكانت زوجته عندما تنظر اليه مستعينة به كان يقول لها : « ميزى إنت !! » وثم زوج آخر يجيب زوجته عندما سألت عن فائدة هذه القصص ! دى علشان اختبار ذكاء .

يدل هذا بوضوح على احترام بعض المنتفعين لشخصيات زوجاتهم وعلى موافقتهم لأخذ مكانهن فى المجتمع الجديد .

هذا على العكس من منتفع آخر تصفه باحثة بقولها : إنه كان ناقما على الحياة متبرما بها كثير الشكوى عبوساً لا يرضيه شىء ولا يثق فى المشرفات الاجتماعيات ولا فى نفسه كما لا يعترف بالحق .

يعتبر هذا الشخص بداهة غير مستعد للتكيف بالأوضاع الجديدة . ذلك لأنه فيما يبدو من تصرفاته أنه يضيق ذرعا بتدخل المشرفات وغيرهن فيما يعتقد أنه من شئونه الخاصة مما يعطينا صورة عن أنه ليس من السهل أن يتخلى عن تقاليده الموروثة وعاداته القديمة .

أضواء على حاضر الفلاح

قد لا يكتفى المصلح الاجتماعى والموجه التربوى بتحديد معالم الإطار الذى يعيش فيه أفراد مجتمع ما ، ولا بوصف مشكلاته والعقبات التى تواجهه فى حياته ، بل يحاول رسم الخطوط التى تحدد مستقبل تطوره ؛ وبهذا يتسنى له أن يربط بين ماضيه ومستقبله ، لأن الصلة بين هذه الأزمنة الثلاثة قوية ولا ينبغى بحال أن تفصم عراها [1] .

من أجل هذا رأينا من المفيد أن نرسم صورة للفلاح المصرى العربى فى ماضيه وحاضره (أنظر الفصل الثانى) ؛ حاولنا بها أن نحدد مقومات شخصيته و نرجعها فى أصولها إلى جذور تاريخية عميقة و إلى بيئة جغرافية فرضتا عليه نظاما خاصا يسير على نمطه ، وطريقة معينة توجه عملية تكيفه الاجتماعى ، كما تحدد نوع التربيه الاجتماعية التى يؤخذ بها الناشىء منذ صغره حتى يصبح عضوا عاملا فى مجتمع الأسرة والمجتمع الكبير ، فعن طريق ما يسمى بالتفاعل الإجتماعى [2] — أى عن طريق العلاقات التى تحدث بين الفرد والجماعة ويتغير بمقتضاها سلوكهم يكتسب الأطفال ما سماه بعضهم بثقافة المجموعة ، أى يكتسب طريقة الحياة الكلية للمجتمع تلك التى تتضمن أسلوب حياته اليومية من تناول الطعام إلى ارتداء الملابس إلى استعمال اللغة إلى طريقة الزواج [3] .

---

(١) المدينة الفاضلة : تأليف كارل بيكر — ترجمة وتقديم : الأستاذ محمد شفيق غربال مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الثانية . يونية ١٩٥٨ ص ٢٠١ .

(٢) التربية والمجتمع : تأليف ا . ك أوتاواى ترجمة دكتور وهيب سمعان وآخرين مكتبة الانجلو المصرية : مابو سنة ١٩٦٠ ص ٨٨ — ص ١٢٤

(٣) المرجع السابق — الفصل الثانى ص ٢٩ — ص ٥٩ .

كما حاولنا فى الفصل الثالث رسم صورة واضحة المعالم للحياة التى يحياها الفلاح فى مرحلة الانتقال أى بعد أن نزح من بلده الأصلى إلى مكان مهيأ ليبدأ فيه حياة جديدة تسير عل خطة مرسومة . ولقد تتبعنا حياته هذه فى كل من المنزل والعمل وفى أوجه نشاطه الترفيهى ؛ وحاولنا تصوير آماله وأحلامه كما أشرنا إلى المدى الذى تؤثر فيه صفاته الريفية الصميمة على سلوكه الاجتماعى فى هذه البيئة الجديدة . ومن الواضح أن مثل هذه الدراسة أى دراسة سلوك أفراد الجماعة تهم المربى كما تهم المصلح الاجتماعى الذى يريد أن يحدد معالم تطور هذه الجماعة فى المستقبل القريب أو البعيد .

و بطريقة القياس الموضوعى أوضحنا كيف أن هؤلاء القادمين الجدد من مجتمع يوصف بأنه غير معقد ، يمثلون شخصيات متباينة الأمزجة والطباع ، فمنهم المسالم ومنهم الثائر ومنهم الكريم ومنهم البخيل ومنهم الأنانى ومنهم المؤثر على نفسه مما يشير إلى تعدد إمكانيات هؤلاء الأفراد ، وإلى تنوع قدراتهم الأمر الذى يتيح للمصلح الاجتماعى والموجه التربوى فرصة إيجاد مجال للفروق الفردية لكى تنمو وتبرز متى وجهت توجيها سليما يحقق للفرد سعادته وللجماعة تماسكها ووحدتها .

معنى هذا ، أن أولئك المنتفعين الذين جاءوا من كل حدب وصوب من جهات الوجه البحرى ، ليسوا مجرد بضعة نفر اجتمعوا بصفة مؤقتة لفترة من الزمن فى مكان من الأمكنة شأنهم فى ذلك شأن قوافل الرحل الذين ربطت بينهم وحدة الطريق .

ولكنهم بمثابة مجتمع له صفة الاستقرار والاستمرار ، تلك الصفات التى تعتبر من أهم خصائص الدولة[1] ، وهى التى تربط أفراده بروابط مادية ومعنوية قوية ،

---

(١) أحمد سويلم العمرى — المرجع السابق ص ٤٠ .

والتى تشير أيضاً إلى أن هؤلاء الأفراد وعوا الطريق الذى يسير فيه مجتمعهم كما أدركوا حقوقهم وواجباتهم فيه كمواطنين[٢] .

وكما يتعذر الفصل بين المجتمعين : القديم والجديد ، فإنه توجد شبه استحالة تصور الفرد بمعزل عن المجتمع أى — أنه لابد من التفاعل بين الفرد من حيث هو قوة اجتماعية فعالة ، و بين المجتمع من حيث هو مجموعة متكاملة من القوى والعناصر ، يتفاعل فى مجال يشملها جميعاً ، وداخل إطار محدد المعالم .

وضح هذا كله ، من تحليلنا لإجابات المنتفعين على قياس التكيف الاجتماعى ، كما استطعنا عن طريق هذا التحليل أن نبرز حقيقة أخرى هى أن هناك صعوبة فى إدراكنا للصفات المجردة التى يمكن أن نصف بها أفراد مجتمع من المجتمعات ، كالصبر والمثابرة والتعاون والتجرد من الحقد والإيمان بالنفس وتحمل المسئولية . مالم تترجم هذه المعانى وتتجسم فى شكل علاقات إنسانية تلك التى يجب أن تربط أفراد المجتمع الواحد حتى يمكن وصفه «بالانسجام والمرونة» و بأنه مجتمع «ديناميكى[٣]» .

كذلك أبرزنا ما للعوامل المختلفة من أهمية فى حياة الفرد والجماعة : فالبيئة الفرد الاجتماعية ممثلة فى أسرته وفى شارعه الذى يضمه وفى قريته التى يسكنها وفى تقاليده التى يخضع لهـا وفى عاداته التى درب على الأخذ بها ، وما لشخصيته وما يعتلج فى نفسه من انفعالات وما يدور فى ذهنه من أفكار أثر كبير فى توجيه عملية تكيفه وتطوره الاجتماعى . بالمثل نرى أن للبيئة الطبيعية التى تتحكم فى حياته المادية دخلا كبيرا فى توجيه سلوك الفرد والجماعة ، فهى التى تسد الكثير من حاجاته الأساسية و بالتالى يتوقف عليها مستوى معيشته الاقتصادى ومن ثم رقى مستواه الأدبى . كما قد

(١ المرجع السابق — ص ١٨٢ . ص ١٩٤ .

وضح من تحليلينا لقياس التكيف الاجتماعى أن نجاح الفرد فى التغلب على مايصادفه من مشكلات — وقد صيغت له شكل قصص تتضمن مواقف مختلفة من حياة الأفراد والجماعات فى الريف — أنه غير مرتبط بالدراسة النظرية بقدر ما هو متوقف على الخبرة والتجربة المباشرة التى هى أساس عملية التعلم . وإلا ليس من شك فى أن استجابة المنتفعين للمواقف التى عالجها القياس لم تكن وليدة دراسة نظرية بل هى من واقع حياتهم .

معنى ماتقدم هو أنه من الممكن اعتبار التجربة التى تقوم الآن فى « مديرية التحرير » محاولة عملية لتحقيق حلم المصلح الاجتماعى الذى يرمى إلى تطبيق نظام معين فى الريف العربى ، لاسيما إذا ماتذكرنا أن الأفراد المعمرين لهذه البيئة الجديدة قد اختيروا من بين القوم المعدمين من صميم هذا الريف ، فهم والحالة هذه يعتبرون انموذجا أو عينة تمثل الفلاح العادى ساكن الريف ، كما أن النظام الذى وضع ليسير عليه هؤلاء فى حياتهم اليومية مستمد من مبادىء المجتمع الجديد .

أهداف المجتمع الجديد

وبما أنه ليس بكاف أن نربى للاعداد للمجتمع الحالى ، بل ينبغى أن نسأل عن مصير مستقبله وأن نوجه طاقاتنا لتحقيق مانرمى إليه من أهداف وجب علينا أن نتناول هذه الأهداف والمبادىء التى أسست عليها منذ قيام النظام الجديد الذى أعلنته الثورة فى يوليو سنة ١٩٥٢ . هذا النظام الذى يمكن إجماله فى الدعوة إلى مجتمع ديموقراطى اشتراكى تعاونى . ولقد سعى المشرفون على تنفيذ تجربة « مديرية التحرير » على تحقيقه وحرصوا على وضعه داخل إطار عربى مستمد من تراثنا الجغرافى والاجتماعى والتاريخى ؛ وهو يتضمن المبادىء التالية :

أولا — وجود أهداف مشتركة يسعى الأفراد والجماعات لتحقيقها ، إذ لاشك

أن مايقع عليه اختيارنا من أهداف سيؤثر على من نعدهم ليكونوا مواطنين صالحين فى مجتمع من المجتمعات . فإذا اتفقنا على أن هدفنا المنشود هو تحقيق مجتمع يتوفر فيه النظام الديموقراطى الاشتراكى التعاونى ، فلا بد من أن نتساءل عن العناصر التى يتضمنها مثل هذا الهدف والعقبات التى يمكن أن تعترضه .

ويمكن إجمال هذه العناصر فى المبدء الديمقراطى الذى يرمى إلى تنظيم العلاقات بين الأفراد طبقا لقرارات تتفق عليها الجماعة ،و طبقا لمبادىء احترام حقوق الإنسان المستقاة من القانون الطبيعى ، واحترام الملكية الفردية باعتبارها حق مقدس لا يمس[1] . كذلك يتضمن هذا المبدأ تطبيق مبدأ الزعامة والتبعية تطبيقا سليما ، أى تمكين كل فرد من أفراد المجتمع من أن يلبس لكل حالة لبوسها فيصبح فى موقف من المواقف زعيما وفى موقف آخر تابعاً وذلك حسب كفاءته ومقدرته ؛ ويتطلب هذا المبدء أيضاً احترام حرية الرأى وعدم محاولة التسلط على أفكار الناس أو التدخل فى شئونهم الخاصة .

وهكذا يمكن تربية قادة الشعب من بين أبناء القرى والمدن وهم الذين تقوم عليهم القاعدة الشعبية للاتحاد القومى ، وقد أثبتت الدراسات الموضوعية التى عرضت لهذا الميدان أن الزعيم المتسلط[2] يبعث ألوانا من الاستجابات المختلفه التى كثيرا ما تحول دون اتمام عملية التكيف الاجتماعى بنجاح

ثانيا — يتضمن هذا النظام أيضاً تحقيق مبدأ الاشتراكية الذى ينضوى

---

(١) أحمد سليم العمرى ص ١٠٠ .

(2) Lippitt R., An Experimental Study of Authoritarian and Democratic Group Atmospheres, 1948.
H. H. Andreson, Helen M. Brewer, Monographs of the American Psychological Society, No 6, 194, and Nos. 3 and 11, 1946 Stanford University Press.

على مبدء العـــدالة الاجتماعية والاستقرار الاجتماعى ، ولن يتحقق هـــذا الاستقرار مالم تشبع حاجات الفرد الأساسية ، وذلك عن طريق استغلال موارد ثروة البلاد فى نواحى الإنتاج المختلفة استغلالا يهيىء للأفراد والجماعات حياة سعيدة و يكفل تحقيق مبدأ تـكافؤ الفرص للجميع

ثالثاً — يعتبر مبدء التعاون شرطا أساسـيا للنهوض بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى لأفراد مجتمع متجانس . كما يتضمن فـكرة أساسية هى القضاء على الوسيط من أجل تحقيق الرخاء[1] والتماسك .

هذا من الناحية المادية ، والتضامن بين الأفراد والجماعات لرفع مستوى المجتمع معنويا وثقافيا .

و إذا كنا نتناول هذه العناصر بإسهاب ، فإنما لنترك لمن يشاء الاستزادة فرصة الرجوع إلى مظانها وفى طليعتها كتاب فلسفة الثورة[2] .

بيد أن من الضرورى أن نشير إلى أنها مبادىء تـكمل بعضها بعضا وتعيش فى إطار واحد بحيث يتعذر فصل واحد منها عن الآخر . فالفرد المتشرب بروح الديمقراطية مثلا لا تتفق صفاته ولا سلوكه الاجتماعى مع فرد يغلب عليه طابع الأنانية الفردية والسعى وراء المصلحة الشخصية و إيثارها على المصلحة العامة و بالتالى يتنافى مع مبدء العدالة الاجتماعية ، كما يتعارض مع مبدء التعاون فى ســـبيل الصالح العام .

كذلك يتضمن وجود هـدف مشترك يسعى الجميع متكاتفين متضامنين

---

(١) المجتمع المصرى . محمد طلعت عيسى . المرجع السابق ص ١٤٤ . ص ١٥٥ .
(٢) جمال عبد الناصر . فلسفة الثورة .

لتحقيقه فى مجتمع واضح المعالم محدد الإطار يعنى بالضرورة تعاون أفراد هذا المجتمع، من أجل تحقيق مبدء الديموقراطية الذى يتيح للفرد فرصا متكافئة مع غيره من الأفراد أى لابد من التوفيق بين الهدفين : الاجتماعى والفردى[١] ، لأن إغفال حاجة من حاجات الفرد الأساسية من شأنه خلق صراع فى نفس الفرد ، الأمر الذى يترتب عليه إصابة المجتمع بظاهرة التخلخل أو عدم التماسك الاجتماعى . أى أن هناك وظيفة مزدوجة للتربية وهى مساعدة الفرد على القيام بوظيفته فى الحياة كفرد وكعضو فى المجمع[٢] .

أى أن ظاهرة التكيف الاجتماعى قلما توصف بالكمال إذ أنها كثيراً ما تنطوى على مظاهر متنافرة كالتنافس والصراع بين الأهداف والغايات والقيم للجماعات والأفراد الذين يعيشون فى مجتمع كبير يضم أفراداً مختلفى المشارب والمذاهب . ولابد للمصلح الاجتماعى والموجه التربوى أن يتنبه للعوامل المسببة لهذا التخلخل الذى يصاب به المجتمع .

بين الوسيلة والغاية :

ومن هذه النقطة علينا أن نبحث موضوعا آخر له اتصال بالأهداف والمستويات التى ينشد المجتمع تحقيقها وهى الصعوبات التى تحول دون تحقيقها لاسيما إذا ما سعينا إلى محاولة تغيير المجتمع تغييراً يشمل الدعائم التى قام عليها كيانه .

ويلاحظ هنا أن التغيير الذى يطرأ على مجتمع من المجتمعات قد يكون منبثقا من الداخل أو قد يكون مفروضاً عليه فرضاً بسبب عوامل خارجية طارئة . الأول

---

(1) Sir Percy Nunn :, Education , Its Data and First Principles Third Edition, London Arnold & Co pp. 9 — 17

(٢) التربية والمجتمع . المرجع السابق ص ٥ .

ينتج عن تطور طبيعى ، لاخطر فيه ولا ضرر منه . أما الثانى ذلك الذى قد يحدث إما نتيجة اقتباس اختراع من المخترعات أواستكشاف استورد من الخارج أوبسبب حروب شنها مجتمع متقدم نوعاً ماضد مجتمع متخلف . ولإيضاح هذا نضرب مثلا : التغير الذى حدث فى العصر الحديث فى مركز المرأة فى المدينة ، ناتج أصلا عن تأثره بعوامل خارجية من أهمها : التغيرات المادية التى نتجت عن الاختراعات الحديثة كتعليب الأطعمة ، وظهور الثلاجات والأدوات الكهربائية ، الأمر الذى أدى إلى استمتاعها بوقت فراغ أكبر و بالتالى تطلعها إلى عالم خارج محيط الأسرة ، فاقتحمت ميادين الأعمال المختلفة وأخذت تنادى بالمساواة بينها و بين الرجل فى الحقوق . ومن هنا أصيبت فى نهضتها بكبوات وخلقت مشكلات تكافح فى سبيل إيجاد حلول لها لا سيما وأن معظم الأسر لا زالت تحيا حياتين : حياة يطبعها طابع تقاليد الأسر المحافظة ، وحياة تساير المطالب الطارئة على المجتمع الجديد الذى يسمح بالاختلاط بين المرأة والرجل فى العمل وفى ميادين النشاط الاجتماعى والسياسى ، فى حين أن مركز المرأة فى الريف ، ذلك المركز الذى لم يتأثر بمثل هذه البواعث الخارجية ، جاء نتيجة تطور طبيعى لمشاركتها الفعلية لزوجها منذ البداية فحملت معه عبء حياة الأسرة وإن اختلف هذا المركز حسب البيئة الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية التى تعيش فيها فهى فى الوجه البحرى مثلا أكثر مشاركة للرجل فى أعماله من الوجه القبلى وهى فى الصعيد الأعلى أقل فى هذا الميدان من الصعيد الأدنى والأوسط .

أى أن المشكلة التى تواجه المصلح الاجتماعى هى مشكلة تتولد عن عدم استطاعة فصل العنصرين المادى والمعنوى عن بعضهما ، ذلك لأن الكثير من التراث الذى يؤثر فى سلوك الفرد وفى عملية تكيفه يمثل آلة أجزاؤها وثيقة الارتباط بعضها ببعض ، فإذا حدث تغيير فى جزء من أجزائها استلزم تغيير الأجزاء الأخرى . وأحيانا يتسرع الكثيرون من أفراد المجتمع باعتناق بعض

المذاهب المستوردة التى لا تتفق مع مبادئه ذات الجذور التاريخية العميقة والتى نشأت فى بيئة تختلف اختلافاً كبيراً فينشأ من ثم صراع بين هذه الرواسب التى تكمن فى جوانب نفسه و بين ما يبهره من زيف هذه المذاهب الوافدة . لا سيما وأنه ليس هناك آراء ثابتة — خاصة فى المجتمعات الديمقراطية فيما يتعلق بالأنماط الصحيحة للسلوك والأخلاق الإنسانية[1] وتزداد الخطورة بالنسبة للبيئة الريفية إذا ما قورنت بالبيئة الحضرية كما تزداد بالنسبة للبيئة المنعزلة كالصحراء أو الجزر أو مناطق البحيرات بالنسبة للبيئة الريفية حيث يقل تأثير العوامل الخارجية و بهذا تقل الفرص لتطويرها لا سيما إذا قاومت عوامل التغيير هذه وأرادت أن تقف موقفاً سلبياً كالمتفرج أو الغافل أو المنتظر الذى لا يريد أن يحرك ساكناً اللهم إلا إذا أجبرته الظروف أو اضطرته على أن ينتهز فرصة من الفرص .

ومن هنا يأتى عبء المصلح الاجتماعى والموجه التربوى ، فإن الفرد الذى يتبنى مثلا أداة من أدوات المدنية الحديثة مثل التليفزيون أو الغسالة الكهربائية لا يعنى بالضرورة أنه قد تغير أو تحول نحو الحضارة التى نقل عنها تلك المخترعات و بالمثل فإن الفرد الذى يعلن اعتناقه لمذهب من المذاهب لا يعنى تغيره فى يوم وليلة أو تحوله نحو الحضارة التى نقل عنها مثل هذا المذهب .

والمجتمع الذى يرتكز على أسس دينية عميقة مثل مجتمعنا العربى يجد نفسه أمام مشكلة تتطلب منه القيام بمحاولة التوفيق بين المبادىء الوافدة . ولا بد من أن يكون بين العلم والدين همزة وصل و يجمل فى هذا الصدد أن تفسر الديانات بما يطابق الاستكشافات والمخترعات ، و بذلك لا يصبح الدين معوقا لسير قافلة التقدم البشرى

---

(1) Karl Mannheim : Diagnosis of our Time, Kegan, Paul 1913 London P. 12

وحتى لا يجد الفرد نفسه فى صراع بين إيمان يقوم على الوجدان و بين واقع يستند إلى الموضوعية والمنطق .

ومعنى هذا أولا أن عملية التغير الحضارى ، تستلزم إلى جانب صفة المرونة وقتاً طويلا حتى تتم بشقيها المادى والمعنوى ، ذلك لأن المظاهر المادية التى كثيراً ما تخدع الباحثين غير المدققين ، تتم بصورة أسرع وأقل عمقاً من الناحية المعنوية التى تستند إلى جـــذوز تاريخية راسخة منذ الأجيال السابقة والى عقائد متأصلة فى النفس ، والتى لا يمكن استبدالها بغيرها فى يوم وليلة وهى التى تعمل فى نفس الفرد كما تعمل فى نفس الجماعة .

الى جانب هذا لا بد من أن نلفت النظر إلى العقبات الـكثيرة التى قد تحول دون نجاح المصلح الاجتماعى فى ادخال عناصر التغيير الاجتماعى المنشود فى مكان من الأمكنة حتى لو كان قد تم له النجاح فى ازالة الحواجز العازلة بين مجتمع متطور — كالمدينة مثلا — وصل الى مرحلة أعلى من تلك التى وصلها مجتمع آخر — كالقرية مثلا — .

هذه هى العقبات ترجع الى عامل من العوامل الآتية :

(١) عندما يهدد التغيير رغبة من الرغبات [1] الأساسية للفرد ، و بهذا يعمل على تهديد شعوره بالأمن .

(٢) عندما يستعصى على الفرد فهم التغيير ودوافعه . كما هو الحال فى استبدال نظام من الأنظمة بغيره دون علة أو أسباب .

---

(1) Edward H. Spicer

المرجع السابق ص ١٧

(٣) عندما يرغم الفرد ولا يرغب فى التغيير .

(٤) عندما يكون العامل فى التغيير فرد أو جماعة ، لا تتوفر فيها ثقة المجتمع الخاضع للتغيير كما هو الحال فى المستعمر كما يقول يا قوت الحموى :

إن كان لابد من أهل ومن وطن فحيث آمن من ألقى و يأمننى

(٥) اذا مس التغيير عادات متأصلة فهناك صعوبة فى استبدال الخرافات أو علم الركة بالوسائل الطبية الحديثة مثلا .

(٦) إذا تسبب التغيير فى العبث بمقومات حضارة المجتمع و بصفاته التى يعتز بها كتراثه الاجتماعى أو محاولة استبدال اللغة القومية بلغة أجنبية .

هل معنى وجود هذه الصعوبات مثلا يأس المصلح الاجتماعى من تغيير المجتمع فى المستقبل ؟ .

إذا كانت هناك من الدلائل ما يشير بوضوح إلى أن الناس يقاومون التغيير فهناك من الأدلة ما يتير إلى أن الناس يقبلون التغيير [١] أيضاً حتى أهل الريف منهم يعمدون إلى تغيير عاداتهم ووسائل حياتهم باستمرار شأنهم فى ذلك شأن بقية الناس و إن كانت عملية التغيير قد تمر بالريف ببطء شديد ، فليس هناك من يزعم بأن جيلا من الأجيال يسلك تماماً مسلك الجيل السابق ، فساكنوا الكنغو واليابان والصين مثلهم فى ذلك مثل جميع الشعوب الأخرى قد غيروا من عاداتهم عبر القرون ، كذلك هناك من الدلائل ما يشير إلى أن فلاحى الريف المصرى يعيشون نفس الحياة التى كان يعيشها سكان القاهرة فى القرن التاسع عشر أى وقت

---

(١) المرجع السابق ص ١٨

أنظر أيضا

El-Koussy, A. H, Social and Cultural Changes in Egypt and teir Relationship to Mental Health, Beriut. Seminar or Mental lHeath, W. H. O. 1953.

زيارة إدوار لين لها [١] . كذلك دل البحث الذى أجرى فى مديرية التحرير على أن الفلاح على استعداد للتغير السريع وللتطلع نحو حياة أفضل متى توفرت له الإمكانيات والظروف الملائمة .

دور التربية فى إعداد المجتمع الريفى الجديد :

معنى هذا أنه ما دام المجتمع يتصف بالمرونة وذلك بسبب كونه يضم مجموعة من الناس يتحركون ويتطلعون لتحقيق غايات منشودة أى أنه مجتمع حركى ديناميكى [٢] ، فإن من المنتظر تطور المجتمع الريفى تطوراً سريعاً نحو تحقيق الأهداف التى سبق أن عرضنا لها بالمناقشة .

على أن هذا كله يتطلب عملية تدريب وإعداد لأفراد المجتمع بأسره .

ومن هنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو : هل نبدأ عملية التعلم من القمة أو من القاعدة ؟ هل نبدأها بالرجل والمرأة الريفية ؟ أم هل نبدأها بالطفل الريفى ؟

يلاحظ أن توجيه العناية إلى جيل من الأجيال وإهمال أمر الجيل الآخر من شأنه أن يحدث هوة سحيقة بين الأجيال المتعاقبة مما يترتب عليه أولا : احساس الجيل الناشىء بصراع عنيف . وإذا كان صحيحاً ما يقال إن المجتمع الريفى يعتبر أكثر توفيقاً من المجتمع الحضرى فى إعطاء الطفل فرصة لسرعة التكيف للبيئة التى يعيش فيها مع تعرضه لأقل الصعوبات أو الأزمات التى كثيرا ما تعتلج فى نفس الطفل الحضرى شأنه فى ذلك شأن الطفل الناشىء فى المجتمعات القريبة من البداوة [٣] ، وذلك لبساطة البيئة الريفية بالنسبة للبيئة الحضرية وبسبب استعدادها

---

(١) عمار ص٧٦

(٢) التربية والمجتمع . المرجع السابق ص ١٨٢ — ١٩٣

Coming of Age in samoa, 1982

(٣) المرجع السابق الفصلان ١٣ و١٤

بسرعة الاعتراف بالفرد كرجل وهى لذلك تستعجل انتهاء مرحلتى الطفولة والمراهقة حتى إذا ما وصل الى مرحلة اليفاع سكن الى زوجةوشعر بالاستقرار والأمن واشباع حاجاته الأساسية . لهذا نراه يبذل جهدا فى سبيل تحقيق أهداف المجتمع لاسيما اذا ما تذكرنا أن معظم مطالبه تتركز فى ارضاء حاجاته « الفسيولوجية » وفى اعتراف الجماعة بوجوده وشخصيته ؛ على العكس من الحضرى الذى يتطلع الى الكثير من الكماليات لمسايرة مطالب المدنيـة الحديثة . كذلك قلما يحدث كما سبق أن نوهنا صراع بين المرأة والرجل فى الريف ؛ فلقد حددت المشاركة الفعلية بينهما حقوقهما وواجباتهما حيال الأسرة وحيال الجماعة .

إذاً . . . من الواضح أن المجتمع الريفى أقرب الى المجتمع السوى الذى يترك لكل مجاله والذى يتضمن تماسك الجماعة فى اللغة والعادات والتقاليد والعقيدة تلك التى تعنى فى مجتمعنا العربى الاعتراف بوجود خالق يسيطر على المخلوقات .

الخطورة هنا كما سبق أن أشرنا تكمن فى الأخطار التى قد يتعرض لها هذا المجتمع الريفى و إذا ما أسرعنا فى إدخال وسائل المدنية الحديثة حتى يتابع ركب الحضارة وهنا يأتى الدور الهام الذى تلعبه المدرسة فى حياة المجتمع أثناء هذا التغير الحضارى .

فإذا كانت التربية هى نشاط يحدث فى المجتمع وتعتمد فى أهدافها وظروفها على طبيعة المجتمع الذى توجد فيه[1] ، و إذا كانت صفة المجتمع الأساسية هى المرونة فلابد لدور العلم فى المجتمع الريفى أن تتصف بالمرونة وأن تخضع لسنة التطور حتى تستطيع أن توجه سلوكها نحو هذه الأهداف وذلك بجعلها صورة مصغرة للمجتمع

---

(١) التربية والمجتمع — المرجع المذكور ص ١ .

الذى تعيش فيه[1] وذلك بجعلها مركز إشعاع يرتاده الصغار والكبار ينهلون من مناهله .

وعن طريق الحياة الاجتماعية والألعاب الشعبية والمشاركة الفعلية فى الأحداث الجارية وخدمة البيئة المحلية بالاشتراك فى أنواع النشاط الخارج عن نطاق الفصل الدراسى ، وتحويل مدارس المرحلة الأولى فى الريف إلى مدارس يطبق فيها مبدأ العلم عن طريق العمل والحياة عن طريق الحياة من أجل الحياة . أى أن قصر هذه المرحلة على معرفة القراءة والكتابة تحول أطفال الريف إلى مجرد ببغاوات تردد أشياء أمليت عليهم . . وبهذا تزداد الهوة بينهم و بين أفراد أسرهم و يشعرون بأنهم غرباءفى مجتمعهم و يتطلعون إلى الهجرة إلى المدينة .

و بذلك يقفر الريف وتكتظ المدينة بأولئك الوافدين وهذا ما يعانى منه أهل العواصم والمدن حتى أصبحت مشكلة تتطلب حلا سريعا . كما يصعب التفاهم بين الصغار والكبار فتزدوج شخصياتهم . بمعنى آخر أن فصل الحياة العملية للطفل التى يجدها فى اشتراكه الفعلى فى نشاط المجتمع كجنى القطن وجمع الأرز ورعاية الماشية عن الحياة التى يحياها فى المدرسة قارئا كاتبا يؤدى إلى زيادة حدة الصراع فى نفس التلميذ وزيادة الهوة بين جيل الآباء وجيل الأبناء . بهذا يحرم الصغار من ثمرة خيرات الأجيال الماضية كما تنعدم الثقة بين الصغار والكبار .

معنى هذا ألا يستأثر ناظر المدرسة ومدرسوها بعملية إشراف وتوجيه الأطفال فى الريف حتى لا تتسع الهوة بين الأسرة والمدرسة وحتى لا ينظر إليها على أنها مؤسسة أقيمت لتخلق جوا يساعد على التوتر والانفصالية . ولا يكفى إذاً أن نأخذ

---

(1) John Dewey : The school and Society, Chicago, University Press (2 nd edition , 1915) . Cambridge University Press , 1932

بمجالس الآباء حتى ندعم الصلة بين المدرسة و بين أولياء أمور التلاميذ بل لابد من أن يتسع مفهوم محو الأمية فلا يقتصر على مرحلة سن الإلزام أى لابد من أن يشمل كل فرد لم يتجاوز الخمسين من عمره .

ولهذا لابد من تجنيد كل المتعلمين فى الريف ليسهموا فى تقريب الهوة بين الجيلين . و إن تطبيق قياس التكيف الاجتماعى بوساطة طلبة الجامعة قد دل على إمكان الاستفادة من جهود هذه الفئة متى صدقت النية وصحت العزيمة . كما أن مشروعات الخدمة العامة التى نحاول أن تطبقها الجامعات المختلفة[1] لتدل على إمكان تحقيق محو الأمية بين الكبار . معنى هذا أن عملية التكيف الاجتماعى فى الريف الجديد تتطلب منا عناية بأفراد الأسرة جميعا ، لاسيما إذا ما تذكرنا أن مهمة تعليم الطفل لغته القومية تقع على عاتقها وهى إحدى الوسائل الهامة للنجاح فى المدرسة كما أنها الوسيلة لاستجابة الطفل للمواقف الاجتماعية المختلفة و إندماجه فى المجتمع .

و إذا تذكرنا حرص العرب[2] على إرسال أبنائهم إلى البادية ليتلقوا المبادىء الصحيحة للغة القومية ، و إذا تذكرنا ما أشار به أفلاطون[3] من ضرورة إحاطة الطفل بأفراد يتكلمون لغة سليمة أدركنا أهمية تعلم الكبار فى الأسرة الريفية للغة الصحيحة .

و إذا كانت الأسرة تعتبر عاملا من عوامل التربية الغير مقصودة فهناك وسائل أخرى تعمل على النهوض بالمجتمع فى الريف الجديد .

---

(١) مشروعات التربية الاجتماعية . اتحاد طلاب جامعة عين شمس . مطبعة جامعة عين شمس ٦٠

(٢) احمد شلبى — تاريخ التربية الاسلامية . دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٥٤ ص ٧٨ — ص ٨٤ .

(3) The Republic of Plato Translated with Introduction by Francis Macdonald Cornford Oxford At The Clarendon Press 1948 p 75.

فكل فرد وكل أداة فى المجتمع تقوم بمقام المربى والموجه ، فالإذاعة والسينما والتلفزيون ، والصحافة ووسائل الإعلام ، المختلفة تعتبر فى الواقع من الوسائل الهامة للتربية والتى لا يمكن لمجتمع إغفالها والتى قد تضاعفت أهميتها فى الوقت الحاضر نظراً للتطور السريع الذى يصيب المجتمعات والذى يتطلب منا مسايرته .

فى ضوء ما سلف ، وفى ضوء هذا التعقيب الذى ألقينابه الأضواء على حاضر الفلاح ، حق للمصلح الاجتماعى أن يتساءل عن مدى ما سينال الريف الجديد من تطور فى السنوات القليلة المقبلة . . ترى هل فى استطاعته أن يتنبأ بالنتائج التى سوف يتمخض عنها هذا التطور ؟

ملحق رقم (١)

تدريب طالبات جامعة عين شمس

من ١ / ٨ / ١٩٥٧ إلى ١٦ / ٨ / ١٩٥٧

قياس التكيف الاجتماعى

للفوج السادس من المنتفعين و المنتفعات

اولا — توجيهات للقائمين على تطبيق الاختبار

١ — يحسن أن يجرى الاختبار فرديا .

٢ — يجب أن تقرأ التوجيهات على الممتحن بوضوح و ببطء شديد .

٣ — يمكن أن تكرر قراءة التعليمات أو القصة إذا اقتضى الأمر ذلك حتى تمكن الممتحن من فهمها بوضوح .

٤ — يجب أن تقرأ الأحكام مرتين قبل أن يسأل الممتحن إعطاء حكمه النهائى

٥ — إذا كان الممتحن يقرأ و يكتب بسهولة فيستحسن أن يعطى له الاختبار بالآراء التى يراها .

٦ — تكتب البيانات بوضوح بوساطة الممتحن .

٧ — لا بد أن يخصص بعض الوقت قبل البدء فى قراءة الاختبار لتكوين علاقة ودية بين الممتحن والشخص الذى يجرى الاختبار .

٨ — يكتب ميعاد بداية الاختبار وموعد الانتهاء منه بوضوح .

٩ — يجب أن يطبق الاختبار على كل شخص على حدة إذا كان الشخص لا يعرف القراءة والكتابة .

١٠ — يمكن إعطاء الاختبار لمجموعة من الناس فى وقت واحد إذا كانوا يعرفون القراءة والكتابة جيدا و يقومون بالإجابة على الاختبار بأنفسهم .

ثانيا ـ توجيهات تلقى على الممتحنين

أنا حاأقول دلوقت ١٣ حكاية وعاوزك تستمع لكل واحدة منها بانتباه ، و بعد ما أخلصها حاأقولك أربع أحكام على الحكاية دى فأرجوك تستمع للاحكام دى كلها قبل ما تختار منها الحكم اللى تفتكر إنه أحسن حكم فى رأيك يناسب الحكاية اللى سمعتها .

لاحظ أنه مفيش حكم من الأحكام دى يعتبر صحيح أو غلط ، و إنما الإجابة تتوقف على الحكم اللى تشوف إنك موافق عليه أكثر من غيره ، و إن حدث إنه ما كنش واحد من الأحكام الأربعة دى يوافقك كل الموافقة ، اختار واحد من الأحكام اللى يكون قريب جدا للحكم ده — وحاقرأ عليك الأحكام مرتين بعد ما اخلص كل حكاية وقبل ماتختار واحد منها .

حا اضرب لك مثال علشان أبين لك أنا عايز إيه .

مثال :

كان عند حسن مشوار مهم خالص ومكانش لاقى مواصلات توديه ، وهو ماشى مش عارف يعمل إيه لقى حمار بتاع صاحبه عبد الغفار كان مربوط فى غيط الدرة . قام ركبه وقال لما أرجع من مشوارى أبقى أقول لصاحبى عبد الغفار سامحنى اللى خدت حمارك من غير إذنك لأنى كنت مستعجل .

الأحكام :

١ — حسن كان لازم يتصرف كده و يأخذ الحمار لأن مشواره مهم .

٢ — حسن كان لازم ينتظر صاحبه لغاية ما يأخذ منه إذن .

٣ — حسن كان لازم يبعث لعبد الغفار مرسال يقوله إنه خد الحمار فى مشوار مهم .

٤ — حسن كان لازم يشوف له ركوبه ثانية بدال حمار صاحبه .

ودلوقت إذا كنت موافق على الحكم الثالث يعنى إنه حسن كان لازم يبعث مرسال لعبدالغفار يقول إنك موافق على هذا الرأى . أما إذا كنت توافق أكثر على الحكم الرابع وهو أن حسن كان لازم يشوف له ركوبه ثانية قول إنك تستحسن الحكم ده على الثلاثة الثانيين — يعنى لازم تختار حكم واحد .

ودلوقت اسمع للحكايات الجاية .

ملحوظة :

(تكرر هذه التوجيهات فى الاختبار الآخر — الصورة (ب) .

ثالثا ـ قياس التكيف الاجتماعى

الصورة (ا) للرجال

١ — عم اسماعيل كان بيرجع كل يوم لبيته سكران طينة ، مش دارى بروحه ، يقعد يكسر القلل وكل اللى يلاقيه قدامه فى بيته ، وفى ليلة بعد ماضرب مراته وعياله سرق غوايش مراته وراح باعها علشان يسكر مرة ثانية .

(ا) يا ترى توافق على أعمال اسماعيل لأنه حر فى بيته ومراته وعياله .

(ب) الحق اسماعيل مش مسئول ، إنما المسئول هو اللى باع له الخمرة .

(ج) لازم نحاول اصلاح أمر اسماعيل ونخليه راجل أحسن من كده .

(د) مالناش دعوة باسماعيل ، يشرب ما يشربش يعرف شغله .

٢ — الست مبروكة رجعت يوم لبيتها من السوق ، لقت كل حاجة فى بيتها انسرقت ، وهى فى طريقها للعمدة ، قابلها الحرامى ولما شافها صعبت عليه ، قالها ، اسمعى ياست بينى و بينك ربنا ، إنتى باين عليك وعليه غلبانه وصاحبة عيال ، خدى حاجاتك أهم وسامحينى أصلى أنا لما سرقت كنت جعان ، ادعى لى ربنا يتوب على .

(ا) الست مبروكة تتظاهر بمسامحة الحرامى وبعدين تشتكية للعمدة.

(ب) الست مبروكة لازم تصرخ وتستغيث بالناس علشان يمسكوه و يودوه للعمدة

(ج) الست مبروكة مالهاش دعوة بأذيته مادام حاجتها رجعت لها .

(د) الست مبروكة تروح لشيخ الجامع وتطلب منه نصح الحرامى علشان ما يسرقش .

٣ — الست سنية كانت بتخبز و بعدين قامت النار مسكت فى سقف بيتها ، قعدت تصرخ وتستغيث الناس خافت من النار وجرت لبعدين النار تمسك فيهم ،

جه وابور الحريقة قام طفى النار ، ولما جيران سنية جم يشوفوها لقوا أن المسكينة اتحرقت وماتت و بقت حتة فحمة .

(ا) الناس لهم حق أن مايقربوش لسنية لبعدين يتحرقوا .

(ب) سنية اللى غلطانة لما ما خدتش بالها وهى بتخبز .

(جـ) الجيران كان لازم يتعاونوا و يطفوا الحريقة عبال ماييجى الوابور .

(د) دى حاجة مقدرة على سنية وما كانش ممكن حد يحوش وقوع القدر .

٤ — عم سلطان الجزار كانت عنده بهيمة عيانة ، قام دبحها و باعها للناس على أنها لحمة كويسه علشان ما يخسرش فى بهيمته .

(ا) عم سلطان كان له حق أنه يعمل كده علشان ما يخربش بيته .

(ب) عم سلطان كان لازم يقول للناس أن البهيمة كانت عيانه قبل ماتندبح .

(جـ) عم سلطان كان لازم ما يدبحش البهيمة و يترك عوضه على الله .

(د) عم سلطان كان لازم يودى البهيمة للحكيم البيطرى علشان يداويها .

٥ — مرضت الست خديجة مرضاً شديداً وراحت لدكاتره كتار ، ولما طول مرضها صممت على زيارة واحد شيخ فنصحها بعمل زار علشان تخف .

(ا) خديجة كان لها حق فى أن تعمل زار .

(ب) خديجة كان لازم تروح المستشفى بدال ما تعمل زار .

(جـ) خديجة كان لازم تندر ندر لله ربنا يخففها .

(د) خديجة كان لازم تستمر فى العلاج وتعمل كمان الزار .

٦ — الشيخ عبد الله كان فى نيته يروح الحجاز وهو عنده أولاد كتار عايزين مصاريف ، قام ولاده قالوا له يابا خليها على الله وسافر السنة دى ما دام فى نفسك تحج .

(ا) الشيخ عبد الله كان لازم ينتظر لما ربنا يفرجها .

(ب) الشيخ عبد الله كان لازم يستلف و يروح الحجاز .

(ج) الشيخ عبد الله كان لازم يلتفت لتربية أولاده ومش ضرورى يروح الحجاز.

(د) الشيخ عبد الله ما كانش لازم يفكر فى الحج ما دام على قد الحال .

٧ — عم محمود نصار كانت له بنت جميلة ، حلف إنه مش حيجوزها إلا للشخص اللى يدفع فيها مهر ٢٠٠ جنيه وما حدش قدر يدفع المهر ده إلا عم الشيخ سرحان اللى عمره ٨٠ سنة لأنه كان راجل غنى جداً .

(ا) عم محمود مالوش حق يتمسك بالشرط الجامد ده .

(ب) ما دامت البنت جميلة كان لازم العريس يدفع فيها مهر كبير .

(ج) مش ضرورى يتمسك عم محمود بالمهر قد مايهمه شخصية العريس .

(د) عم محمود له حق يتمسك بالشرط ده لأن العريس الغنى يقدر يسعد فاطمة .

٨ — يحيى عبد العظيم كان راجل مسيور الحال ، بعدين رهن كل ثروته وتداين ولما عجز عن سد الديون باعت الحكومة أملاكه علشان يسدد منها ديونه وفكر يحيى إنه يسافر من بلده علشان يشوف رزقه فى حتة تانية .

(ا) أهل القرية كان لازم يتركوه يرحل لبلد ثانية يشوف رزقه .

(ب) أهل القرية كان لازم يعملوا له جمعية علشان يساعدوه لبدء حياته من جديد .

(ج) أهل القرية كان يجمعوا له تبرعات ويعطوها له صدقة .

(د) أهل القرية يعرضوا عليه يشتغل معاهم فى أرضهم و يدوا له أجرته كل يوم.

٩ — نجية كانت ست على قد الحال وكان عندها ٤ أطفال وفى يوم من الأيام لقت طفل مسكين يتيم مالهش أب ولا أم ولا قرايب ، نجية قالت فى نفسها أنا لازم آخذ الولد الغلبان ده واعتبره واحد زى عيالى تمام .

(ا) نجية مالهاش دعوة بالولد ده مادام عندها عيال .

(ب) نجية كانت سابت الولد للحكومة علشان تربيه .

(ج) نجية كان عندها حق أنها تشفق على الولد ده .

(د) الولد ما كنش ممكن يستفيد من نجية لأنها ست فقيرة .

١٠ — رمضان لقى زرعه حايموت من العطش، قام سرق المية من زرع عوضين، أبو إسماعيل علشان يروى زرعه ولما اكتشف عوضين الحكاية ،دى ضرب رمضان حتة علقة سخنة علشان تانى مرة يتوب ولا يسرقش المية .

(ا) عوضين له حق فى ضرب رمضان علشان سرق المية .

(ب) عوضين كان لازم يشتكى للعمدة بدل مايضرب رمضان .

(ج) عوضين كان لازم يتفاهم مع رمضان لأنهم جيران و يقسموا المية سوى .

(د) عوضين كان لازم يسامح رمضان علشان زرعه حايموت .

١١ — عم الحج مدبولى سرق من أهالى بلدته فلوس كثيرة علشان يبنى لهم جامع يصلوا فيه .

(ا) عم الحج مدبولى كان لازم يبنى الجامع وحده من غير مايسرق فلوس من الناس .

(ب) الحج مدبولى كان لازم يجيب الفلوس من الحكومة .

(جـ) عم الحج مدبولى مكانش له أنه يفكر فى بنـــاء الجامع ويسيبها للظروف .

(د) عم الحج مدبولى كان له حق يسرق الفلوس من الناس علشان فايدتهم .

١٢ — كان فيه راجل غنى ومكانش حد بيحبه فى بلده قام رشح نفسه فى الانتخابات قدام حسن اللى كان راجل على قد الحال، لـكن كان كل الناس بيحبوه لانه راجل طيب ومخلص . شعبان صرف جامد ودفع للناس فلوس علشان ينتخبوه ولـكن لما جه يوم الانتخابات الناس عطوا أصواتهم لحسن .

(ا) أهالى البلد عملوا كويس اللى خدوا فلوس شعبان وضحكوا عليه .

(ب) أهالى البلد كان لازم يرفضـــوا فلوس شعبان ويقولوا له احنا مش حننتخبك .

(جـ) أهالى البلد كانوا لازم ينتخبوا شعبان مادام أخدوا فلوس .

(د) أهالى البلد ما كانش لازم يزعلوا الاثنين ولا ينتخبوش ولا شعبان ولا حسن .

١٣ — الحج أحمد كان عنـــده ٣ أولاد صغيرين بيساعدوه فى الغيط طلبت الحكومة منه أنه يوديهم للمدرسة لغاية لما يبقى الواحد ١٢ سنة .

الحج أحمد بيحاول التهرب من القانون علشان هو محتاج لأولاده يساعدوه فى الغيط .

(ا) الحج له الحق مدام محتاج لمساعدتهم فى الغيط .

(ب) الحج أحمد كان لازم يبعث اثنين من عياله للمدرسة و يخلى واحد يساعده .

(جـ) الحج أحمد مكانش يقدر يعلمهم وهو جاهل .

(د) الحج أحمد كان يخليهم يساعدوه بعد ما يخرجه من المدرسة .

رابعا ــ قياس التكيف الاجتماعى

صورة (ب) للنساء

١ ــ محمود كان بيصطاد عصافير يطلع عيار نار ، فقتل شعبان ابن جارة الصغير ، أبو شعبان مارضاش يقول للبوليس وكتمها فى نفسه علشان يأخذ بثأر ابنه ، وفى ليلة كانت سودة خالص قام أبو شعبان استخبى فى الدره وقتل جاره محمود .

(ا) أبو شعبان كان عنده حق فى قتل محمود علشان يأخذ بتار ولده .

(ب) أبو شعبان كان لازم بلغ البوليس علشان قتل ولده .

(ج) أبو شعبان كان لا زم يسامحه لأنه ما كانش يقصد قتل ولده .

(د) أبو شعبان كان لازم يقتل ابن محمود زى ما ابو شعبان قتل ولده .

٢ ــ كان الشيخ أبو حسين عنده كلاب كثيرة ، بتحرس له الغيطان بتاعته ، وكان له جار اسمه شحاته عنده حتة أرض بيزرعها قطن ، وفى يوم جه الجار يشتكى من كلاب الشيخ أبو حسين ، قام قال له والله يا شحاته انت عندك حق ، خد العشرين جنيه دول تعويض لك عن الخسارة السنة دى ، ولما جنى شحاته القطن لقى إنه بدال ما يخسر كسب مكسب عظيم جداً .

(ا) كان لازم شحاته يحتفظ بالعشرين جنيه مادام الشيخ أبو حسين أعطاها له.

(ب) كان لازم شحاته يرجع العشرين جنيه لصاحبهم الشيخ أبو حسين .

(ج) كان لازم شحاته يصرف المبلغ على المساكين لأن الشيخ أبو حسين رجل ميسور .

(د) كان لازم شحاته يشترى جاموسة ويشارك عليها الشيخ أبو حسين .

٣ ــ عمر راجل مزارع وهو ماشى لقى واحد حرامى بيقطع قناديل دره من زرعه ويشويها ويأكلها ، عمر مسك الحرامى قال ارحمنى ربنا يرحمك ، أناقطعت القناديل علشان جعان بقالى ثلاث أيام ما أكلتش ، الفلاح صعب عليه وقال له طيب معلهش بس أوعى تعمل كده ثانى .

(ا) عمر كان لازم يوديه للعمدة علشان يحبسه .

(ب) عمر كان حرض عليه الأولاد الصغيرين علشان ينادوا عليه « ياحرامى » .

(ج) عمر كان لازم ترك الحرامى علشان ما سرقش إلا لأنه جعان .

(د) عمر كان لازم شغل الحرامى فى غيطه علشان يخليه راجل أحسن .

٤ ـــ محمد واحمد أولاد الحاج مبروك اتخانقوا مع سيد وعمر أولاد الحاج فرحات وبعدين الحاج فرحات خد بعضه وراح ضرب أولاد الحاج مبروك ، وبعدين قامت خناقة بين العائلتين ماخلصهاش إلا العمدة والخفراء .

(ا) يا ترى كان أحسن الحاج فرحات يضرب أولاد الحاج مبروك .

(ب) يا ترى كان أحسن الحاج فرحات يشتكيهم للعمدة علشان يخلص تار عياله .

(ح) يا ترى كان الحج فرحات يشتكيهم لأبوهم الحاج مبروك علشان يؤدبهم .

(د) يا ترى كان يسيب أولاده يلعبوا مع بعض وما يتدخلش الكبار بينهم وبين بعض .

٥ ـــ فى يوم من الأيام واحد غريب عن البلد نزل على السكان ، وطلب منهم أنه يساعدهم فى العمل علشان يعيش منه و ربنا يبارك لهم فى عيالهم ـ خافوا لبعدين يكون حرامى فقالوا له احنا ما عندناش شغل وطردوه من البلد .

(ا) أهل البلد كان عندهم حق لأنهم ميعرفوش أخلاق الراجل كويس .

(ب) أهل البلد كان لازم يعطوا له فرصة ويجربوه ويشوفوه كويس ولا وحش

(ح) أهل البلد كان لازم يسألوا عنه العمدة علشان يبحث عن ماضيه وعن سلوكه قبل ما يقبلوه فى بلدهم .

(د) أهل البلد كان لازم يثقوا فيه على طول ويقبلوه من غير قيد ولا شرط .

٦ ـــ بهية بنت شيخ كبير من الأعيان ، طلب ايدها ابن عمها الرجل الغنى ، بهية فضلت تتزوج راجل فقير لأنه أخلاقه كويسه ورفضت ابن عمها لأنه رجل أخلاقه غير مضمونة .

(ا) بهية لها حق فى رفض يد ابن عمها .

(ب) بهية كانت تتزوج ابن عمها وتحاول إصلاح أخلاق ابن عمها .

(حـ) بهية كانت تتزوج الرجل الفقير وزى ما تيجى تيجى .

(د) بهية مالهاش دعوة بالاثنين وتستنى واحد تانى .

٧ ـــ استولت الحكومة فى سنة ١٩٥٣ على أراضى أسرة الملك السابق ووزعتها على الفلاحين اللى ما كانوش يملكون أرضاً من قبل .

(ا) الحكومة كانت على حق لما عملت العمل ده .

(ب) ما كانش فى العمل ده نتيجة كبيرة تعود على دخل البلاد بالنفع .

(حـ) الحكومة كانت غلطانة لأنها ظلمت أسرة الملك السابق .

(د) الحكومه كان لازم تعمل كده لو كان فى العمل ده سعادة أكبر عدد من الفلاحين

٨ ـــ واحد مرابى كان بيسلف الناس نظير رهونات على مصوغاتهم ، فى يوم أهالى البلد اتغاظوا منه وحرضوا واحد منهم علشان يسرق فلوسه ويفرقها على فقراء البلد .

(ا) أهل البلد كانوا على حق فى اللى عملوه .

(ب) أهل البلد كان لازم يطردوا المرابى من البلد.

(حـ) أهل البلد كان لازم يشتكوا المرابى للعمدة لأنه راجل بيستغلهم .

(د) أهل البلد كان لازم يعملوا جمعية تعاونية تساعدهم على التخلص من ديونهم وترد لهم مصوغاتهم .

٩ ـــ كان الشيخ مبروك تقى صالح ، بيصوم ويصلى ، فضل أنه يبنى جامعاً لأهالى البلد ، بدل أن يشترك فى جمعية تعاونيه تساعد الناس الفقراء .

(ا) الشيخ ده كان له حق فى العمل اللى عمله .

(ب) احنا مالنا نحكم عليه ، هو وشأنه يعمل اللى عايزه .

(حـ) الراجل ده صالح ونفسه يدخل الجنة .

(د) الجمعية التعاونية أثرها أكبر لسعادة الفلاحين .

١٠ — زنوبة كانت ست حظها مش كويس ، كل ما تولد بنت ولا ولد يموت ، وبعدين فاطمة صحبتها قالت لها يا أختى الشيخ الغرباوى سره باتع قوى تعالى اندرى له ندر لما ابنك يعيش و يعطيك حجاب يحرسه من العين .

(ا) زنوبة كان لازم توافق على رأى صحبتها فاطمة ،

(ب) زنوبة كان لازم تسبها على ربنا .

(جـ) زنوبة كان لازم تعرض ابنها على الدكتور علشان يوصف له دواء .

(د) زنوبة كان لازم تعرض نفسها على الدكتور قبل ما تولد ابنها علشان ينزل صحته أقوى ،

١١ — كان لابراهيم عطوة ولدان واحد منهم حب يبقى مزارع والثانى حب يبقى عسكرى فى الجيش ابراهيم عطوة قال يابنى أنا محتاج لك فى الغيط أنت وأخوك وأنا راجل كبرت والجيش مش معقول يحتاج لواحد زيك .

(ا) ابراهيم عطوة راجل كان مابيفكرش إلا فى نفسه .

(ب) ابراهيم عطوة كان لازم يسيب غيطه وربنا يفرجها .

(جـ) ابراهيم عطوة كان لازم يفكر فى غيطه قبل ما يفكر فى الجيش . لأن حياته متوقفة على غيطه .

(د) ابراهيم عطوة كان لازم يستعين بفلاح ثانى بدال ابنه علشان يساعده فى الغيط .

١٢ — اسماعيل حب يتزوج بنت عمه وفى ليلة الفرح ضرب عيارات نار فى الهواء علشان كان مبسوط ، وقرايبه كانوا بيرقصوا و يغنوا ، طلع العيار غلط وقتل أبوه .

(ا) اسماعيل لازم ينحبس علشان موت أبوه .

(ب) اسماعيل كان لازم ما يستخدمش نار فى الفرح .

(ج) اسماعيل كان لازم يورى ابتهاجه للناس بضرب العيار .

(د) اسماعيل راجل شجاع ومش لازم ينحبس .

١٣ — لما هاجم اليهود سوريا قامت سوريا هجمت على اليهود علشان تدافع عن نفسها ، اتقتل كثير من الأطفال والنساء من الجانبين .

(ا) سوريا كان لازم تدافع عن نفسها .

(ب) كان حرام أن الأطفال والنساء يتقتلوا من الجانبين .

(ج) سوريا كانت لازم تشتكى للدول المسالمة قبل ماتحارب .

(د) سوريا كانت لازم تصالح اليهود .

ملحق رقم (٢)

جداول توضح النسب المئوية لإجابات المنتفعين والمحكمين

أولا : صورة (١)

النسب المئوية لإجابات المنتقعين

القصص	الإجابة الأولى	الإجابة الثانية	الإجابة الثالثة	الإجابة الرابعة	ن	ملاحظات
الأولى	اسماعيل صر	المثول بالغ الخير	محاولة إصلاحه	عدم التدخل في شئونه		الإجابة بمتفوقة الثالثة
	١ بنسبة ٦٤ و ٢٪	٢٤ بنسبة ٤٧ و ٨٩٪		٢ بنسبة ٧٦ و ٥٪	٣٨	
الثانية	التظاهر مساعدته	إرساله للعدة	تركه لحل سبيله	الاتجاه نحو البيع		الإجابة بمتفوقة الرابعة تليه الثالثة
	صفر	١ بنسبة ٦٤ و ٢٪	١٠ بنسبة ٢١ و ٩٦٪	٢٧ بنسبة ٠٦ و ٧١٪	٣٨	
الثالثة	البعد عن النار	سمنية الخطبة	التعاون بوطنية الزيوت	القدر لا يمنع		الإجابة بمتفوقة الثالثة
	صفر	صفر	٢٢ بنسبة ٤١ و ٨٤٪	٦ بنسبة ٧٩ و ١٥٪	٣٨	
الرابعة	الغاية تبرر الوسيلة	مصارحة بناب بالزم	حل الموصة لـ الـ	إرسال للبيطري		الإجابة المتفوقة الرابعة
	١ بنسبة ٦٤ و ٢٪	٤ بنسبة ٥٤ و ١٠٪	٥ بنسبة ١٥ و ١٢٪	٢٨ بنسبة ٦٨ و ٧٢٪	٣٨	
الخامسة	الحمد في عمل الزار	الذهاب للمشفى	النذر لله	لاستمرارة للعلاج والزار		الإجابة بمتفوقة الثانية تليه الثالثة
	٣ بنسبة ٦٤ و ٧٪	٢٢ بنسبة ٥٤ و ٦٠٪	٨ بنسبة ٠٥ و ٢١٪	٤ بنسبة ٥٤ و ١٠٪	٣٨	
السادسة	انتظار فرج الله	الدية للذهاب للحج	الوقف لتربية الأبناء	عدم التفكير في الطلاق		الإجابة بمتفوقة الثالثة تليه الرابعة
	٥ بنسبة ١٥ و ١٣٪	صفر	٢٧ بنسبة ٥٠ و ٧١٪	٦ بنسبة ٧٩ و ١٥٪	٣٨	
السابعة	الشرط جامد	ضرورة المهر الباهظ	تخصية العريس	العريس المثالي		الإجابة بمتفوقة الثالثة تليه الأولى
	١٧ بنسبة ٥٦ و ٤١٪	صفر	٢٤ بنسبة ٥٠ و ٦٢٪	٢ بنسبة ٧٦ و ٥٪	٣٨	
الثامنة	الرحيل لبلدة أخرى	جمعية تساعدة	تبرعات لصدقة	يعمل معهم بالأجرة		الإجابة بمتفوقة موافقة نصف الفريق الرابعة تليه الثانية .
	٥ بنسبة ١٥ و ١٢٪	١١ بنسبة ٩٤ و ٢٨٪	٢ بنسبة ٦٤ و ٧٪	١٩ بنسبة ٥٠٪	٣٨	
التاسعة	عدم الاهتمام بالولد	تركه للحكومة	عنصاهم بشقة تعيد	إحالة استفادة الولد فقط		الإجابة بمتفوقة الثانية تليه الثالثة
	صفر	٢٩ بنسبة ٥٠ و ٧٦٪	٦ بنسبة ٧٩ و ١٥٪	٢ بنسبة ٦٤ و ٧٪	٣٨	
العاشرة	يحقه الضرب	الشكوى للعدة	التفاهم مع رمضان	صاحبة رمضان		النصف مع الإجابة الثالثة والثلث مع الرابعة
	١ بنسبة ٦٤ و ٢٪	٦ بنسبة ٧٩ و ١٥٪	١٩ بنسبة ٥٠٪	١٢ بنسبة ٥٦ و ٢١٪	٣٨	
الحادية عشر	بناء البيع وحده	النقود من الكلوتة	تركه لمظروفه	سرقة النقود من الناس		أقل من النصف مع الثانية وأكثر من الثلث مع الرابعة
	٢ بنسبة ٦٤ و ٥٪	١٨ بنسبة ٢٦ و ٤٧٪	٥ بنسبة ١٥ و ٣١٪	١٣ بنسبة ٦١ و ٣٤٪	٣٨	
الثانية عشر	الضرب مع شبان	رفضه نقوده	انقاب شبان	عدم انقاب الدستيه		الإجابة بمتفوقة الثانية تليه الأولى .
	١١ بنسبة ٩٤ و ٢٨٪	٢٥ بنسبة ٧٩ و ٦٥٪	١ بنسبة ٦٤ و ٢٪	١ بنسبة ٦٤ و ٢٪	٣٨	
الثالثة عشر	لم يأته شيء	إرسال اشيء فقط	إحالة تعليم هو وأهل	صامتة لم يعرف بالعودة		الغلبة تؤيد الرابعة تليه الثانية
	صفر	١٢ بنسبة ٧١ و ٢٤٪	١ بنسبة ٦٤ و ٢٪	٢٤ بنسبة ١ و ٦٤٪	٣٨	

ثانيا : صورة (١)

النسب المئوية لإجابات المحكمين

القصص	الإجابة الأولى	الإجابة الثانية	الإجابة الثالثة	الإجابة الرابعة	ترتيبها	ملاحظات
الأولى	صفر	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	٢٠ بنسبة ٢٤ر٩٥٪	صفر	٢١	الإجابة الثالثة ذات أغلبية مطلقة
الثانية	٣ بنسبة ٢٨ر١٤٪	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	٢ بنسبة ٥ر٩٪	١٥ بنسبة ١٤ر٧١٪	٢١	الإجابة الرابعة ذات أغلبية
الثالثة	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	صفر	١٨ بنسبة ٧١ر٨٥٪	٢ بنسبة ٥ر٩٪	٢١	الإجابة الثالثة ذات أغلبية
الرابعة	صفر	٣ بنسبة ٢٨ر١٤٪	٢ بنسبة ٥ر٩٪	١٦ بنسبة ١٩ر٧٦٪	٢١	الإجابة الرابعة ذات أغلبية
الخامسة	صفر	١٨ بنسبة ٧١ر٨٥٪	صفر	٣ بنسبة ٢٨ر١٤٪	٢١	الإجابة الثالثة لصر المتفوقة
السادسة	١٤ بنسبة ٦٦ر٦٦٪	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	٥ بنسبة ٨ر٢٣٪	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	٢١	الإجابة الأولى متفوقة ولكنه دون نسبة عملية فوز أو تعادل .
السابعة	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	صفر	٢٠ بنسبة ٢٤ر٩٥٪	صفر	٢١	الإجابة الثالثة المتفوقة
الثامنة	٣ بنسبة ٢٨ر١٤٪	٥ بنسبة ٨ر٢٣٪	صفر	١٢ بنسبة ٨ ر٥٧٪	٢١	الإجابة الرابعة ولكنها ليست ذات أغلبية مطلقة
التاسعة	صفر	١٤ بنسبة ٦٦ر٦٦٪	٦ بنسبة ٢٨ر٢٨٪	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	٢١	الإجابة الثانية وإن برئت غير صالحة إلا بعد تعديلها .
العاشرة	صفر	٣ بنسبة ٢٨ر١٤٪	١٧ بنسبة ٩٥ر٨٠٪	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	٢١	تبرو الثالثة صالحة للتمييز
الحادية عشر	صفر	٣ بنسبة ٨ر٦٦٪	١ بنسبة ٧٥ر٤٪	٧ بنسبة ٢٢ر٣٣٪	٢١	تبرو الثانية وإن لم تكن صالحة إلا بعد تعديلها
الثانية عشر	٢ بنسبة ٥ر٩٪	١٩ بنسبة ٤٧ر٩٠٪	صفر	صفر	٢١	تبرو الثانية صالحة
الثالثة عشر	صفر	صفر	صفر	٢١ بنسبة ١٠٠٪	٢١	الرابعة تفوز بأغلبية ساحقة .

ثالثا : صورة (ب)

النسب المئويه لإجابات المستفهات

القصص	الإجابة الأولى	الإجابة الثانية	الإجابة الثالثة	الإجابة الرابعة	المجموع الكلى	ملاحظات
الأولى	عنده صوره قتل محمود	يبلغ البوليس	لابد من العفو	لازم يقتل ابنه محمود		تتراوح الأغلبية بين الثانية والثالثة
	صفر	٢١ بنية ٥ و٥٢٪	١٨ بنية ٤٥٪	١ بنية ٥ و٢٪	٤٠	
الثانية	الاحتفاظ بالمبلغ	إعادته لصاحبه	صرفه مع الهاكيه	يشاركه به في جاموسة		تتركز الإجابة في ٢ و٣ و٤ وفي الإجابة المتفوقة
	١ بنية ٥ و٢٪	٢٢ بنية ٥٥٪	١٠ بنية ٢٥٪	٧ بنية ٥ و١٧٪	٤٠	
الثالثة	تسليمه للعمدة	تحريصه الصفر بالتجربة	تركه لحال سبيله	تسفيله في منزله		يتركز نصف الفريق في الثالثة والرابعة
	٥ بنية ٥ و١٢٪	صفر	٢٠ بنية ٥٠٪	١٥ بنية ٥ و٣٧٪	٤٠	
الرابعة	ضرب أولاد بيروك	الشكوى للعمدة	الشكوى لوالدهم	تركلم يلعبوا سويا		أكثر من النصف يتفقون مع الرابعة فالثالثة فالثانية
	صفر	٦ بنية ١٥٪	١٢ بنية ٣٠٪	٢٢ بنية ٥٥٪	٤٠	
الخامسة	طرد الغريب	إعطاؤه فرصة للتجربة	سؤال العمدة عنه	الثقة فيه بدون قيد		الإجابة المتفوقة : الثالثة فالثانية
	٤ بنية ١٠٪	١٣ بنية ٥ و٣٢٪	٢٣ بنية ٥ و٥٧٪	صفر	٤٠	
السادسة	رفضه ابنه عطا	زواجه وإصلاحه	الزواج بالفقيرة	رفضه لدنائته		الأغلبية تتفق مع الإجابة الثالثة
	٤ بنية ١٠٪	٧ بنية ٥ و١٧٪	٢٤ بنية ٦٠٪	٥ بنية ٥ و١٢٪	٤٠	
السابعة	الحكومة محقة	لأن فائدة مادية للبلد	خطأ من الحكومة	سعادة للأغلبية		الإجابة المتفوقة هي: الأولى والرابعة
	٢٤ بنية ٦٠٪	١ بنية ٥ و٢٪	١ بنية ٥ و٢٪	١٤ بنية ٣٥٪	٤٠	
الثامنة	لزم صوره في غرفة المراقبة	ضرورة طرده من البلد	شكوى المراقب للعمدة	عمل جمعية تعاونية		الأغلبية تتفق مع الإجابة الرابعة
	صفر	٢ بنية ٥٪	٦ بنية ١٥٪	٣٢ بنية ٨٠٪	٤٠	
التاسعة	بناء الجامع أفضل	لهو حر	يطيع في رغول الجنة	الجمعية التعاونية أفضل		أكثر من النصف مع الإجابة الأولى والرابعة
	٢١ بنية ٥ و٥٢٪	٣ بنية ٥ و٧٪	١ بنية ٥ و٢٪	١٥ بنية ٥ و٣٧٪	٤٠	
العاشرة	الحجاب أفضل	ترك الأمر لله	عرضه على طبيب	تكشف قبل الولادة		النصف يتفق مع الإجابة الرابعة تليها الثانية
	٢ بنية ٥٪	١٤ بنية ٣٥٪	٤ بنية ١٠٪	٢٠ بنية ٥٠٪	٤٠	
الحادية عشر	الأنانية	ترك الأمر لله	التقرير في صالحه	الاستعانة بالمساعة		الرابعة - المتفوقة تليها الثانية
	١ بنية ٥ و٢٪	١١ بنية ٥ و٢٧٪	٤ بنية ١٠٪	٢٤ بنية ٦٠٪	٤٠	
الثانية عشر	لابد سيجيء إسماعيل	وجوب عدم ضرب الخدم	لابد من ظهور الدجاج	إسماعيل جيل شجاع		المتفوقة - الثانية تليها الرابعة
	٣ بنية ٥ و٧٪	٢٦ بنية ٦٥٪	٤ بنية ١٠٪	٧ بنية ٥ و١٧٪	٤٠	
الثالثة عشر	لابد سوريا ترافع	حرام قتل الأطفال في البناء	الشكوى للدول المالفة	الصلح مع إسرائيل		الأولى أولا ثم الثالثة .
	٢٦ بنية ٦٥٪	١ بنية ٥ و٢٪	١١ بنية ٥ و٢٧٪	٢ بنية ٥٪	٤٠	

رابعا : صورة (ب)

النسب المئوية لإجابات المحكمين

القصص	الإجابة بأولى	الإجابة بثانية	الإجابة بثالثة	الإجابة الرابعة	المجموع الكلى	ملاحظات
الأولى	صفر	١٣ أى بنية	٨ أى بنية	صفر		الأغلبية مع الثانية والثالثة
		٩ و٦١ ٪	١ و٣٨ ٪		٢١	
الثانية	صفر	١٦ أى بنية	٢ أى بنية	٣ أى بنية		الأغلبية مع الثانية
		١٩ و٧٦ ٪	٢ و٥٤ و٩ ٪	٢ و٨٤ و١٤ ٪	٢١	
الثالثة	صفر	صفر	٣ أى بنية	١٨ أى بنية		الأغلبية مع الرابعة
			٢ و٨٤ و١٤ ٪	٧١ و٨٥ ٪	٢١	
الرابعة	صفر	١ أى بنية	٥ أى بنية	١٥ أى بنية		الأغلبية مع الرابعة ثم الثالثة .
		٧٦ و٤ ٪	٨٠ و٢٣ ٪	٤٣ و٧١ ٪	٢١	
الخامسة	١ أى بنية	١٠ أى بنية	١٠ أى بنية	صفر		مناصفة بين : الثانية والثالثة
	٧٦ و٤ ٪	٦١ و٤٧ ٪	٦١ و٤٧ ٪		٢١	
السادسة	٩ أى بنية	٣ أى بنية	٢ أى بنية	٧ أى بنية		لا توجد أغلبية مطلقة .
	٨٥ و٤٢ ٪	٢ و٨٤ و١٤ ٪	٢ و٥٤ و٩ ٪	٢٣ و٣٣ ٪	٢١	
السابعة	٢ أى بنية	٢ أى بنية	١ أى بنية	١٦ أى بنية		الأغلبية تتركز فى الرابعة
	٢ و٥٤ و٩ ٪	٢ و٥٤ و٩ ٪	٧٦ و٤ ٪	١٩ و٧٦ ٪	٢١	
الثامنة	١ أى بنية	صفر	٤ أى بنية	١٦ أى بنية		الأغلبية تتركز فى الرابعة
	٧٦ و٤ ٪		٤ و٠٨ و١٩ ٪	١٩ و٧٦ ٪	٢١	
التاسعة	١ أى بنية	١ أى بنية	٢ أى بنية	١٧ أى بنية		الأغلبية تتركز فى الرابعة
	٧٦ و٤ ٪	٧٦ و٤ ٪	٢ و٥٤ و٩ ٪	٩٥ و٨٠ ٪	٢١	
العاشرة	صفر	صفر	٢ أى بنية	١٩ أى بنية		الأغلبية تتركز فى الرابعة
			٢ و٥٤ و٩ ٪	٤٧ و٩٠ ٪	٢١	
الحادية عشر	٤ أى بنية	١ أى بنية	١ أى بنية	١٥ أى بنية		الأغلبية تتركز فى الرابعة
	٤ و٠٨ و١٩ ٪	٧٦ و٤ ٪	٧٦ و٤ ٪	٤٣ و٧١ ٪	٢١	
الثانية عشر	٢ أى بنية	١٩ أى بنية	١ أى بنية	صفر		الأغلبية تتركز فى الثانية
	٧٦ و٤ ٪	٤٧ و٩٠ ٪	٧٦ و٤ ٪		٢١	
الثالثة عشر	١٧ أى بنية	١ أى بنية	٣ أى بنية	صفر		تتركز الأغلبية فى الأولى .
	٩٥ و٨٠ ٪	٧٦ و٤ ٪	٢ و٨٤ و١٤ ٪		٢١	

ملحق رقم (٣)

معانى بعض الاصطلاحات الواردة فى الكتاب

معانى بعض الاصطلاحات التى وردت فى الكتاب

ملحق رقم (٣)

يوتوبيا :

كلمة إغريقية ، استعملها مور فى كتابه الذى نشره باللاتينية سنة ١٥١٦ ومعناها — المكان الذى لا وجود له ، والذى يحلم به الفلاسفة و يعتقدون أن فى إمكان القدرة البشرية تحقيق هذا الحلم و إخراج « أرض الأحلام » إلى عالم الحقيقة . بيد أن الفكرة قد سبق إليها أفلاطون من قبل واستعملها فى جمهوريته . كما استخدمها « بلوتارك » فى حياة « ليكرجوس » Lycurgus واستخدمت فى أساطير العصور الوسطى النرويجية والكلتية والعربية كما استخدمها القديس « أوجسطين » فى كتابه « مدينة الله » Decivitate Dei كما استخدمها « فرنسيس بيكون » Francis Bacon (١٦٢٤ — ١٦٢٩) فى « الأطلانطس الجديدة » . أعلن فيها أن فى يد العلم سعادة العالم .

كذلك استخدمها الكثيرون فى القرن الثامن عشر . واستخدمها « هـ.جورج ولز » H. R. Wells فى اليوتوبيا الجديدة Modern utopia سنة ١٩٠٥ .

العقل الجمعى :

افترض « مكدوجل » وجود عقل جمعى عام يسيطر على سلوك الجماعات ، و يتميز عن مكوناته الفردية — و بهذا يختلف سلوك الجماعات عن سلوك الأفراد . فالكل يتأثر بالشكل العام للوحدات مجتمعة ، كما يتأثر بالعلاقات المختلفة التى تربط الجزء بالجزء والكل بالجزء والجزء بالكل .

الإطار النفسى :

يشير إلى العوامل الموضوعية والذاتية التى تؤثر فى إدراك الفرد للأشياء وفى

اختياره للنواحى المختلفة التى يدركها من البيئة المحيطة به وهو يقيم بين هذا الإطار و بين الأشياء المحيطة به علاقات عدة تؤثر على سلوكه وعلى اتجاهاته .

الإطار الجمعى:

تعتبر المعايير الاجتماعية إطارات جماعية ثبتت واستقرت فى نفوس الأفراد واكتسبت صبغة انفعاليه راسخة مقننة . ولهذا يخضع الفرد فى أحكامه لها ، كما تصبح دعامة من دعائم الثقافة القائمة .

المجال النفسى :

تهتم فكرة المجال بالمحيط الذى تقع فيه الأحداث أو الوسط الذى تتفاعل فيه كما تعنى بالاهتمام بالكائن الحى كله ؛ كذلك تمثل قطاعاً فى شبكة حياة الفرد النفسية بتكوينه الفسيولوجى والعصبى والبيئة المحيطة به .

فهرس

صفحة

إهـــداء

المقـــدمة ١ — ٩

هدف التربية الاجتماعية — أوساطها — الأسرة — المجتمع المدرسة — يوتوبيا مديرية التحرير — هدفها : اقتصادى اجتماعى

الفصل الأول ١١ — ٢٠

التـكيف الاجتماعى :

معناه — دوافعه — طرق دراسته

الفصل الثانى ٢١ — ٦٧

نحو مجتمع أفضل :

الفلاح المصرى بين القديم والحديث :

خصائص الفلاح المصرى — القرية المصرية — الإطار الاجتماعى مكوناته — جذوره التاريخية — التغير الحضارى — مظاهره

دنيا الطفل فى المجتمع الريفى :

كيف تتم عملية التـكيف الاجتماعى — التقليد والممارسة — مركز الطفل الاقصادى — اختلاف مركز الطفل فى الأسرة — عامل الجنس مركز الطفل اجتماعيا .

الفلاح فى مديرية التحرير :

المجتمع المثالى — مركز التدريب — قرية عمر شاهين — شروط اختيار المنتفع — الفوج السادس — التدريب الاجتماعى — النظم

صفحة

التربوية — البرنامج التدريبي للمنتفعين — وظيفة المدرسة — مراحل التعليم — مبدأ العلم بالعمل — المدرسة الفنية المشتركة .

الفصل الثالث ٦٩ — ٧٧

قياس التكيف الاجتماعى :

ديناميكية الجماعات — صعوبة قياس تكيف الجماعات — وصف القياس وتطبيقه — أسلوب القياس — محتويات القصص — صورتا القياس .

الفصل الرابع ٧٩ — ١٥٢

قياس التكيف الاجتماعى للرجال الصورة (ا) :

وصفه وتحليله — القصص : مضمونها وأحكامها وتحليلها : إدمان وإصلاح — الخير والشر — النجدة وخوف الخطر — الأثرة والإيثار — طب وشعوذة — دنيا ودين — مال وجمال — الكرامة فقر وتبنى — صراع من أجل البقاء — وسائل وغايات — مبادىء وأموال — جهل وفقر

الفصل الخامس ١٥٣ — ٢١٨

قياس التكيف الاجتماعى للنساء الصورة (ب) :

وصفه وتحليله — القصص : مضمونها وأحكامها وتحليلها : قتل وثأر — ذمة ومال — جريمة وعقاب — معظم النار من مستصغر الشرر كل غريب للغريب نسيب — فقر وشخصية — المرأة والإصلاح الزراعى — استقلال وتعاون — دنيا ودين — طب وشعوذة — وطنية ووالدية — أفراح ومآتم — وطنية وإنسانية .

صفحة

الفصل السادس ١٩٢ — ٢٣٤

تحليل لمواقف بعض المنتفعين من قياس التكيف الاجتماعى
دراسة لبعض مواقف السيدات — دراسة لبعض مواقف الرجال .

تعقيب ٢٣٥ — ٢٥٠

أضواء على حاضر الفلاح — أهداف المجتمع الجديد — بين
الوسيلة والغاية — دور التربية فى إعداد المجتمع الريفى الجديد .

ملاحق ٢٥١ — ٢٦٦

ملحق رقم ١ — صورتا (ا) و (ب) لقياس التكيف الاجتماعى ٢٥١ — ٢٦٦
ملحق رقم ٢ — جداول توضح النسب المئوية لإجابات المنتفعين والمحكمين ٢٦٧ — ٢٧٥
ملحق رقم ٣ — معانى بعض الاصطلاحات التى وردت فى الكتاب ٢٧٧ — ٢٨٠

الصور

ص ٨١ — إدمان وإصلاح . ص ٩٣ — النجدة وخوف الخطر .
ص ١٠٣ — طب وشعوذة . ص ١٠٩ — وطنية ووالدية .
ص ١١٥ — مال وجمال . ص ١٢٧ — فقر وتبنى . ص ١٣٧ — وسائل وغايات .
ص ١٤٧ — جهل وفقر . ص ١٥٧ — قتل وثأر . ص ١٦٩ — جريمة وعقاب .
ص ١٧٧ — كل غريب للغريب نسيب . ص ١٨٧ — المرأة والإصلاح الزراعى .
ص ١٩٥ — دنيا ودين ص ٢٠٥ — وطنية ووالدية ص ٢١٣ — وطنية وإنسانية .

التكيف الاجتماعى فى الريف المصرى الجديد

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	١١	طابعهم	طابعهم
١٣	٧	ا دول	الدول
١٣	٢٠	بهم	بينهم
٢١	٩	اعداددا	إعدادا
٣٢	٦	مفاومة	مقاومته
٣٢	١٨	يجد مكانته	يجد الفرد منهم مكانته
٣٣	١	الواحدة التجمع	الواحدة إلى التجمع
٤٠	٢	العرف	المعروف
٤٨	٤	الرجهة	الوجهة
٦٢	١٥	تكافىء	تكافؤ
٦٤	١٥	لجمع	لجميع
١٠٢	٦	فرله	فرد
١١٨	١	التلحيل	التحليل
١٢٥	٦	الأمثلة :	الأمثل :
١٢٥	٧	ممن وأمثاله	وأمثاله ممن
١٣١	٢	السنه	النسبة
١٧٢	١٤	بتغريمه ٢٥ قرشا	بتغريمه إلى ٢٠٠ قرشا
١٨٠	١٦	على أن الطفل الأمريكى أن الأطفال يلعبون	على أن الطفل الأمريكى يلعب
٢٢٤	٢٠	تبسطهم	تبسطهن
٢٣٥	١٦	(١)	(٣)
٢٣٧	٢	(٢)	(١)
٢٤٥	١١	كانت	كان

PB-36245
5-11T
CC

Date Due

Demco 38-297

PERMA-BOUND®
PAT. NO. 3,161,423

NYU - BOBST
31142 02841 4376
HN783.5 .A3
al-Takayyu

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

دار الطباعة الحديثة
٥ شارع غيط النوبى ت : ٤٩٣١٨